المنامات في الموروث الحكائي العربي

دراسة في النص الثقافي والبنية السردية

إعداد

دعد رشراش أحمد الناصر

المشرف

الأستاذ الدكتور محمود السمرة

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في

اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب ٢٠٠٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قـــرار لجنـــة المناقشـــة

نوقشت هذه الأطروحة :

"المنامات: دراسة في النص الثقافي والبنية السردية"

وأجيزت بتاريخ ١٠ /٨/ ٢٠٠٦م

أعضاء لجنة المناقشة:

◆◆ **الدكتور محمود السمرة "مشرفا"** _____
أستاذ النقد الحديث – اللغة العربية

◆◆ **الدكتور عبد الجليل عبد المهدي "عضوا"** _____
أستاذ الأدب العباسي– الأدب الفاطمي والأيوبي والمملوكي – اللغة العربية

◆◆ **الدكتور صلاح جرار "عضوا"** _____
أستاذ الأدب الأندلسي – اللغة العربية

◆◆ **الدكتور زياد الزعبي "عضوا"** _____
أستاذ النقد الحديث – اللغة العربية "جامعة اليرموك"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـــكـــر وتقديـــــر

اللهم إنك قد أبدعت الرفق أفقا نبيلا جلتُ فيه وأنت تصطنع حروفي على عينك الكريمة..

فالحمد لك على ما أوليت ووهبت حمدا يليق بعظيم جلالك وإحسانك

ووافر شكري وتقديري :

للأستاذ الدكتور محمود السمرة الذي أضفى على بواكير إنتاجي العلمي جلالَ التوجيه .. ورفعة الإشراف.. وقد أحاطهما حلمٌ كريم كان دافعا رقيقا للإنجاز ..

وللأستاذين الجليلين:

الأستاذ الدكتور صلاح جرار

والأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي

اللذين أطللت على أبجديات العلم عبر بوابتيهما الأصيلتين.. وعرفت كيف يترسم العلمُ عراقةً وفنا وأنا أستشرف منمنمات نقشهما على قباب الصروح ..

وللأستاذ الدكتور زياد الزعبي الناقد

الذي طالما استشرفت أجواءه الثقافية.. فانتقش في ذاكرتي بهاءُ الجمع بين الرؤية النافذة وذائقية الفنان ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــداء ...

إليك وأنت تبدعين كلّ العوالم وطنا

فتستحيلُ كلّ أشرعتي نوارس

تستشرف روعة شواطئك

ودفء الشمس التي تطل عبر كونك الدفيء

إليك أمي

أهدي .. وأنا أتبتل في محراب طهرك

وأدرك السلام

إليك وحدك

إليك .. جهاد الزغل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

العنوان	
قرار لجنة المناقشة	**ب**
شكر وتقدير	**ج**
الإهداء	**د**
فهرس المحتويات	**هـ**
الملخص باللغة العربية	**ح**
المقدمة	**١**
❋❋ **البـــــاب الأول**	
● **الفصل الأول**	
◆◆ المنامات والأحلام والرؤى: المرجعية اللغوية واجتراح المصطلح	١٠
◆◆ تجليات المنامات في السياق التاريخي القديم	١٨
◆◆ المنامات في المنظور الإسلامي	٢٧
◆◆ المنامات في الفكر الصوفي	٣٤
◆◆ المنامات والتعبير	٣٧
◆◆ المنامات في العصر الحديث	٤١
● **الفصل الثاني**	
المنامات.. النص والنسق	٥٢
◆◆ النسق الديني ومركزية الثقافة الإسلامية	٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشكلات صورة الرسول الكريم ٥٤

الدعوة الإسلامية وإقصاء الآخر ٦٢

التمثيلات الإيمانية.. والتمثيلات الإشراكية ٦٩

◆◆ في السياسية.. إشكالية الذات والآخر المعارض ٧٥

جدلية السنة والشيعة ٧٥

نقد السلطة ٨١

◆◆ الشاعر الهجَّاء .. بين الذاتية والمنجز الجمعي ٨٥

◆◆ المرأة.. نسقية الصورة في الثقافة الذكورية ٩١

◆◆ تكثيف ١٠٤

● **الفصل الثالث**

المنامات .. النص الثقافي

النص المقدس: الاستدعاء وتوليد الدلالة ١٠٨

◆◆ الإسناد والخبر ١١٣

◆◆ الترجمة ١١٨

◆◆ الرحلة ١٢٤

◆◆ الشعر ١٣٠

◆◆ تكثيف ١٣٩

❋❋ **البـــاب الثـــاني**

● **الفصل الأول**

دراسة في البنية الحكائية

◆◆ البنية الحكائية في منامات الأخبار ١٤٤

◆◆ البنية الحكائية في منامات السير الشعبية ١٥٤

◆◆ البنية الحكائية في منامات الحكايات ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ أنواع المنامات ١٧٦
◆◆ أنواع التأويلات ١٨٥
◆◆ وظائف المنامات ١٨٩
◆◆ تكثيف ١٩٧

● **الفصل الثاني**

في رواية المنامات

◆◆ بين الراوي والمروي له ٢٠٠
◆◆ في تأويل نص المنام "وجهات النظر" ٢٠٧
◆◆ في المروي له ٢١٠
◆◆ تكثيف ٢١٧

● **الفصل الثالث**

◆◆ تشكلات الشخصية المنامية ٢١٩
◆◆ تكثيف ٢٤٠

● **الفصل الرابع**

◆◆ في بنية الزمن ٢٤٢
◆◆ الفضاء المكاني ٢٦١
◆◆ تكثيف ٢٧٦

الخاتمة ٢٧٧
المصادر والمراجع ٢٨٢
الملخص باللغة الإنجليزية ٢٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنامات: دراسة في النص الثقافي والبنية السردية

إعداد

دعد رشراش أحمد الناصر

المشرف

الأستاذ الدكتور محمود السمرة

الملخص

في سياقات "**الموروث الحكائي العربي**" النصية كانت جولة هذا البحث الذي وقف على "**المنامات**"، وحاول أن يقدم دراسة مستفيضة في بعديها: الموضوعي الفكري، والسردي الحكائي. وعلى ضوء ذلك فقد جمعت أداتي التراثيَّ من حيث النصّ، والحديثَ من حيث المعالجة النقدية.

تمثلت عينة الدراسة في أنواع سردية متباينة، وقد تقصَّدت من خلال هذا الاختلاف على صعيد النوع الأدبي، والزمن، والبعد الجغرافي أن أقف على المنامات بوصفها ظاهرة إنسانية أدبية شاملة، وإن كنت أقرّ أن اكتناز الموضوع يستلزم دراسات جادة تحتفل بالتخصص والنظر الدقيق. أما النصوص التي كانت محلا للنقد والتحليل، فقد اخترتها بعد استقراء مصادرها، وقد تمثلت في الأنواع السردية التالية:

المنامات: للوهراني

المقامات: بديع الزماني الهمذاني، والحريري، والسرقسطي.

الأخبار: الأغاني للأصفهاني، ونشوار المحاضرة للتنوخي، والعقد الفريد لابن عبد ربه.

السير الرسمية: مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي، وأحمد بن طولون للبلوي وهما سيرتان غيريتان، والاعتبار لأسامة بن منقذ، وهي سيرة ذاتية.

السير الشعبية: الملك سيف بن ذي يزن، وفيروز شاه ابن الملك ضاراب، وحمزة البهلوان، والأميرة ذات الهمة، والظاهر بيبرس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكايات العجيبة والخرافية: ألف ليلة وليلة، ومئة ليلة وليلة، والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة.

انطلقت في دراستي للمنامات من وصفها "نصا" معترفا به من قِبل الثقافتين الرسمية والشعبية على حد سواء، فقد أضفت عليها الرؤية الإسلامية هالة مقدسة ساهمت في انتزاع هذا الاعتراف، إذ إن المنامات ترتبط بالنبوة كما أشار لذلك الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– في حديث صحيح له. وأدبيا عُرفت المنامات من خلال الوهراني (ت٥٧٥هـ)، الذي روَّج ابن خلكان كتابه "منامات الوهراني، ومقاماته، ورسائله"، وحكى عن مستوى تلقٍ عال لها عندما ترجم له في وفيات الأعيان.

تناولت دراسة المنامات من حيث:

◆◆ اجتراح المصطلح اللغوي، وإحالة تاريخية استقرأت عناية الحضارات بالمنامات منذ القديم حتى العصر الحديث.

◆◆ الأنساق الثقافية التي تحملها وتروّج لها، وقد وقفت على النسق الديني، والسياسي، والأدبي، والاجتماعي.

◆◆ النص الثقافي الذي مثلته، فقد أثبت البحث أن المنامات تنفتح شأنها شأن النصوص الإبداعية على خطابات معرفية متعددة تسهم في إثرائها، وترفع من قيمتها الفكرية والفنية.

وعلى الصعيد السردي، تناول البحث:

◆◆ البنية الحكائية التي تميز النصوص، وتوضح انضباطها في سلوك نصي معين، وقد انمازت لديّ البنى الرئيسة الثلاث التي مثلت منامات: الأخبار، والسير الشعبية، والحكايات.

◆◆ دراسة الراوي والمروي له. والمروي برؤى عديدة أهمها : الأنواع، والوظائف.

◆◆ دراسة تشكلات الشخصية المنامية، وقد أفرزت القراءة وجود الشخصية المرجعية، والتخييلية، والعجائبية، والحيوانية. وختمت الفصل بالحديث عن الشخصية الفاعلة، ودورها في السياق السردي.

◆◆ البنية الزمنية، والفضاء المكاني: من حيث التوصيف، ثم في الفضاء الدلالي الذي يثبت دورهما في بنية النص الفكرية والجمالية معا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن التوصيف السابق يشفّ عن أداتي المنهجية، حيث وقفت مطولا مع النقد الثقافي الـذي أطَّر تناول الأنساق، والمنهج السردي الذي أطَّر دراسة البنى العامة التـي شـكلت نـصوص المنامات.

وحيث تناولت "تكثيفات" الفصول، ثم الخاتمة نتائج الدراسة تفصيلا، أذكرها هنـا علـى عجل دون تطويل. فقد خرج البحث برؤية تدرك المنامات:

◆◆ نصا معترفا به من قِبل الثقافة العالمة والشعبية على حد سواء.

◆◆ وهو نص عجائبي لما يحتفل به من الخارق على صعيد الفعل، وتشكل الشخـصية، والإقرار النصي من قبل بعض أبطال الأعمال.

◆◆ وهو نص حامل نسق، وينتمي بذلك لإطار الثقافة العربية الإسلامية المركزية التـي ينتمي إليها.

و سرديا ، تميزت:

◆◆ بنى خاصة للمنامات على صعيد نصوص الأخبار، والسير الشعبية، والحكايـات؛ إذ لم تتوحد في المبنى الحكائي، وإن تقاطعت كثيرا على مستوى المتن والخطاب.

◆◆ أنواع خاصة للمنامات، والتأويلات، ووظائف معرفية وسردية.

◆◆ تشكلات الشخصية المنامية التي تنوعت، ثم توحدت في فكـرة إسـهامها الفكـري والجمالي الخاصين بالنص العام الذي تنتمي إليه.

◆◆ وقد بلور البناء الزمني والفضاء المكاني حضورا خاصا وظفه الرواة ليسهم كـذلك في الدور العام الفكري والفني، الذي أنشئ النص من أجله، وبروز هذا الانسجام لكل بنيـات النص مع الفكر العام للعمل المؤلَّف الذي تنتمي إليه دفعني للقول بكون هذه المنامـات –فـي جلها– مؤدلجة وضعت وضعا، وانتُقيت انتقاء لتكون أداة الراوي فيما يريد طرحه على ذلكما الصعيدين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُقَـــدّمَـــــةُ البَـــحْـــــثِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــة

منذ القدم عرف الإنسان المنامات بوصفها إشارات إلهية قادرة على مخاطبـة روحـه، وهدايته، وإنذاره، وتفعيل مجريات حياته. وانطلاقا من إيمانه المقـدس بهـا عمـد لطقـوس عجائبية من أجل حضانتها واستدعائها، لتكون حاضرة معه دوما لا سيما في الأزمات الفردية والمجتمعية التي يعانيها!. ومن اللافت للنظر أن الحضارات القديمة علـى تبـاين اعتقاداتهـا وعاداتها عرفت حضانة الأحلام حتى العصر الإسلامي، وإن تمّت ممارسة الحضانة بتجليات رمزية مختلفة تتسق والبعد الفكري الذي تؤمن به، وتنطلق في تحركاتها من خلاله. المنامات إذن إرث بشري عريق، وحاضر ممتد بحضور الإنسان، تكتنهه أسـرار غيبيـة بانكـشافها رؤيويا للإنسان كان يرتفع لدرجة بشرية عليا، وإسلاميا تتحصل له درجة من درجات النبـوة الكريمة. واعتبارا لهذه الأهمية للمنامات في الحضارات الإنسانية بدأت البحث بإحالة تاريخية تجليها وتكشف أبعادها.

و"**المنامات**" بوصفها نصا أدبيا تلازم منتجها أبا عبدالله محمد بن محـرز بـن محمـد الوهراني الذي تلقب بـ "ركن الدين" (٥٧٥هـ)، فـ "**المنام الكبير**" الذي أنشأه على هـامش رسالة بعثها ردا على كتاب المولى "الشيخ الأجل، الإمام الحافظ، الفاضل، الأديـب.. جمـال الدين، ركن الإسلام، شمس الحفاظ.. فخر الكتاب، زين الأمناء.."[(١)]، ينهض بوصـفه المنـام الأدبي الأشهر في الذاكرة السردية التراثية، وبكونه الأثر الأدبي العابق بأصداء رسالة الغفران وفضاءات القيامة، الأمر الذي دعا عدة باحثين لإجراء مقاربات نقدية بينهما. إلا أن القـراءة المطولة أفرزت مصنفات أدبية عديدة احتفلت بالمنامات، ووظفتها باعتبارها تقنية سردية هامة كانت قادرة على تفعيل السرد وتخليق سلاسل حكائية هامة لم تكن لتتولد لولا الأجواء المنامية التي حرص الكتّاب على ترسيمها والاتكاء عليها، وقبل الإشارة إلى المصادر الأدبيـة التـي شكلت مادة الدراسة، لا بد من التنويه لكون المنامات في كل المصادر المدروسـة بمـا فيهـا "المنام الكبير" للوهراني نصوصا متضمَّنة في سرود أشمل، بمعنى أن الكاتب ينطلق من نـوع سردي آخر غير المنامات: "الرسالة، أوالمقامة، أو السيرة، أو الخبر... إلخ"، ثم يضمِّن مادته السردية نصّ المنام الذي يوظَّف لخدمة السرد الأصلي على الصعيد الفكري والجمالي معا.

---

(١) المنامات، الوهراني، ص١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ضوء ذلك تمَّت عملية استقراء مصادر تراثية عديدة منوعة ، واستخراج نصوص المنامات منها لتكون عينة الدراسة الرئيسة، وقد حرصت في انتقاء هذه المصادر على التنوع السردي، والزمني لتكونَ الظاهرة شاملة قدر المستطاع، وإن كنت أقرّ بعد انتهاء مادة البحث بحضور المنامات في مصنفات عديدة أخرى، وبتجليات متباينة تستدعي البحث والدراسة من زوايا ورؤى مختلفة، الأمر الذي يجعل من دراستي هذه تقدمة أرجو أن تتمكن من إضاءة قضايا ارتأيت أنها الأبرز والأجلى، فانصبّ اهتمامي عليها بما يتفق والمنهج الذي اتكأت عليه.

تمثلت المصادر التي استقرأت مناماتها، وكانت عينة البحث بـ:

المنامات: وقد اقتصرت على منامات الوهراني المجموعة في كتابه "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله".

المقامات: وهي مقامات بديع الزمان الهمذاني، ومقامات الحريري، ومقامات السرقسطي.

الأخبار: وهي الأغاني للأصفهاني، والنشوار للتنوخي، والعقد الفريد لابن عبدربه.

السير الرسمية: وهي مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي، وأحمد بن طولون للبلوي وهما سيرتان غيريتان، والاعتبار لأسامة بن منقذ وهي سيرة ذاتية.

السير الشعبية: وهي الملك سيف بن ذي يزن، وفيروز شاه ابن الملك ضاراب، وحمزة البهلوان، والأميرة ذات الهمة، والظاهر بيبرس.

الحكايات الخرافية: وهي ألف ليلة وليلة، ومئة ليلة وليلة.

الحكايات العجيبة: واقتصرت على الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة.

أؤكد ثانية بعد سرد مؤلفات الدراسة على مبررات انتقائي لها، حيث ارتأيت أن:

***تتنوع سرديا *وزمانيا *وجغرافيا**

وقد وقفت على الكتب التي احتملت منامات تستأهل الدراسة من حيث بنيتها الفنية والفكرية وتنوع حضورها ضمن إطار "**الموروث الحكائي العربي**"، وأذكر هنا أنني نحيّت كذلك كتب الرحلات لعدم احتفالها بالمنامات من مثل: رحلة المقدسي، وابن خلدون وغيرهما.. وهي عينة أتوخى تمثيلها للظاهرة، وإن كنت لا أدّعي حصر المنامات فيها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في تحليل المنامات حرصت أن يكون "**النصّ**" انطلاقي الرئيس، وجعلت ما ينطقه رائدي في العمل، وأسست من إشاراته المتواترة البنية التي شكلت أنساقه وبناءَه الحكائي العام، ذلك يعني أنني وإن انطلقت من منهج محدد في التحليل، إلا أنني لم أسقطه على النص إسقاطا متعسفا، بل ترقبت انتظام النصوص واختراقاتها للمنهج، وصولا لرؤية حاولت أن تكون منسجمة مع ذاتها، مجليةً أبعاد النص وما وراء النص في انطلاقها الرئيس من ذات النص!. ولعلي في ذلك أؤكد على عبثية إسقاط المنهج كليا؛ لأن ذلك سيولد نتائج مشوهة للدراسة، وآثرت عوض ذلك أن أرتهن لأدوات منهجية تتحرك في مساحة السرد بما يحكيه السرد أولا، ثم بما يناسب تلك الأدوات ثانيا. وسأستعير هنا كلمات عبدالله إبراهيم التي شكلت منهجية تحليلية رائقة تنطلق من النص لتعود إليه في تجليات النتائج والخلاصات: "ما الذي يمكن أن تقدمه قراءة انطباعية تحاول أن تسقط ما موجود على ما لم يوجد؟ وأن تفرض قوانين ما هو كائن على ما لم يكن؟ بدل أن يقوم الناقد برحلة معاكسة لرحلة المبدع؟ أي أن يقوم بإجراء تنظيم دقيق للدالات المتوفرة بين يديه، لينشئ منها عالما ذا بنية واضحة، ومكونات خاصة وصولا إلى إدراك ماهية هذا العالم..."[١].

في المنهج تبنيت النظر بأداة **النقد الثقافي** الذي يسمح لنقاد الثقافة أن يطبقوا المفاهيم والنظريات النقدية على النص الرسمي "الراقي" و "الشعبي" على حد سواء، ويوسع فضاءه الدلالي ليشمل الكون بكل تجلياته الفكرية، والعملية: التفكير الفلسفي، والوسائط، ودراسات الاتصال، والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع، والثقافة المعاصرة، وغير المعاصرة[٢]، واهتممت بالنظر في الأنساق المضمرة[٣] التي تكمن خلف النص والجمالي، واقفة على أهم الأنساق التالية:

النسق الديني: حيث تكثف الحديث عن إثبات الفكر الإسلامي وإقصاء الآخر الإشراكي على تجليات حضوره: المجوسي، واليهودي، والتركيز على النصراني.

النسق السياسي: والحديث المكثف عن جدلية السنة والشيعة، ونقد السياسة الجائرة.

---

(١) المتخيل السردي، عبد الله إبراهيم، ص٩.

(٢) النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، آرثر إيزابرجر، ص٣٠-٣١.

(٣) تقوم فكرة النقد الثقافي التي تبناها الغذامي على الاهتمام بالنسق المضمر المختفي خلف الجمالي، إنه يؤمن بأن كثيرا من أدبياتنا تخفي القبيح الفكري خلف الجميل النصي. انظر كتابه: النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النسق الأدبي: حيث فضحُ التحول الأدبي الذي خلَّق من الشعر –في جانب منه– منجزا فرديا بعد أن كان جمعيا حضاريا، واتخاذ موقف سردي عام من ذلك.

النسق الاجتماعي: والحديث عن ترميز أنثوي متردٍّ يحمل أبعاد الفكر الذكوري تجاه المرأة.

ولن يخفى انضواء تلك الأنساق الثقافية تحت مظلة الفكر العربي الإسلامي الذي تنتمي إليه النصوص وتشكل هويته، وإن تمت بعض الاختراقات لا سيما في الحديث عن المرأة الذي تبنى الفكر العرفي لا الديني.

ثم عرضت لإثبات كون المنام "**نصا ثقافيا**" منفتحا على معرفيات متعددة، وخطابات متباينة تمنحه اكتنازا خاصا في دلالاته، وبنيته الفكرية العامة، لقد انفتحت المنامات على النص المقدس: القرآن الكريم والحديث الشريف، ومستويات سردية متنوعة ليحضر في هذا المجال: الخبر، والترجمة والرحلة، والنظم الشعري كذلك. ولا يخفى ما في هذا الحضور من بعد فكري جمالي غني يسهم في بناء النص بشكل متميز.

و**سرديا** وقفت ممايزة في تشريح البنية الحكائية للمنامات بحسب مصادرها وانتمائها النصي، لتتشكل ثلاث بنى رئيسة:

البنية الحكائية في منامات الأخبار.

البنية الحكائية في منامات السير الشعبية.

البنية الحكائية في منامات الحكايات.

وتقاطعت سرديا في التشكلات البنائية الأخرى: الراوي والمروي له، والمروي في الحديث عن أنواع المنامات والتأويلات، ووظائف المنامات المعرفية والسردية، وتشكلات الشخصية، وبنية الزمن في النص المنامي، وبنية فضائه المكاني.

ومما يجدر ذكره أنني لم أعمد للتطويل في سرد النظرية؛ لعموم العلم بها وإمكانية الاستغناء عنها خشية التطويل، واكتفيت عوض التنظير المطول بذكر أهم ما قيل سرديا في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنحى المدروس على صعيد المتن والهامش، والظن أن ذلك كاف يحقق المقصود، ويبني التواصل مع النقطة التي أثرتها.

وفي تبيان ماهية "المنام" الذي وقفت عنده بالدرس والتحليل أوضح: في هذا الإطار كان المنام الذي رُئي في فعل النوم محلا للدراسة، بمعنى أني وقفت عند المشهد المنامي الكائن حقيقة أو ما ترسَّم طريقته إن كان مضللا مدَّعى، حيث كانت تقدمته: "رأيت في منامي" أو أي عبارة تحيل إليها، وعلى ذلك:

◆◆ لم أتبنَّ طريقة كيليطو الذي قارب بين نصّ المنام المعروف عند الوهراني ورسالة الغفران مثلا، بجامع تركيز كلّ منهما على المغفرة التي تتحصل للشخوص في فضاء القيامة، الأمر الذي دعاه لاعتبار الغفران مناما وإن لم تتصدره أية عبارة تشي بفعل النوم ثم ترائي المنام[١]، وفي دراسة فادية عبدالوهاب الجامعية عن منامات الوهراني[٢] مقاربة كذلك حول قيمة الغفران بين العملين وإن لم توصلها للنتيجة السردية التي تبناها كيليطو، واكتفت بالقول إن هذه المقاربة تؤكد "أن الوهراني كان يتخذ الغفران نموذجا له"!. الطريف أن كيليطو يرى تماهي الغفران في المنامات، بينما ترى الباحثة تماهي المنامات في الغفران!! وأنا أرى أن لكل من العملين سمات سردية خاصة وإن كان سرد المنام الكبير للوهراني الذي جاء ردا على رسالة يحيل بالذاكرة الثقافية لأجواء الغفران ويقترب منها كثيرا.

◆◆ كما لم أتبنَّ طريقة حميد لحميداني الذي حلل أقصوصة "البحر" للكاتبة العراقية بثينة الناصري تحليلا حلميا على ضوء تماثل النص مع بنية الحلم وإن لم تتضمن حلما صريحا، الأمر الذي أفرز عنوان البحث "التأويل الحلمي للقصة: تماثل بنية القصة ببنية الحلم"[٣]، موظفا أداة التحليل النفسي وتأويل رمزيات الحلم للوقوف على أسرار النص ودلالاته.

(١) أبو العلاء المعري أو متاهات القول، عبد الفتاح كيليطو، ص ٢٢ وما بعدها.
(٢) منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، فادية عبدالوهاب، ص٣٧، و٣٩.
(٣) القراءة وتوليد الدلالة: تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، ص١٥٤ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفضي هذه الإشارات العاجلة للحديث عن أهم المصادر التي اعتنت بها الدراسة، وشكلت بتحليلاتها رؤية هامة للبحث:

في المنامات تحليلا وتفسيرا: يحضر كتاب عوالم الحلم لستيوارت هولروبد، والأحلام تفسيرها ودلالاتها لنيريس دي، واللغة المنسية لإريك فروم، كما تحضر كتب تفسير الأحلام لابن سيرين، والنابلسي، وفرويد، ولعلي زيعور عدة مؤلفات ساهمت في تأصيل النظر للأحلام، وفهم دلالاتها وإشاراتها، كما أسست فدوى دوجلاس فهما جميلا في هذا المجال في كتابها بناء النص التراثي.

في النقد الثقافي: أجدني مدينة للناقد عبدالله الغذامي الذي وجّه رؤيتي في محاولة استكناه المضمر الذي يقبع خلف النص، وسأذكر له كتابه الكبير النقد الثقافي: قراءة في الأنساق العربية، وثقافة الوهم، ومقالاته من مثل الجنوسة النسقية.. كما يحضر عبدالفتاح كيليطو في دراساته حول الأنساق الثقافية من مثل كتاب المقامات، كما كان لكتاب آرثر إيزابرجر توجيه جميل في هذا المضمار، وعدة من المقالات لعبد الله إبراهيم، ومعجب الزهراني، وغيرهما.

في السرد: اتكأت مطولا على إبداع سعيد يقطين في قال الراوي، والكلام والخبر، وعبدالله إبراهيم في السردية العربية، والمتخيل السردي.. وعبدالفتاح كيليطو في المقامات، والأدب والغرابة.. وحميد لحميداني في بنية النص السردي، ، والقراءة وتوليد الدلالة.. وأجنبيا وقفت مطولا مع جيرالد برنس في معجمه المصطلح السردي، وتودوروف في مفاهيمه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السردية... وهذه عينة من الكتب لا أقصد من ذكرها الحصر، وإنما التمثيل لئلا يفوت فضل متفضل!.

طرافة المنامات وعجائبية أجوائها المشحونة بالفنية والفكر على حد سواء تغري بتوظيفها واستدعائها، ولذا يجدها المتلقي في سرود عديدة دينية، وتاريخية، وفكرية، وأدبية.. وحديثا وقفت على كتاب طريف اتكأ على تقنية المنامات لفضح أحوال الأمة وفضح إشكاليات ترديها إزاء التقانة الغربية الآخذة بالتصاعد، الحديث عن كتاب "**المنامات الأيوبية المسمى إخبار الأنام بأخبار المنام**" لمؤلفه صلاح جرار.

تبنى الكاتب فنيا بناء المقامة الأدبية، ورسم شخص أبي أيوب الهندي بطلا لها، ورسم شخص علقمة بن مرة الشيباني راوية! وجعلها أربعين مقامة ليتماهى بذلك مع العدد الكلاسيكي للمقامات، مبتدئا بالمقامة الاسترالية ومنتهيا باليمنية. واعتمد على بناء المنامات في ترسيم حوادث البطل ضمن المشهد المنامي، وقد حمَّل الكاتب تلك المنامات هروب البطل من واقعه تارة، ومحاولة مواجهته تارة أخرى وذلك عند تشريح أسباب التردي والتهالك!.

هذه إضاءة عامة توخيت عبرها إلقاء الضوء على طبيعة المنامات، ومنهجية درسها وتحليلها، ونصوصها ومصادرها، وقد ضمنت الخاتمة نتائج البحث التي أرجو أن تكون وافية للمتلقي المهتم، والدرس العلمي الجاد.

هذا جهد المقلّ.. وبالله التوفيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجْـــتـــرَاحُ المصْطَلَـــــــحِ

وإِحـــالَةٌ تَاريخِيـــةٌ فِكْرِيـــةٌ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنامات والأحلام والرؤى... المرجعيّة اللغويّة* واجتراح المصطلح

تكشف المادة المعجمية لكلمة (حَلَمَ) عن معنى الرؤيا وإن مايزت بينهما في موضع آخر بحسب الشاهد الديني، فالحُلْمُ والحُلُم: الرؤيا. يُقال: حَلَم يحلُمُ إذا رأى في المنام. وحَلَم به وحَلَم عنه وتَحَلَّمَ عنه: رأى له رؤيا أو رآه في النوم. وفي سياق الحديث الشريف: "من تَحَلَّم ما لم يحلم كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين"(١). ولعل ذلك التشديد في مسألة التحلُّم المدِّعي يعود إلى كون الرؤيا جزءاً من النبوة، كما قال الرسول الكريم: "الرؤيا الصادقة جزء من النبوة"(٢). فيضحي التحلُّم بذلك افتراء على الذات الإلهيّة الأمر الذي يستأهل تشديداً في العقاب والترهيب.

الدلالة اللغوية لكلمتي (حُلُمُ ورُؤْيَا) واحدة، والتمييز بينهما متأتٍّ كما ذكرتُ من الشاهد الديني الشريف الذي ينسبُ الرؤيا لله سبحانه، والحلم للشيطان، فهو تمييز عرفي اصطلاحي لا لغوي، قال ابن منظور: والرؤيا والحُلْم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحُلْم على ما يراه من الشر والقبيح، ومنه قوله: "**أضغاث أحلام**"(٣)، ويُستعمل كل واحد منهما موضع الآخر. وفي الحديث الشريف: "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان"(٤).

وتحت الجذر رأى: الرؤيا ما رأيته في منامك. ورأيتُ عنك رؤى حسنة: حلمتها. وأرْأى الرجل: إذا كثرت رؤاه وهي أحلامه، جمع الرؤيا. وقد جاء: الرؤيا في اليقظة. وعليه فُسِّر قوله تعالى: "**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس**" (٥).

❋❋❋

* انظر في المادة اللغوية: لسان العرب، ابن منظور: مادة "أول"، و"حلم"، "ورأى"، و"عبر"، و"نام".

(١) تتمة الحديث الشريف "ولن يفعل". انظر: صحيح البخاري، مج٣، ص٥٤.

(٢) انظر في معنى ارتباط الرؤيا بالنبوة، صحيح البخاري، مج٣، ص٣٨– ٣٩.

(٣) ج١٢، سورة يوسف، آية ٤٤، و ج١٧، سورة الأنبياء، آية ٥.

(٤) صحيح مسلم، ج١٥، ص١٦.

(٥) ج١٥، سورة الإسراء، آية ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يُحيل جذر (نَوَمَ) في معانيه اللغوية التي أوردها ابن منظور إلى الأحلام والرؤى، فالنَّوْمُ: النُّعاسُ: نام ينامُ نَوْماً ونِياماً، والاسم: النِّيمة، وهو نائمٌ إذا رَقَد. ورجل نُوَمَة: ينامُ كثيراً. وهو نُوَمة إذا كان خاملَ الذكر. ويُقال للذي لا يُؤبه له: نُوْمة بالتسكين. ونام الرجلُ إذا تواضعَ لله.

وأما (المَنَامُ) الذي عنونتُ به الدراسة فيعني في اللسان النوم: وقد يكون النومُ يُعْنَى به المنام. الأزهري: المَنَام مصدر نَامَ يَنَامُ نَوْماً ومَنَاماً. وفي موضع آخر: والمنام والمَنَامةُ: موضع النوم. والمَنَامة: ثوبٌ يُنَام فيه. والمَنَامة: الدكان. وفي تفسير الآية الكريمة: "**إذ يريكهم الله في منامك قليلاً**"(١)، يعرض لمعانٍ لغوية بعيدة كذلك عن أفق الحلم والرؤيا، يقول: هو هنا العين لأن النومَ هنالك يكون. وقال الليث: أي: في عينك. وقال الزجاج: روي عن الحسن أن معناها: في عينك التي تنام بها. قال: وكثير من أهل النحو ذهبوا إلى هذا، ومعناه عندهم: إذ يريكهم الله في موضع منامك، أي: في عينك، ثم حذف الموضع وأقام المنام مقامه. وتكاد معاجم اللغة تتفق على معنى المنام كما ورد عند ابن منظور: يتفق الفراهيدي وابن منظور في تأويل المنام بالعين: "والمنام معروف، وقوله جَلَّ وعز: "**إذ يريكهم الله في منامك قليلاً**" أي: في عينك"(٢). والمنامة: ثوبٌ يُنَام فيه وهو القطيفة في الصحاح للجوهري(٣). ويدل على فعل النوم لا الحلم في مقاييس اللغة، قال في مادة نَوَمَ: "النون والواو والميم أصل صحيح يدل على جمودٍ وسكون حركة. منه النوم: نام ينام نوماً ومناماً... والمنامة: القطيفة لأنه يُنام فيها"(٤).

إلاّ أن استدراكاً لطيفاً مهماً يبنيه ابن منظور على التفسير القرآني للآية الكريمة، من شأنه أن يؤسّس لمعنى الحلم/ الرؤيا لمفردة المنام، حيث اعتبرَ الرؤيا المنامية المحتفلة بتصديق الصحابة وقبولهم، ثم مايزها عن الرؤية البصرية/ العينية التي أتت الآية الكريمة على ذكرها لاحقاً، إذ عرضت الآية لنوعين من الرؤيا: حلمية وواقعية. يقول:- "ولكن قد جاء في التفسير أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- رآهم في النوم قليلاً، وقُصَّ الرؤيا عَلَى أصحابه فقالوا: صدقت رؤياك يا رسول الله، ثم يعلق على ذلك مُتَبَنِّياً ومرجحاً: "وهذا المذهب أسوغ في العربية لأنه قد جاء: "**وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم**" (٥)،فدلّ

---

(١) ج١٠، سورة الأنفال، آية ٤٣.

(٢) العين، الفراهيدي، ص٩٩٥.

(٣) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة نَوَمَ، ج٥، ص٢٠٤٧.

(٤) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج٥، ص٣٧٢- ٣٧٣.

(٥) ج١٠، سورة الأنفال، آية ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بها أنّ هذه رؤية الالتقاء، وأن تلك رؤية النوم". ويعضد ذلك إشارة عاجلة وردت في أساس البلاغة، فتحت الجذر (نَوَم) يقول الزمخشري: "ورأى في المنام كذا، وفلانٌ يَرَوْنَ له المنامات الحسنة"(١). فلو دَلَّ المنام في هذه العبارة على النوم لَمَا رُئي، بل هو الحلم؛ لأنّ الحلم هو الذي يُرَى. وعَلَى ذلك فللمنامات فَنَّاً/ مرجعية لغوية دَلَّت عليها إشارات لطيفة في معجمي أساس البلاغة ولسان العرب، أسَّسَت لمفهوم الحلم/ الرؤيا في السياق اللغوي العربي.

❋❋❋

تُفَسَّرُ الرؤى وتُحَلَّلُ المشاهد الحلمية والمنامات، وفي هذا المجال تُحيل الكتب المختصة لمصطلحي (التَّعبير والتأويل) في إشارة للعلم الذي يفسر الرموز الحلمية. ولهذين المصطلحين أصل في الدلالة اللغوية، وإن كانت في مادة (التعبير) أبين وأجلى: فأوَّلَ الكلامَ وتأوَّله: دبَّره وقدَّره وفسَّره. ونقلاً عن أبي منصور: يُقال: أُلْتُ الشيء أؤوله إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه. وفي ذات الإطار: تأوَّلت في فلان الأجر إذا تحريته وطلبته. والتأويل بهذا المعنى منسجم مع تفسير الأحلام التي تبدو في مشاهد كثيرة رموزاً مُشْكِلة محتاجة للتوضيح وتحري المعنى الكامن فيها، لتحويله إلى مشهد مُتَخَيَّل مترابط الأجزاء، بيّن الدلالة. والتأويل كذلك: عبارة الرؤيا، وفي التنْزيل العزيز: "**هذا تأويل رؤياي من قبل**"(٢)، أي: تعبيره وتفسيره.

وعلى ضوء ذلك، فالعبارة: التفسير: عَبَرَ الرؤيا يعبرها عَبْرا وعِبَارة وعَبَّرها: فَسَّرها وأخبر بما يؤول إليه أمرها. والعِبْرُ: الجانب. وعبرتُ النهرَ والطريق إذا قطعته من هذا العِبْر إلى ذلك العِبْر، فقيل لعابر الرؤيا عابر؛ لأنه يتأمل ناحيتي الرؤيا ويتفكر في أطرافها، ويتدبر كل شيء فيها، متقاطعاً بذلك مع المؤَوِّل الذي يتأمل الحلم ويتفكر فيه وصولاً لتفسير واضح لرمزية الحلم المُشَاهَدة.

ويشير ابن منظور بشكل عَجِل لبعض أدب المعبّر والرائي وآلية التعبير، مما سأعرض إليه مفصلاً لدى الحديث عن رؤية الإسلام للتعبير، ومنهج ابن سيرين، لذا أُحيل إليه دون التفصيل خشية الإطالة والتكرار.

---

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، ج٢، ص٤٨٣.

(٢) ج١٣، سورة يوسف، آية ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحضر المنامات إذن بوصفها المشهد المتخيَّل الذي يراه الرائي حال نومه، وقد وظِّفت في الاصطلاح العلمي والديني والأدبي بهذا الاعتبار على امتداد مصنفات عديدة في عصور تاريخية متباينة، وإذا كانت منامات الوهراني (٥٧٥هـ) هي الأشهر أدبيا، إلا أن القراءة أفضت للوقوف على هذا الاصطلاح قبل القرن السادس للهجرة بمدة طويلة!.

الوقفة الأولى تشير إلى المؤلف المنسوب لابن سيرين في القرن الثاني (١١٠هـ) "تفسير الأحلام الكبير"، حيث وظَّف ابن سيرين مصطلح "المنام" ضمن دلالته الرمزية التي تحيل للمشهد المتصوَّر في أفق الرائي، وقد قسمه في التقدمة الاستهلالية لنوعين: رؤيا من الله –سبحانه–، وحلم من الشيطان اتكاءً على الفهم الإسلامي المنسجم مع التربية النبوية الشريفة في هذا الإطار، قال: "اعلم وفقك الله أن مما يحتاج إليه المبتدئ أن يعلم أن جميع ما يرى في **المنام** على قسمين..."[١]. وقد تكرر توظيف المصطلح في ثنايا الكتاب إلى جوار معاني: الرؤيا والحلم.

في الوقفة الثانية، يعنون الحافظ ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ) مصنفه بـ "**المنامات**"، وفيه يرصد عشرات المنامات التي رآها الرجال على مختلف طبقاتهم، مؤطرة بأدبيات المنام المعروفة إسلاميا. ويتواتر حضور مصطلح المنام بتجليات عديدة على امتداد صفحات المؤلَّف: رأيت في منامي.. رأى فيما يرى النائم... رأيت في المنام... أن شابا رأى في المنام!.

ويترجم أبو العباس النجاشي (٣٧٢-٤٥٠هـ) لعلي بن محمد بن العباس بن فسانجس، حيث يعرض له عدة مؤلفات، يبرز من بينها كتاب "**المنامات**"، وفيه يقول: "ورأيت له كتاب المنامات بخطه"[٢]. وإذا كانت الترجمة قد أغفلت تحديد السياق الزمني لحياة المترجم له ووفاته، فإن في معرفة زمن وفاة المترجِم كفاية، حيث لن يتجاوز تأليف كتاب "**المنامات**"، القرن الخامس الهجري زمن وفاة المؤلف نفسه.

تدخل منامات ابن سيرين والحافظ ابن أبي الدنيا[٣] في إطار الرؤى اليومية التي تتخلق للنائم، وتغيب طبيعة منامات علي بن فسانجس ولا تحدّ الترجمة لها حدودا مطلقا! الأمر الذي سيجعل أول حضور أدبي للمنامات على يد الوهراني المتوفى في الثلث الأخير من القرن

(١) تفسير الأحلام الكبير، ابن سيرين، الدار النموذجية، ص٧.
(٢) رجال النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي النجاشي، ج٢، ص١٠١.
(٣) الكتاب بتحقيق مجدي السيد إبراهيم، طبع مكتبة القرآن، القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السادس الهجري (٥٧٥هـ) حيث ستحضر مناماته بوصفها فنا أدبيا مؤلفا، ينشئه الكاتب ليكون سردا أدبيا له ما يميزه عن السرود الأخرى المعروفة. ويبدو أن تلقي هذه المنامات كان متميزا في عصر إنشائها! إذ يحكي ابن خلكان عن دورانها بين الناس، وظرفها لا سيما "المنام الكبير" الذي عدَّه المترجم السرد الأميز للوهراني: "وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات، والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس، وفيها دلالة على خفة روحه، ورقة حاشيته، وكمال ظرفه، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته..."[١].

يتوالى ذكر المنامات بشكل بيِّن في مصادر متعددة لاحقا، وإن كنا لا نقف على توصيف أدبي لها، فابن طاووس (٥٨٩-٦٦٤) يؤلف كتاب "**المنامات الصادقات**"، كما يحكي في كتابه "الأمان". وتوظف أعمال أدبية هامة من مثل السير الشعبية مصطلح المنام بشكل متواتر كما سنتبين ذلك أثناء الفصول اللاحقة، فالأميرة ذات الهمة التي كتبت في القرن الثالث الهجري، وسيف بن ذي يزن بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين، والظاهر بيبرس في القرن الثالث عشر، وغيرها من النصوص محلّ الدراسة تتناول المنامات بوصفها الرؤى التي يراها الحالم ليلا، وقد تتقاطع مع منامات الوهراني من حيث تأليفها وإنتاجها وإن كانت لا ترقى لمستوى أدبيتها وفنيتها التي تعكس مهارة الوهراني في البناء السردي العام لمناماته.

❋❋ المنامات والنص العجائبي

ينسب يقطين المنام للنص العجائبي، وإن لم يبرر لذلك تبريرا كافيا، فهو يرى أنه:

- نص من طبيعة مختلفة.
- ويتخذ لذلك نسقا مختلفا يجعله أقرب للنص العجائبي أو اللغزي الذي يولد الحيرة.
- وعلى ضوء ذلك، فهو نصّ مستعصٍ على الفهم والتأويل[٢].

يتفق البحث مع يقطين بكون بعض المنامات نصا ينتمي لنسيج فكري فني يغاير النصوص السردية المعروفة، وهو نصّ رمزي مشبع بالدلالات والرؤى، الأمر الذي يقربه

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، ص٣٨٥.
(٢) تلقي الأحلام وتأويلها في الثقافة العربية، سعيد يقطين، ص١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعلا من اللغز المحير، إلا أن انسحاب ذلك على بعض النصوص المنامية لا يعني انسحابها على الكل، وسيثبت البحث في الفصول اللاحقة كون هذه النصوص المنامية نصوصا مؤدلجة تحمل أنساقا موجَّهة، مما يقربها من النص السردي الواضح إلا أنه محتفل بتقدمة تحيل لأجواء المنام، من مثل عبارة: "فكان أن رأى في المنام..."!. وسنقف كذلك عند نصوص لا تحتمل رموزا مغلقة فتنأى بذلك عن اللغزي الذي يولد الحيرة، وفي المقابل سنقف عند نصوص رمزية سيكون المؤول العارف البصير الذي غالبا ما يتصدر عبارة الرؤيا "تأويلها" قادرا على فكّ رموزها، فلا معنى لتأطير المنام بإطار النص الذي "سيستعصي على الفهم والتأويل"!.

وفي "الغائب" يقارب كيليطو بين المنام و"الحكاية العجيبة أو الخرافة"[١]، وأصل المقاربة مقبول إلا أن حيثياته تُناقش: فكليطو يرى أن الحلم بالنسبة للنائم "حقيقة" تستمر حتى اليقظة، أما في النصوص التي ندرسها فتتطور زمنية هذه الحقيقة لما بعد اليقظة، وذلك ثابت في نصوص عديدة ستكون محلا للدرس كتلك التي تحتفل بطقوس الشفاء، والعقاب، والجزاء... إلخ. إن هذا الامتداد الزمني الذي أحال أجواء المنام لساحة الواقع هو الذي جعل ستيوارت هولرويد يقر بأن هناك العديد من المنامات التي تتحدى مفاهيمنا حول النسبية والزمان والمكان![٢].

ثم يرى كيليطو أن من الأسباب التي دعت لهذه المقاربة كون زمنية الخرافة والحلم هو الليل، وهو صحيح في نصوص عديدة إلا أن المعروف بدهيا أن المشهد المنامي يتحصل عند النوم، والناس لا ينامون في الليل فحسب.. إننا ننام في أي وقت نشاء على امتداد اليوم والليلة، ولذا فليس غريبا أن تُعرض بعض النصوص المنامية المدروسة خارجَ الإطار الزمني المحدد، وكثيرا ما يقال: "فأخذته سنة من النوم فرأى.." هكذا دون إحالة للزمن! بل إن المنام في نصوص السيرة الشعبية مثلا يُستدعى وقت حاجة شخوص العمل للخلاص من أزمة معينة يتعرضون لها سواء أكان ذلك نهارا أم ليلا.

نتفق إذن على كون المنام نصا عجائبيا، ولكننا بحاجة لتبرير أقوى يقنع بهذا التصنيف:

ابتداء.. عرضت بعض النصوص لاقتران المنام بالعجائبي بالنص الصريح، ففي سيرة حمزة البهلوان يمرض الأمير حمزة مرضا شديدا يدعو وزيره العاقل "بزرجمهر" للإقرار بأن

(١) الغائب، عبد الفتاح كيليطو، ص١١-١٤.
(٢) عوالم الحلم، ستيوارت هولرويد، ص ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شفاءه سيكون "بأمل ضعيف جدا، ولا يكون شفاؤه إلا بعجيبة..."[١] لتكون هذه العجيبة زيارة الخضر –عليه السلام– وشفاء الأمير مما يشكو بإذن الله!. وفي الأميرة ذات الهمة يقر يانس المتعرب للأميرة أنه أسلم وأقبل طائعا بـــ "سبب عجيب وأمر غريب"[٢]، ويكون هذا العجيب هو المنام الذي رأى فيه مؤذنا يدعو للإسلام والإخبات إلى الله سبحانه!. وتحكي لؤلؤة جارية لآل أسامة بن منقذ عن العجائبي في منام رأته، فإذ يلحقها القولنج ترى من يبشرها ببرئها منه، وتقرن مع ذلك أحاديث عجائبية عديدة اطلعت عليها في منامها عبر أولئك الذين شاهدتهم والتقت بهم، بل إنها تصر على هذا العجائبي إذ تكرره في سياق قصير أكثر من مرة: "لا إله إلا الله! **ما أعجب** ما كنت فيه! لقيت أمواتنا جميعهم وحدثوني **بالعجائب**، وقالوا لي في جملة ما قالوا: إن هذا القولنج ما يعود يلحقك.."[٣].

العجيب إذن حاضر على صعيد اللفظ الذي يحيل لواقعية مشحونة بأجواء العجب، وهو ما نراه في مشاهد منامية عديدة جدا وإن لم توظف ذات المصطلح، سنرى في هذه المشاهد:

- ◆◆ عمليات شفاء تتم في المنام، وتتحقق على أرض الواقع.
- ◆◆ وفي المقابل، سيكون عقاب في المنام، ليتحقق على أرض الواقع مخلفا العمى والذبح.
- ◆◆ وستتكشف ستر الغيب في المنامات، وستكون تحفيزا هاما للسرد لا سيما في السير الشعبية، فتدفع لأحداث لم تكن لتتم لولا المنام، وانكشاف الغيب فيه.
- ◆◆ وسنقف على توصيف عجائبي لبعض الشخصيات المهولة التي تتفوق على الصورة الطبيعية! سنرى أشخاصا "مهولي الخلقة"، و"عمالقة"[٤]..

كل ذلك يدعو للقول بعجائبية النص المنامي، واعترافه بالخارق الذي يولّد مفارقة لدى الرائي الذي يتردد فعلا في تلقي هذه المنامات ما بين صدقها وعدمه، أو إمكانية حدوثها

---

(١) الأمير حمزة البهلوان، مج٣، ص١٤٢.
(٢) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٦٥١.
(٣) الاعتبار، أسامة بن منقذ، ص١٨٦.
(٤) عرضت لذلك بشيء من التفصيل لدى الحديث عن الشخصية العجائبية، ولذا آثرت أن أكتفي هنا بالإشارة الدالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعدمها ليتحقق المنام أخيرا على أرض الواقع بأجوائه المشحونة بالعجائبية [١]. وهو الشعور عينه الذي عرّف تودوروف العجائبي عبره، وعرض لتعريفات آخرين، فعنده أن العجائبي هو: "التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر"[٢]. وعن "كاستكس" الذي يعرف الحكاية العجائبية في فرنسا: "يتميز .. العجائبي.. بتدخل عنيف للسر الخفي في إطار الحياة الواقعية". وفي تعريف آخر لـــ "لويس فاكس": يحب القصّ العجائبي .. أن يقدم لنا بشرا مثلنا فيما يقطنون العالم الذي توجد فيه إذا بهم فجأة يوضعون في حضرة المستغلق عن التفسير"، وأخيرا عن "روديه كايو": "إنما العجائبي كله قطيعة أو تصدع للنظام المعترف به واقتحام من اللامقبول لصميم الشرعية اليومية التي لا تتبدل".

إن هذه القطيعة التي تفارق بين الواقع والمتخيل حاضرة بشكل جلي في نصوص المنامات، وظاهرة كذلك في تعليقات الرائين الذين يحكون عن مشاعر الصدمة لدى تحقق تجليات المنام المشاهدة تخيلا في أرض الواقع، لا سيما في حوادث الشفاء والعقاب، والغيب الذي ينكشف دوما، ويتحقق صدقا في واقعهم، ليسيّر حياتهم ويفعّل أحداثها.

وقد آثرت أن أرصد ظاهرة العجائبية منذ البدايات لتكون مدخلا شرعيا يؤهل لفهم نصيات المنامات ودلالاته في الفصول القادمة، إذ لن يتأتى لنا أن نفهم هذه النصوص ونقف على رمزياتها دون الدخول إليها عبر بوابة العجائبي.

---

(١) ذات الشروط التي تحكي عن العجائبي ركز عليها شرف الدين مجدولين حيث: خرق الإمكان، وتوليد البطل الخارق، وصور الأداة السحرية ... في تحليله صور الليالي، وأكّد على كون "صور الليالي" التي تستبطن الإيهام بالمطلق و**الحلمي** من المرتكزات الهامة التي تسهم في تخليق العجائبي لألف ليلة وليلة. انظر: بيان شهرزاد: التشكلات النوعية لصور الليالي، ص٦٦، وص٨٩.

(٢) مدخل إلى الأدب العجائبي، ص٤٤-٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنامات... إحالةٌ تاريخيةٌ

تجسّدُ الأحلام إرثاً بشرياً متساوقاً والبنية التركيبية للمجتمع الإنساني، وقد أرجعتنا أوليات القص الساردة لحكايا الرؤى والأحلام إلى بدء الخليقة متثملة بسيدنا آدم – عليه السلام– ضمن رؤية تأصيلية قصدية تُحيل إلى تلازم البدايات بالضرورة، فتحكي الرواية أن الله – تعالى– أوحى إلى آدم – عليه السلام –: "إنك قد نظرت في خلقي، فهل رأيت لك فيهم شبيهاً؟ قال: لا يا رب. وقد كرمتني وفضلتني وعظمتني، فاجعل لي زوجاً تشبهني أسكن إليها حتى توحدك وتعبدك معي. فقال الله – تعالى– له: نعم. فألقى عليه النعاس، فخلق منه حواء على صورته، وأراه في منامه ذلك، فانتبه وهي جالسة عند رأسه، فقال له ربه: "يا آدم! ما هذه الجالسة التي عند رأسك"؟ فقال له آدم: "الرؤيا أريتني في منامي يا إلهي"(١).

يسوق الثعلبي القصة في باب "صفة خلق حواء –عليها السلام–، وإن جرَّد الحكاية من الرؤيا المنامية، ويكون إدراك آدم لكينونة حواء –عليهما السلام– علما تميز به النبي الكريم وامتحنته الملائكة فيه: "فلما هبّ آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه، فقالت الملائكة يمتحنون علمه: ما هذه يا آدم؟ قال: امرأة. قالوا: وما اسمها؟ قال: حواء. قالوا: صدقت..."(٢).

وتعرض نيريس دي لكتاب artimedorous's oreiro- critica الذي يُعتقد أنه من أقدم الكتب الذي احتوى منامات سريانية وبابلية ومصرية قديمة، وقد تُرجم من اليونانية إلى الإنجليزية في القرن التاسع عشر، ليكون العمل الوحيد المتكامل عن الأحلام حتى ذلك الوقت(٣).

❋ ❋ تجليات المنامات في السياق التاريخي القديم

● في الحضارة اليونانية

تعتقد الأسطورة اليونانية بآلهة فاعلة للأحلام، قادرة على إسقاطها على المجتمع البشري والحيواني على حد سواء، وترسِّمُ الأسطورة (هبنوس) في دائرة مركزية تضطلع بالفعل الابتدائي الممهِّد للحلم، إنه الإله الفتيّ المنوِّم: "الذي يحلّق فوق الأرض غير مسموع

---

(١) الأحلام: تفسيرها ودلالاتها، نيريس دي، ص٧.
(٢) قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، ص٤٥.
(٣)الأحلام: تفسيرها ودلالاتها، نيريس دي، ص٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصوت، يحمل بيده تيجان أزهار الشقائق، فيسكب من قرنه شراب النوم، ويلمس برفق عيون الناس بعصاه السحرية، فيسري النعاس في عيونهم، ويُغْلِق أجفانهم بهدوء، ويغرقهم في سبات معسول"[١].

وتنسب الأسطورة لهبنوس أولاداً ثلاثة هم: مورفيوس، وفوميتور، وفانتازوس، الذين كانوا يرسلون الأحلام إلى البشر والحيوانات[٢]؛ ليكونوا الأداة الأكثر فاعلية في إنتاج الأحلام، وتشكليها وفق ما يريدون ويحقق لهم مآربهم الذاتية.

وفي إطار هذا التوليد يبرز الإله بان ابن الجنية دريوبا، الذي خرج للعالم بقدمي جدي، وبقرنين ولحية طويلة، وإذ كان نزق الطبع حاداً وَظَّفَ الكوابيس والأحلام المخيفة لتكون وسيلته في إنزال العقاب على أولئك الذين تحدوا إرادته، أو قاموا بإزعاجه وإقلاق راحته[٣]. إن فكرة توليد الأحلام عبر مصدر إلهي واردة في الحضارات عامة، وقد أشارت جين فنسينا إليها حيث أقرت تلقي الأحلام من قوة عليا غير بشرية طبيعية، وأن الأحلام بما تشكله من رؤى تشيع تاريخيا بشكل مقدس كأقوال الأنبياء –عليهم السلام–![٤].

في السياق الأدبي تتجلى الأحلام في الإلياذة بؤرة مركزية قادرة على تحريك الأحداث، بل وخلق أهم الانزياحات التي تتكفل في تشكيل واقعي جديد لم يتأتَّ للآلهة إفرازه ضمن المعطيات المادية المحسوسة، ويجسِّد الحلم المضلل الذي أرسله زفس لأجاممنون رؤية واضحة لاعتبارية الحلم في الملحمة الأسطورية، فزفس يدرك فيه – الحلم – الأداة الفاعلة لإقناع أجاممنون بتجهيز الأسلحة، والاستعداد للاستيلاء على طروادة. ولم يكن تلقي هذا الحلم الذي توخى زفس خلاله تعزيز قوة أخيلس فردياً قاصراً على أجاممنون، بل تعدى ذلك لإجابة جمعية أحلَّت الحلم المتشكل بطيف نسطور الحكيم وهو يدعو للحرب مكانة لائقة، تلقاها مجلس الزعماء بالرضى، ويتكلل اعتبارُ الحلم بتأييد نسطور ذاته الذي خطب في المجلس: "لو قُصَّ علينا غيرك هذا الحلم لحسبناه أضغاثاً، أما وقد رآه من هو بمقام الزعامة منا، فلندعُ القوم إلى السلاح"[٥].

---

(١) قاموس أساطير العالم، آرثر كورتل، ص١٧٤. وأشار إليه عماد حاتم إشارات متفرقة تصب على كونه النوم المصحوب بأسراب الكوابيس الثقيلة الرهيبة، وهو ابن لآلهة الظلمة. انظر كتابه: أساطير اليونان، ص٥٤– ٥٥ و ٦٩– ٧٠ و ١٤٤– ١٤٥.

(٢) قاموس أساطير العالم، آرثر كورتل، ص١٧٤– ١٧٥.

(٣) أساطير اليونان، عماد حاتم، ص١٤٤– ١٤٥.

(٤) Oral tradition as history, Jan Vansina, p٧ .

(٥) الإلياذة، هوميروس، ت عنبرة سلام الخالدي، ص٤٣– ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ هذه الإجابة الجمعية المنعقدة من قِبل أجاممنون ومجلس الزعماء والحكماء، لتشير بالضرورة إلى رؤية فيها إيمان مطلق بالحلم، وقدرته على الكشف، وإنتاج واقع مطابق حتمي التحقق، وإن أتى مضللاً كما في هذا المثال.

ومارس اليونانيون حضانة الحلم كما غيرهم من الأمم، في إشارة هامة إلى اعتقاد مقدس بحالة الحلم وتجلياتها. وتقوم حضانة الحلم أساساً على فكرة توجيه سؤال للرب حول مشكلات المرضى الصحية والاجتماعية، وعَبْر ممارسة طقوس خاصة في معابد الشفاء، كانوا ينتظرون جواباً إلهياً مقدساً على تلك الأسئلة، يستنزلونه عبر وحي المنام!. وفي اليونان اشتهر معبد أسكليبوس للشفاء، الذي يمارس فيه المرضى طقوساً شاذة تكمن في شرب النبيذ، وأكل اللحم، وممارسة الجنس، بالإضافة إلى طقوس خاصة في المياه الباردة، ثم تقديم القرابين، وحضور احتفالات الشفاء العجائبي، ليسكنوا أخيراً في مأوى خاص يحتضن أفاعي صفراء كبيرة غير مؤذية. وإذ ذاك يتجلى إله الشفاء أسكليبوس فيصف لهم الدواء، ويستيقظ البعض إثر جلسة علاجية في المنام ليجد نفسه قد برأ تماماً من مرضه(١).

❋❋❋

لم ينأ الفكر الفلسفي عن حالة الحلم ومحاولة سبر تجلياته، وإن تباينت الآراء ولم تشكل نظرية واضحة المعالم بينة الأبعاد فيه. فقد قرر أرسطوطاليس تأثر الحلم بالحالة الصحية للمرء، وفَسَّر تحقق الحلم التنبؤي بالمصادفة، أو السلوكيات الناتجة عن إيحاء الحلم ذاته، ولم يقبل بفكرة انبثاق الحلم من السماء، مخالفاً بذلك معلمه أفلاطون الذي اعتقد بمرجعية بعض الأحلام إلى أصل إلهي، وطرح فكرة "سمات الشخصية المكبوتة" التي تتجلى في الحلم، ليؤصل بذلك نظرية فرويد الذي جاء بعده بـــ ٢٣٠٠ عام حول الحلم، إذ يرى أفلاطون أن الرغبات المقموعة، والشهوات التي يحاول الإنسان تهميشها وعدم اعتبار شرعيتها تتبدى في النوم مستعلنة عبر الأحلام بعد أن تحرر المرء من القوانين والضوابط التي تقيد عقله الواعي. الأمر الذي دعا لاعتبار نظرية أفلاطون استهلالاً يكاد يكون حرفياً لفكرة فرويد القائلة: إنّ الأحلام تحقيق لرغباتنا(٢). ويرى ديمقريطس أن الأحلام متولدة من كائنات تسبح في الفضاء، وتهاجم الروح أثناء النوم، في حين يقر أبوقراط تولد الحلم بسببين رئيسين، حيث تنفرز

(١) الأحلام تفسيرها ودلالاتها، نيريس دي، ص٩– ١٠. وعوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ص٤٢.

(٢) اللغة المنسية، إريك فروم، ص١٠٦– ١٠٨. وانظر الحديث عن فرويد من هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحلام بسبب إلهي مقدس، أو نتيجة لوضع جسماني محض! [١]. وفي تحليل طبيعة الإنسان المستبد يمايز سقراط بين الشهوة المفرطة التي تتغلب على الجزء العاقل الأليف في النفس، فتنطلق من قيد الخجل والتأمل، وتُظهر في الحلم جرأة صادمة للتوقع، وبين الجزء العاقل في الإنسان الذي أسلم قياده للفكر والتأمل، وأيقظ الجانب الحكيم فيه، الأمر الذي يفضي بالضرورة إلى تشكيل عاقل للحلم، مفرَّغ من اللاشرعية التي يأباها العادل في واقعة المادي المحسوس[٢].

ويبرز العَرَّاف اليوناني أرتميدورس، ليكون من أهم الذين كرسوا أنفسهم لدراسة ماهية الحلم. قام أرتميدورس بزيارة مراكز الأحلام، واستشارة المفسرين، وجمع المخطوطات القديمة والمعلومات الهامة حول الأحلام. وخرج بتمييز الأحلام إلى أنواع خمسة: الرمزي (كما حلم فرعون حول الأبقار)، والتكهني (الوحي الإلهي)، والفنتازيا (تحقيق الأماني)، والكوابيس، والرؤيا النهارية. وميَّز كذلك بين أحلام الأرق والنوم، حيث تتأثر الأولى بالحالة الفسيولوجية والشؤون اليومية التي يتعرض لها المرء، بينما تحمل الثانية أفكاراً مجازية قد تكون تنبؤية تشير للمستقبل. وفي تفسير الأحلام ربط أرتميدورس الحلم بالظروف البيئية للفرد؛ بمعنى أنه أسقط الحالة الذاتية على الحلم ليمكن تفسيره ولم يقل بالفصل بينهما، ففي حديثه عن سياق معرفة المعبر بحال الرائي، قال: "... مما يضطره إليه الأمر أن يعلم معبر الرؤيا مَن الذي رأى الرؤيا؟ وأي شيء عمله؟ وكيف حاله؟ وكيف ذات يده؟ وكيف هو في بدنه؟ وأي شيء هو؟ وأن يبحث عن تفسير الرؤيا كيف هي؟ وذلك أن الزيادة اليسيرة التي تقع منها والنقصان اليسير يغيران ما تدل عليه الرؤيا"[٣]. وقال بالدلالات الجنسية للأحلام

---

(١) الأحلام، نيريس دي، ص١٠، وعوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ص٤٣– ٤٤. وانظر كتاب النوم والأرق، حسان شمسي، ص١٥١، وينابيع العبقرية، عادل الآلوسي، ص٤٩– ٥٥. وأورد محسن علي إشارات سريعة عن فكر الفلاسفة اليونانيين حول الأحلام في كتاب الأحلام، ص٥٦.

(٢) جمهورية أفلاطون، محمد مظهر سعيد، نظلة الحكيم، ص١٥٥– ١٥٦و ١٥٨. ويتقاطع ذلك مع ما ذكره عادل الآلوسي عن هوميروس الذي "ينظر إلى الأحلام بأنها تعبر عن روح الحالم، وقد تحررت من قبر الجسد أثناء النوم، ومع أن هوميروس رأى أن الأحلام هي رسائل من الآلهة، إلا أنّ الإنسان لا يستطيع استلام هذه الرسائل لولا تحرره من جسده". ينابيع العبقرية، ص٤٩– ٥٠.

(٣) تعبير الرؤيا، أرتميدورس الأفسسي، ترجمة حنين بن إسحاق، ص٣٦. وهو بذلك ينسجم مع رؤية ابن سيرين في ضرورة معرفة التفاصيل لكونها تؤثر في التعبير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كإشارة البذار والزراعة والحراثة للرغبة في الزواج. وقال في المقابل بإمكانية تفسير الحلم برؤية معاكسة لواقعه؛ إذ قد يشير الموت ضمن هذه الرؤية للحياة والنجاة(١).

وله في صفات المعبر مقال طريف ألزمه فيه بحسن الاستعداد والرياضة، وأن يكون عاقلاً فطناً غير لئيم، وألا يكون اعتماده على قراءة الكتب فحسب لاكتساب فنون العلم وأدواته، بل جعل المعتمد في ذلك القدرة الذاتية الكامنة، الدافعة لتعلم الصنعة، وقد سحب ذلك على كل الصنائع في إشارة دالة لحسن استكناهه طبائع الأشياء: "وذلك أن من ظن أن صناعة من الصنايع تتم له وتستوي من غير أن تكون طبيعته موافقة لذلك فقد ظنّ شيئاً لا يتم"(٢).

- **في الحضارة البابلية**

آمن العراقيون القدامى بوجود عالم علوي قادر على تشكيل منظومة خيرية للمجتمع البشري، وكانوا يربطون أحلامهم بهذا العالم، لتجسد رؤاهم بذلك فكرة الوحي والرسالة من إمبراطورية الروح. ومن تجليات هذا العالم العلوي في مجال الحلم إسقاطه للحلم التنبؤي على المجتمع الإنساني، الذي ينهض لتحذير العراقيين من الكوارث المستقبلية. وإزاء هذه الأهمية المرتبطة بحياتية المجتمع، ساد وعي شعبي عام بفكرة الحلم أفضى لوجود مفسرين محترفين يتحملون مسؤولية أدبية تجاه الأحلام لا سيما التنبؤية منها.

واعتمد المجتمع العراقي على مفتاح لتفسير الأحلام ظهر منذ عام ١٧٠٠ ق.م. في وادي الرافدين، ويُجمل الدارسون وظيفة هذا المفتاح في جانبين: يتجسد الأول في تأمل الوضعيات العامة للحالم، وإدراك المعنى العام للحلم، أما الجانب الثاني فيتمثل في إعطاء علامة رمزية أو رقمية لكل صورة ارتأت للحالم، ليقوم المفسر على ضوء تلك العلامة باستخراج المعنى الرمزي للحلم(٣).

---

(١) عوالم الحلم، ستيوارت هولروید، ص٤٤– ٤٥. واللغة المنسية، إريك فروم، ص١١٢– ١١٣.

(٢) تعبير الرؤيا، أرتميدورس، ص٣٩. وانظر كتاب التعبير في الرؤيا أو القادري في التعبير، لأبي سعد نصر بن يعقوب الدينوري القادري، فقد اقتبس آراء عديدة لأرتميدورس مثل الحديث في الرؤيا الظاهرة ومن يُقبل قوله فيها ٩٣– ٩٤، وفي ذكر أصناف الرؤيا الباطلة ٩٧.

(٣) الأحلام، محسن علي، ص٥٣– ٥٤. ويرى بيير داكو في كتابه: تفسير الأحلام، أنّ مفاتيح المنامات: "نوع مضحك – من التفسير – بصورة صريحة"؛ لاستحالة أن يقع ذات التفسير لكل الحالمين بذات الحلم، ومَثَّل لذلك بحلم وقوع الأسنان الذي كثيراً ما يتكرر، فإذا كان وقوع الأسنان مساوياً للموت، فمعنى ذلك تفريغ القارة الحالمة من الناس!! وإنْ رأى أن دراسة معاجم مفاتيح الأحلام مهمة للدارس إجمالاً. انظر ص١٢– ١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الأدبيات البابلية ارتكزت ملحمة جلجامش عَلَى سلسلة من الأحلام التنبؤية انسحبت عَلَى العمل كله وشَكَّلت بنية الحدث على ضوئها، إذ قامت تلك الأحلام بتصعيد مفردات الملحمة، وقدمت للمتلقي تعرُّفات مسبقة منبنية عَلَى ضرورة تحقق الحلم، فلحظة سرد الحلم كانت بالضرورة كشفاً للقصّ الملحمي الآتي.

تبتدئنا الملحمة باستباق كاهنة الحب حلم جلجامش الذي يرى فيه أنكيـــدو قبل وصوله أوروك، وفي لحظة انتهاء هذا التنبؤ يتولد سرد جلجامش حلمه الذي يقصه على أمه:-

"أماه، رأيت في ليلة البارحة حلماً...
كانت السماء حاشدة بالنجوم
وكشهاب آنو الثو الثاقب واحد منها انقض علي...
تجمهر الناس حوله
تدافع الجميع إليه
أحاط الرجال به
وبينما رفاقي يقبلون قدميه
ملت عليه كما أميل على امرأة
وضعته عند قدميك
فجعلته بنفسك لي ندا"(١).

وتعمد الملحمة إلى إيجاد نسق متوحد يُتبع الحلم تفسيره، وهنا تتولى ننسون الحكيمة أم جلجامش تفسير الحلم والتكهن بقوة أنكيدو وإخلاصه:-

"... لقد ملت عليه كما تميل على امرأة
وهذا يعني أنه لن يتخلى عنك قط
هذا هو معنى حلمك"(٢).

وفي حلم آخر مؤكد للأول، يرى أنكيدو فأساً مطروحة يتجمع حولها أهل أوروك ويميل إليها ثانية في حركة تماهٍ واضح مع الرؤية الأولى، ويجيء لذلك التفسيرُ متسقاً، لتقر ننسون الحكيمة أن معنى ذلك:

"رفيق عتيّ يعين الصديق عند الضيق

(١) قراءة في ملحمة جلجامش (النص)، فراس السواح، ص١٠٢- ١٠٣.
(٢) المصدر السابق، ص١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقوى من في الفلاة ذو بأس عظيم..." [١].

في اللوح الخامس يقص جلجامش حلمين، فُقد الأول في المتن، وفي الثاني يرى وقوفه وأنكيدو في مسلك جبلي، حيث يسقط الجبل أخيراً، وإذ يدرك المتلقي هذا الحلم إثر تأكد إرادة جلجامش مقتل خمبابا الظالم، يكشف بشكل بدهيّ تفوق الصديقين وانتصارهما على خمبابا، وهذا ما يفسره أنكيدو:

"إن الجبل الذي رأيت أيها الصديق هو خمبابا
سوف نمسك بخمبابا، سوف نقتله
ونرمي بجثته في الفلاة..." [٢].

تُصَعِّد الملحمة أحلام أنكيدو المتكهنة بموته، وتسردها برؤى قصصية متعددة تميل إلى تحقق مأساة فنائه لتخلق بذلك عقدة النص، ففي نهاية اللوح السادس يُجمل أنكيدو بؤرة الحلم: "أي صديقي! لماذا جلس الآلهة الكبار يتشاورون"[٣]؟، هذا الإجمال، يستتبع توسعاً سردياً قاصاً حيثيات اجتماع آنو وإنليل وإيا وشمش السماوي، وفيه يبرر آنو إرادة موت أحد الصديقين، ليقرر أنليل نهايةَ كونَه أنكيدو، أما جلجامش فلا[٤]. وفي تشكيل آخر لموت أنكيدو، يرى نفسه أمام شيطان الموت الذي قاده لبيت الظلام حيث لن يرجع ثانية ليرى النور![٥].

هذا الاحتفال الملحمي بالحلم، وتفسيره نصياً، لينكشف واقعاً يحياه أبطال النص، يتماهى بالضرورة مع ما قدمنا من إدراك العراقيين عموماً لأهمية الحلم، والإيمان بقدرته على الكشف والتنبؤ، الأمر الذي يبين إيماناً جمعياً حضارياً بتجليات الحلم، وإسهامه في بناء الأفراد على الصعيد النفسي والمادي معاً.

- **في الحضارة المصرية**

في مصر، اعتقد الناس بآلهة للأحلام، وكشفت نصوص هيروغليفية قديمة حضور تفاسير للأحلام، حيث اتخذ الشكل الظاهر للحالم في المنام صورة أو رمزاً في تلك الكتابة،

---

(١) قراءة في ملحمة جلجامش، فراس السواح، ص١٠٤- ١٠٥.
(٢) المصدر السابق، ص١٤٢.
(٣) المصدر السابق، ص١٥٨.
(٤) المصدر السابق، ص١٥٩.
(٥) المصدر السابق، ص١٦٦- ١٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقابله ما يمكن أن يفسره من موضوعات مادية كالحيوان أو الإنسان[١]. كما مارس المصريون حضانة الحلم في تشكل واضح لإرادة استنزال أجوبة إلهية مقدسة عبر المنام، فوجدت معابد خاصة كُرِّست لتلك الحضانة، ووُجد كهنة مقيمون عرفوا بـــ "أسياد الأشياء السرية"، يضطلعون بمهام وظيفية في تلك المعابد لتفسير الأحلام وتحليلها. ولا شَكَّ أن الحالمين كانوا يقومون بطقوس عجائبية في تلك المعابد لتتجلى آلهة الشفاء بأعمال شفاء عجائبية استجابة لهم، ومما يدعم ذلك وجود آثار مدرج قرب معبد هاثور يكشف أعمال الآلهة تلك في الشفاء المرتجى للحالم[٢].

وبلغ من عناية المصريين بالحلم أن وضعوا فهارس وتفاسير للأحلام، ولعل أول تفسير وُضع يرجع إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد، وفيه مَيَّز المفسرون بين الأحلام الجيدة والرديئة، وأقاموا اعتباراً لحالة الحالم النفسية والاجتماعية، بمعنى أنهم لم يدرسوا الحلم بوصفه نصّاً رمزياً منفصلاً عن صاحبه، وهي طريقة علمية متبعة في تفسير الأحلام عند المحدثين.

تعكس دراسة التفاسير المصرية للأحلام مبادىء عامة اعتقد بها المصريون، لعل من أهمها:

- تفسير الحلم بشكل معاكس لواقعه، ليحيل الذهب والمال بذلك إلى الفقر، والرقص والغناء إلى المصيبة، وهكذا...
- ضرورة أن يكون مفسر الحلم عارفاً بالسحر وأسراره، ولذا، أطلق على الكهنة المختصين بالتفسير لقب "أسياد الأشياء السرية" كما أشرت سابقاً أو "معلمي الأسرار الخفية".
- كون الأحلام مرجعية نفسية مادية هامة، يُرتكز عليها لحل إشكاليات مجتمعية، وفي الغالب، يُطلب إلى معلمي الأسرار الخفية حل رموز الحلم لبناء حلول واقعية محتاج إليها لا سيما عند انتشار حالات الخوف والقلق والأزمات العامة[٣].

❋❋❋

(١) الأحلام، محسن علي، ص٤٨.

(٢) عوالم الحلم، ستيوارت هولروید، ص٤١– ٤٢. وانظر الأحلام، نيريس دي، ص١١.

(٣) الأحلام، محسن علي، ص٥٠– ٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تختزل قصة يوسف عليه السلام* وعي المصريين بالحلم، وقدرته على الكشف، وإحداثه منعطفات هامة علّى الصعيد الذاتي والمجتمعي بشكل عام، وهي قصة تقوم أساساً على فكرة الحلم الذي يشكل سلسلة من الأحلام الجزئية يفضي بعضها للآخر، في خط درامي متسق يكون يوسف – عليه السلام– محوره المركزي الذي تنمو فيه شخصيته على ضوء تصعد قدرته على التأويل الحلمي، وإن كان في بداية القصة منتجاً له لا مفسراً إياه. تمثل القصة ثلاثة أحلام رئيسة، هي على التوالي:– رؤيا يوسف – عليه السلام – لسجود أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له، ثم حلم السجينين اللذين رافقا يوسف في سجنه حيث رأى أحدهما أنّ الطير تأكل من رأسه، والآخر أنه يسقي ملك مصر خمراً، وأخيراً حلم الملك بالبقرات السبع العجاف اللاتي يأكلن البقرات السمان، وسنابل قمح خضراء سبع تليها سنابل قمح يابسة. وفي كل حلم ينبني مصير هام للحالم، فيتحقق ليوسف سجود الأخوة – أحد عشر كوكباً – والأم والأب آخر القصة في انغلاق دائري محكم مع البدايات، ومما لا شك فيه وعي يعقوب عليه السلام بتفسير الحلم، ينكشف ذلك من خلال تحذيره ابنه بقص الرؤيا على أخوته الذين لمس فيهم شعور الغيرة والحسد، وفي الحلم الثاني يأتي التفسير ليحدد مصيراً ذاتياً ينحكم بالموت لأولهما، وبالحياة وخدمة الملك للثاني، وأخيراً يُجسد حلم الملك واقعاً اقتصادياً لمصر عموماً، حيث سنوات القحط السبع بعد سنوات الخير والعطاء(١).

لا شك على ضوء ما ذُكر أن القصة تعكس إيماناً خاصاً بالحلم، واحتفالاً به، يستدعي وقوفاً عند حيثياته وإدراكاً لمراميه لا سيما في إصرار الملك على إدراك ملابسات رؤيته، وعدم اكتفائه بقول العرّافين والحكماء بخرافيته وكونه أضغاث أحلام!!، وهو إيمان ينسحب على طبقات المجتمع عموماً ليكون ذلك إشارة دالة على رؤية اعتبارية خاصة للحلم آنذاك.

---

* انظر تفاصيل القصة في سورة يوسف عليه السلام، ج١٢ و ١٣.

(١) يخضع البعض حلم فرعون للدراسة من وجهة نظر نفسية، وكذا الأحلام التنبؤية عموماً، ويرون على ضوء ذلك أن الحالم يملك حدساً داخلياً بما سيجري، ويجيء الحلم ليكشف هذا الحدس، ليكون بذلك دالاً على معرفة كامنة مسبقة، ومن ذلك تعليق إريك فروم: "ألم يكن بوسع هذا الملك المصري أن يكون مطلعاً على بعض العوامل التي من شأنها أن تؤثر في السنوات المقبلة على شروط خصوبة التربة؟ ألم يكن من الممكن أن تكون معرفته الحدسية هذه ذات قيمة بالنسبة له وحده بحيث أسفرت عن خلاصة معينة عندما استولى عليه النوم؟!". اللغة المنسية، ص١٠٢– ١٠٣. وانظر الأحلام التنبؤية من هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

● **في العصور الوسيطة**

تفارق الرؤيةُ المقدسةُ الأحلامَ في العصور الوسطى عَلَى يد الكنيسة التي صبّت لعنتها على الأحلام(١)، وحكمت بالهلاك عَلَى أولئك الذين يمارسون وظيفة التفسير، إذ ربطت الكنيسة بين الحلم والسحر ربطاً وثيقاً أهَّلها لأن تضيّق الخناق على تداول التفسير بشكل مبرر(٢). وانزاح مفهوم الحلم عَنْ مَعْنى المشاهدة في المنام ليشكل مقوماً شعبياً جديداً يشير إلى استحالة تحقق الأمر، وإن كان الحلم في جوانب منه يشكل رؤية أسطورية لا يمكن تحققها، إلاّ أن قصر المصطلح على معنى الاستحالة فحسب يختزل الحلم وتجلياته(٣)، مما يشير إلى تراجع اعتبارية الحلم في هذه العصور، وعدم الإيمان الرسمي بقوتها الخلاقة عَلَى توصيف الواقع أو التنبؤ بالمستقبل!!.

في المقابل، لم تتبنَّ اليابان في العصر الوسيط اعتقاد الكنيسة بالحلم، بل آمنت به، ومارست طقوس حضانته في معابد الشنتو والمعابد البوذية على حد سواء، وقبل ظهور البوذية كان الإمبراطور الياباني هو الذي يتبنى عملية الحلم؛ إذ كانت الحضانة جزءاً وظيفياً من عمله الرسمي، حيث اشتمل قصره على قاعة خاصة للأحلام، زودت بسرير خاص لعملية الحضانة عُرف باسم كامودوكو، الأمر الذي يَدلُّ عَلَى قناعة مقدسة بالحلم الذي يستنْزل الإله آمونون يوشي ليرسم للحالم الإمبراطور/ الشعب سبيل النجاة، والإجابة عن السؤال المقدس الذي وَجهه للإله عبر الحلم! (٤).

❋❋ **المنامات في المنظور الإسلامي**

● **في القرآن الكريم**

للرؤيا حضور في آيات كريمة عديدة، وفي جُلّها تمركزت حول مفهوم الرؤيا التي تكون في المنام، وقد جاءت مرة واحدة لتشي بمفهوم رؤيا العين في قوله تعالى:- "**وما جعلنا**

---

(١) الأحلام، نيريس دي، ص١٩.

(٢) الأحلام، محسن علي، ص٤٨.

(٣) الأحلام، نيريس دي، ص٢٠.

(٤) المصدر السابق، ص٢٠- ٢٢. وانظر النوم والأرق بين الطب والقرآن. حسان شمسي، ص١٥٢، وقد اعتمد على نيريس دي في المعلومات التي سردها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس..."[١]، إذ قال المفسرون بحقيقة الرؤيا التي أكرم الله سبحانه بها نبيه في رحلة المعراج للسموات.

والرؤيا كما وردت في الآيات الكريمة رؤية حلمية ارتبطت بالأنبياء الكرام بشكل رئيس، لتحيل بذلك إلى الوحي، ولعل رؤيا إبراهيم –عليه السلام– تزخر بالإشارات التي تؤكد ذلك وتدعمه، فالبدايات الكريمة تعكس رؤية حلمية: "**إني أرى في المنام أني أذبحك...**"[٢] تولّد إذعاناً من إسماعيل عليه السلام، ويقيناً بكونها إرادة إلهية ملزمة: "**قال يا أبت افعل ما تؤمر**"، فالرؤية إذن وحي/ أمر، وهذا بالضرورة يدفع إبراهيم لإنفاذه وإجابته، حيث تمَّ إسلام إسماعيل للذبح، حتى إن بعض المفسرين يقول ببلوغ الاختيار غايته، حيث لم يفدِ الله إسماعيل إلا بعد أن مَرَّر إبراهيم – عليهما السلام– السكين على عنق ابنه، ليتم إثبات ذروة التسليم والخضوع لجلال الله، الذي كشف كرب هذا الاختبار بسلب خاصية القطع في السكين أولاً، ثم بالفداء ثانياً.

وأخيراً، يجيء الخطاب القرآني موافقاً للفعل المنبني على الحلم في إشارة دالة لكونه وحياً يستلزم مثل هذا الإذعان من النبي الكريم، بل ويكون إحساناً مأموراً به: "**وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين**".

ومن ذلك قوله تعالى: "**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام...**"[٣]، بذات التشكيل السابق، تتولد مفردة الرؤيا، التي تؤطر بالتصديق وإن كان التصديق هنا من الله جل شأنه، ومن إبراهيم في الآية السابقة، ومن لطائف السياق التاريخي المرتبط بالرؤيا في هذه الآية الكريمة، أن الصحابة لم ترضَ نفوسهم بصلح الحديبية، وحَاجَّ بعضهم الرسول الكريم بالرؤيا التي أراه الله سبحانه بأنه يدخل المسجد الحرام، مما دفع الرسول الكريم لأن يقول: «أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟!»[٤]. ولا شكّ أن ذلك يعكس إيماناً مجتمعياً يسلّم برؤيا الأنبياء، ويرى كونها حقاً واقعاً بالضرورة. أمّا تصديق الرؤيا في الآية الكريمة السابقة فقد كان في الفتح المكي في السنة العاشرة للهجرة.

---

(١) ج١٥، الإسراء، آية ٦٠.

(٢) ج٢٣، الصافات، آية ١٠٢. وانظر تتمة قصة الحلم حتى آية رقم ١٠٧.

(٣) ج٢٦، سورة الفتح، آية ٢٧.

(٤) قالها صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب، تفسير ابن كثير، ج٣، ص٣٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد سبقت الإشارة لقصة يوسف –عليه السلام– التي انبنت على رؤية مركزية أفضت إلى مجموعة جزئية من الرؤى، كانت بدورها دافعة للحدث الذي وَلَّدَ إحقاق الحلم المركزي بشكل واقعي، فإذ يرى يوسف – عليه السلام – في ابتداءات القصة أنّ الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً يسجدون له، تتحقق الرؤيا بعد سلسلة من الأحداث تتبني بشكل رئيسي على أحلام متعددة، يضطلع يوسف بتفسيرها، ليكون التفسيرُ الأداةَ الإلهية التي يتزاح عبرها واقع يوسف عن السجن والإقصاء، ليُستدخل في مساحة الضوء ويكون قيماً عَلَى خزائن مصر؛ يواجه يوسف حلم السجينين بتفسير دقيق يتحقق فعلاً، ويستدخله هذا التفسير لمواجهة رؤية أهم تتعلق بملك مصر، وينفرز ثانية تفسير أشد خطورة من السابق إذ يتعلق الآن بمستقبل مصر لسنوات سبع قادمة، ولربما كانت مصر ستعيش أزمة اقتصادية خانقة لولا هذا التدبير الذي أشار إليه يوسف في تفسير رؤيا الملك!.

وغني عن القول إنّ احتفال السورة الكريمة بهذه الأحلام، يتماهى مع السياق التاريخي الذي يكشف اعتقاد المجتمع المصري برمته بقداسة الرؤى، وأهميتها في حياتهم كما أشرت لذلك سابقاً لدى الحديث عن واقع الحلم عند المصريين القدماء(١).

في تشكيل جديد لوظيفية المنام في القرآن، يجعل الله سبحانه الرؤية في سورة الأنفال مغايرة للحقيقة، بشكل قصدي مراد، يحقق الإرادة الإلهية التي تبغي خلق دافعية القتال والمواجهة في نفوس المؤمنين في أول لقاء عسكري لهم مع المشركين في موقعة بدر، ويكشف الله سبحانه عن تلك الإرادة المقدسة ومبرراتها بوضوح في خطابه الكريم لمحمد – صلى الله عليه وسلم– حيث يقول: "**إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر...**"(٢).

الحلم إذن معتبر في النص القرآني، وهو يعكس رؤيا الأنبياء –عليهم السلام– في جل الآيات الكريمة التي عرضت لها، وهي رؤى مرتبطة بالضرورة بالوحي، الأمر الذي يحيل إلى حتمية وقوعها وتحققها، وقد انبنى على بعضها حكم تشريعي كما في قصة الفداء، وسياق تاريخي كما في فتح مكة المكرمة، وتدبير اقتصادي كما في حكاية يوسف –عليه السلام– في

---

(١) انظر ج١٢و ١٣ سورة يوسف، والقصة والحلم عند المصريين من هذا البحث.

(٢) ج١٠، سورة الأنفال، آية ٤٣. وانظر ذات المنامات الكريمة في أحلام الأنبياء والصالحين، أحمد عوض الله الصباحي، ص١٩ وما بعدها، فقد أوردها ذاكراً بعض التعليقات عليها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصر، لتكون بذلك تنبؤية استبصارية تكشف عن واقع غيبيّ، متماهٍ مع حيثيات تلك الرؤى وتفصيلاتها الدقيقة!.

- **في الحديث الشريف**

البدء بالرؤيا دليل قوي على اعتبارية الحلم في النبوة الشريفة، فعن عائشة – رضي الله عنها– قالت: "أول ما بدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح..." [١]. وقد جعل الرسول الكريم الرؤيا الصادقة من النبوة: "الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. الرؤيا من الله"[٢]. وفي رواية عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يقول: "لم يبق من النبوة إلاّ المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة"[٣].

يعكس النص الشريف احتفالاً جمعياً خاصاً بالحلم اتسم بالقداسة لانضوائه العام تحت فكرة كونه جزءاً من النبوة، ولتحديد الرسول الكريم ذاتِه معالمَ الحلم، وترسيم شخصية إسلامية متميزة متأطرة بتصنيف وتعبير، وآداب مرتكزة على الفكر الإسلامي. ومما يدلل على ذلك حديث طريف رواه سَمُرَة ابن جندب يشير لانعقاد مجالس تبادل فيها الرسول الكريم والصحابة أحاديث شفاهية كانت الرؤيا محورها، والرسول الكريم منتجها ومحقق دافعيتها في إشارة دالة لمكانتها، واعتبار تجلياتها، وانفساح مساحة طرحها لدى المتلقي الذي يقيم حديث الرسول الكريم مصدراً من مصادر التشريع لا ضرباً مجرداً من أدب المجلس. قال: "كان رسول الله مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص..." [٤]. وتحمل ألفاظ الحديث دلالات خاصة تشير لتوالي السرد وتتابعه،

---

(١) صحيح البخاري، مج٣، ص٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص٣٨، ٣٩. يقدم ابن خلدون عدة روايات في العدد الوارد في الحديث الشريف، فالرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً تارة، وثلاثة وأربعين، وسبعين تارة أخرى، وفي تفسيره لذلك يرى أن المقصود هو الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل السبعين حيث وظف العرب هذا الرقم بقصد التكثير خصوصاً، ويُخطّىء الذين ذهبوا إلى حساب زمني لتأويل العدد فقالوا إنّ الوحي بُدىء بالرؤيا لستة أشهر ومدة النبوة تامة ثلاث وعشرون، فنصف السنة (٦ أشهر) على ضوء ذلك جزء من ستة وأربعين، ويعلل لتخطيئه هذا كتوجه بأنه حساب زمني محض بعيد عن روح الارتباط الحقيقي مع النبوة، كما أننا لا نعرف يقيناً أن ذات المدة وقعت لغير النبي محمد من الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–.

(٣) صحيح البخاري، مج٣، ص٤٠.

(٤) المصدر السابق، ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنتاج قصّ متعدد الرؤى والأبعاد، فالرسول كان كثيراً ما يسأل استعادة الرؤيا بقصها، والصحابة بالتالي كانوا كثيراً ما يعيدون إنتاجها، وتحويلها من رؤية بصرية لحكاية لفظية!.

إزاء هذا الاهتمام بسرد القصة الحلمية، توالى القص، ومما يلحظ على كتب الحديث روايتها لنوعين من الحلم وإن لم تمايز بينهما في التصنيف، فهناك أحلام سُردت وأولت على اعتبار مطابقتها الواقع وما هو كائن، وأحلام أوّلت بما سيكون، بمعنى أنها تشكلت حلماً تنبؤياً استبصارياً قادراً على تلمس أحداث مستقبلية. فمن أحلام الضرب الأول رؤية أم العلاء الأنصارية لعثمان بن مظعون إثر موته أن له عيناً تجري، وأوّل الرسول الكريم الرؤيا قائلاً: ذلك عمله[١]. ومنه رواية ابن عمر قال: "سمعت رسول الله يقول: بينا أنا نائم أتيتُ بقدح لبن فشربت منه، حتى إني لأرى الريّ يخرج من أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي -يعني عمر-. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم"[٢]، ومنه تأويل الرسول الكريم القميص بالدين، والمرأة السوداء ثائرة الرأس بالوباء[٣].

ومن الأحلام التنبؤية التي كان لها دور وظيفي مقصود في تسكين نفوس المسلمين وقت الضعف والشدّة ما ورد في الحديث: «أعطيت مفاتيح الكلم، ونُصرت بالرعب، وبينما أنا نائم البارحة إذا أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي». يعلق أبو هريرة قائلاً: "فذهب رسول الله وأنتم تنتقلونها"[٤]. ومنه رؤيا النبي: «بينا أنا نائم رأيتُ أنه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما، فأذن لي فنفختهما، فطارا: فأولتهما: كذابين يخرجان». فقال عبيد الله ممن سمع الرؤيا: "أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن، والآخر مسيلمة"[٥]. والحديث مُركَّب يكشف الاستبصار ابتداء فالتأويل الذي أكده عبيد الله. وغير ذلك في الباب كثير.

ومن تجليات الاحتفال بالرؤيا تعبيرها، وهو ما شَقَّت عنه الأحاديث السابقة، فكان الرسول الكريم يعبر الرؤيا وكذا الصحابة، وتكفي هنا رواية ابن عمر التي تشير إلى سعة اهتمام الرسول الكريم بالرواية الحلمية وتأويلها متقاطعة بذلك مع دلالة الرواية التي سبق ذكرها ومنها أن رسول الله كثيراً ما كان يسأل عن الرؤى المشاهدة، قال: "إن رجالاً من

---

(١) صحيح البخاري، ص٤٣- ٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص٤٥.
(٣) المصدر السابق، ص٤٥، و ٥٣.
(٤) المصدر السابق، مج٣، ص٤٣.
(٥) المصدر السابق، ص٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصحاب رسول الله كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله، فيقصونها على رسول الله، فيقول فيها رسول الله ما شاء الله"[١]. ومن تعبير الصحابة ما ورد عن أبي بكر الصديق في أنه فَسَّر الظلة التي تنطف سمناً وعسلاً والناس يأخذون منه بقدر بأن الظلة الإسلام، والذي ينطف السمن والعسل القرآن حلاوته ولينه، والناس على أقدارهم في أخذهم القرآن الكريم والعناية به. فالمستكثر والمقل! [٢]، وما ورد بصريح اللفظ الشريف عن ابن عباس أن رسول الله كان مما يقول لأصحابه: "من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له"[٣].

صنف الرسول الكريم المشهد الحلمي إلى ثلاثة أقسام: "والرؤيا ثلاثة: فرؤيا[٤] الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه..." [٥]، وتكشف جل الأحاديث عدا المذكورة عن كونها اثنتين: "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان..."[٦]، ويكشف هذا التمييز عن اصطلاح ديني لمفهوم الرؤيا والحلم، بالرغم من توحد الدلالة اللغوية بينهما كما عرضت لذلك في رأي ابن منظور، فالرؤيا دينياً من الله، والحلم من الشيطان، وإن كان الاثنان يحيلان للمشهد البصري المتخيل الذي يراه الرائي في المنام. ومما يجدر الوقوف عنده الدلالة الوظيفية التي اضطلعت بها الرؤيا/ الحلم بحسب مصدرها، لتكون بشرى إذا كانت من الله سبحانه، وحزناً وهماً إذا كانت من جانب الشيطان!.

وعلى ضوء هذا التقسيم، تبلورت مجموعة من الآداب أبانتها سياقات نصية عديدة، انفرزت لقسمين رئيسين بحسب نوعية الرؤيا/ الحلم، وإن كانت في جلها تعالج الحلم الشيطاني، مما يتسق ومنهج الرسول الكريم في تخليق شخصية إسلامية متوازنة ترجح عندها السكينة على الروع والحزن!. ولكثرتها أبتدىء السياق بها، فمن رأى حلماً كرهه:

- فلينفث عن يساره ثلاثة. وفي رواية
- وليتعوذ بالله من شره، فإنه لا يضره. وفي رواية
- ولا يخبر به أحداً. وفي رواية
- وليتحول عن جنبه الذي كان عليه وفي رواية

---

(١) صحيح البخاري، ص٥١.
(٢) صحيح مسلم، ج١٥، ص٢٨.
(٣) المصدر السابق، ص٣٠.
(٤) هكذا وردت، وقد تكون (فالرؤيا) بالتعريف لا بالتنكير.
(٥) صحيح مسلم، مج١٥، ص٢٠- ٢١.
(٦) المصدر السابق، ص١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وليقم فليصل[١].

ومن رأى رؤيا أحبها:

- فليبشر.
- ولا يخبر إلاّ من يحب[٢].

ومن أدب الرائي ألاّ يكذب رؤيته سواء أحبها أو كرهها، وقد تَعَلّل ذلك بكون الرؤيا من الله، فالادعاء فيها ادّعاء على الله سبحانه، وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم: "من تَحَلَّم بحلم لم يره كُلِّفَ أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل"[٣]. وقال: "من أفرى الفِرى أن يُري عينيه ما لم تَرَ"[٤].

أفرد البخاري باباً عنونه بـــ "باب التواطؤ على الرؤيا"، وفيه "أنّ أناساً أروا ليلة القدر في السبع الأواخر، وأن أناساً أروا أنها في العشر الأواخر. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم–: "التمسوها في السبع الأواخر"[٥]. وهو باب دالّ يطرف الحديث فيه وإن أتى البخاري عليه عجلاً. وسيأتي ذكر التواطؤ على الحلم، وكيف أنه يعكس قدرة كامنة في الذات قد تكون جمعية يشترك فيها مجموعات عديدة من الناس، مما استدعى بعض العلماء لإنشاء مراكز يستبطنون فيها هذه الأحلام، ويقدرون أهميتها وتقريبية حدوثها لدى تصنيف العوامل المشتركة فيها، إذ تشكل نظام إنذار مبكر قائم على الحدس والرؤية المنامية.

لم تكن رعاية النص الشريف للرؤيا عابرة، بل أسست لرؤية إسلامية واضحة اهتمت بها، وعبَّرتها، وصنفت أنواعها، وأطَّرت آداب التعامل معها، واحتفلت بها جمعياً في المجالس النبوية العامة، في إشارة دالة تستبطن الإيمان بها، كيف لا وهي تتصل بالنبوة المقدسة، وتتشكل جزءاً منها كما كشف عن ذلك النص الشريف بلفظ صريح في الكتب الحديثية الصحيحة.

---

(١) على التوالي: صحيح مسلم، ج١٥، ص١٦، ١٩، ٢٠، ٢١.

(٢) صحيح مسلم، ج١٥، ص١٩.

(٣) صحيح البخاري، مج٣، ص٥٤.

(٤) المصدر السابق، ص٥٤. وانظر الباب تاماً في الصحيحين، ففيه آثار عديدة تقدم مزيداً من الأمثلة الدالة على ما ذهبت إليه أعلاه.

(٥) المصدر السابق، ص٤٠– ٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❋❋ المنامات في الفكر الصوفي

احتفل الصوفيون بالرؤيا الصالحة المؤيَّدة بالنور الإلهي، وعرفوها تجلياً واضحاً للوحي إذ هي جزء من النبوة، وكانت لأوليائهم نوعاً من الكرامات.

وآمن الصوفي بوظيفية الرؤى التي تشكلت أداته للكشف عن ذاته، والوقوف على حقيقة مقامه؛ ليتخذ إثر هذا الاستبطان وسيلة علاجية يرقى بها مقامه ويصلح حاله. وعلى ضوء ذلك تصدق رؤية الصوفي وإن كان متبعاً لهواه، وتتشكل دعوة رمزية لضرورة الإصلاح، فإذا رأى في منامه – على سبيل المثال – أنه الرب، تأولت رؤيته بأنه ممن اتخذ إلهه هواه، الأمر الذي يستوجب الرياضة، ومدافعة اللذات(١).

وفي تجلية مفهوم الحلم يعمد ابن عربي لقلب المصطلح المعروف لدى العامة، اتكاء على الحديث الشريف: "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"(٢)، وبذلك فالدنيا بواقعها "حلم يجب تأويله" كما عنون لذلك في الفتوحات، و "الإنسان نائم أبداً ما لم يمت"(٣)، وعلى ضوء الأثر الشريف "الدنيا عِبْرَة" يرى ابن عربي أنّ الدنيا تعادل بذلك "جسرا يُعْبَر"، أي: "تعبر – الدنيا – كما تُعَبّر الرؤيا التي يراها الإنسان في نومه، فكما أن الذي يراه الرائي في حال نومه ما هو مراد لنفسه إنما مراد لغيره، فيعبر من تلك الصورة المرئية في حال النوم إلى معناها المراد بها في عالم اليقظة إذا استيقظ من نومه، كذلك حال الإنسان في الدنيا ما هو مطلوب للدنيا: فكل ما يراه من حال وقول وعمل في الدنيا إنما هو مطلوب للآخرة، فهناك يُعَبَّر ويظهر له ما رآه في الدنيا، كما يظهر له في الدنيا إذا استيقظ ما رآه في المنام"(٤). وهذه رؤية فلسفية خالصة طرحها أبو حيان في المقابسات إذ قال: "خذ يا إبراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافيات التي هي خير لك من أهلك وولدك ومالك ورتبتك، اعلم أنّ اليقظة التي لنا بالحس

---

(١) الموسوعة الصوفية، عبد المنعم الحفني، ص٧٧٤– ٧٧٥. وانظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، ص٣٧٥.

(٢) خُرِّج في الجامع المفهرس لأطراف الحديث في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، خرجه سليم بن عيد الهلالي، ص٣٤١.

(٣) الفتوحات المكية، محيي الدين بن عربي، السفر الثالث، ص٢٨٤– ٢٨٥.

(٤) المصدر السابق، السفر الثالث، ص٢٨٦– ٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي النوم، والحلم الذي لنا بالعقل هو اليقظة، ولغلبة الحسّ علينا قد اتفقنا أنّ الأمر بخلاف هذا"(١).

وهذا بالضرورة يتسق مع فكرة الصوفيين في تحديد الخيال، فهو عندهم أصل الوجود، ولذلك جعل الرسول الكريم المحسوس مناماً، والمنام خيالاً عندما قال: "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"، فأهل الدنيا مقيّدون بخيال المعاش، وأهل البرزخ نائمون بانشغالهم بما كسبت أيديهم وما هم فيه، وإن كان نومهم أقل درجة من أهل الدنيا، وكذا أهل القيامة المنشغلون بالحساب، وأهل الجنة والنار المنشغلون بالنعيم والعقاب. ينسحب الخيال إذن على الناس جميعاً على امتداد الإطار الزمني والمكاني وإن تباين في درجته بحسب أحوالهم، وينحسر عن العارفين الذين تجلّى الحق عليهم في الدنيا فعرفوه، فأولئك يعيشون في يقظة لا غفلة، وعلى أهل الأعراف ومن في الكثيب، فبالقدر الذي يتجلى الحق عليهم يكون الانتباه حاصلاً لهم!. وعلى ضوء ذلك يقسم الصوفيون العبادة بحسب درجة الانتباه واليقظة إلى: عبادة الوهم والخيال وهي التي لا تكون بتمكين واستقامة في مشاهدة الحق، وعبادة الخواص التي تكون بضد ذلك، فيعرف فيها الصوفي الحق ويتجلى له(٢).

وفي هذا يقول الغزالي إنّ درجة التجلي تتسق ابتداءً مع درجة اليقظة المتحصلة في الدنيا: "ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على درجات متفاوتة، وكل من لم يعرف الله في الدنيا لا يراه في الآخرة، إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا... فما صحبه من المعرفة هي التي يتنعم بها بعينها فقط إلاّ أنها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء عنها فتتضاعف اللذة كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته!"(٣).

يركز ابن عربي عَلَى تعبير الرؤيا لا سيما في الأحلام الرمزية التي لا تُفهم إلاّ بالتأويل: "فالتجلي الصوري في حضرة الخيال محتاج إلى علم آخر يدرك به ما أراد الله تعالى بتلك الصورة"(٤)، ويرى في تفسير قوله تعالى في منام إبراهيم عليه السلام: "**أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا**" أي صدق في أنَّ ما رآه هو عين ولده، وما كان عند الله إلاّ الذبح العظيم في صورة ولده،

---

(١) المقابسات، أبو حيان التوحيدي، المقابسة السادسة والعشرون، ص١٣٦.

(٢) الموسوعة الصوفية، عبد المنعم الحفني، ص٧٤٣.

(٣) معارج القدس في مدارج معرفة النفس، أبو حامد بن محمد الغزالي، ص١٦٠.

(٤) فصوص الحكم، محيي الدين بن عربي، ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك لم يقل "صدقت في الرؤيا" لأنّ هذا لفظ يُحيل للتعبير، وإبراهيم عليه السلام ما عَبَّر الرؤيا بل وقف على ظاهرها. من هنا يرى ابن عربي ضرورة التعبير، فالرؤيا تطلبها بالضرورة، واستشهد بقوله سبحانه: "**إن كنتم للرؤيا تعبرون**"(١). وجعل للعابر استحقاق جزء من أجزاء النبوة؛ لأنه الذي أدرك ما أريد بالصورة الحلمية! (٢).

قدم ابن عربي مشاهد حلمية شهيرة تجسد استبطانه لنورانية الرؤيا، حيث جسدت تلك الأحلام نظريته في الوجود ومراتبه التي يسميها بالحضرات الخمس، ونظريته في النفس الإنسانية، والوحي والإلهام والنبوءة(٣)، بل يجعل المنام منتجاً فاعلاً حيث يتشكل أداة دافعة لتأليف كتاب الفصوص "أمّا بعد، فإني رأيت رسول الله في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمئة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منّا كما أمرنا"!!(٤).

والأحلام ساحة كشف تنبؤي للمعرفة الصوفية، وفيها يتحصل العلم، فابن عربي لم يدرك سِرَّ الصاد إلاّ في المنام، وبادل علمه به الشيخ الفقيه أبو يحيى بَبْكر ابن أبي عبد الله الهاشمي التُّوَيْتِمي، وصَرَّح بكون المنام "بشرى حصلت، وأسرار أرسلها الحق"(٥)، وفي حلم آخر تأوله بانفتاح العلوم العلوية والأسرار بما لا يكون لأهل زمانه قال: "رأيت ليلة أني نكحت نجوم السماء كلها، فما بقي منها نجم إلاّ نكحته بلذة عظيمة روحانية، ثم لما أكملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها. وعرضت رؤياي هذه على من عرضها على رجل عارف

---

(١) في تفسير ذلك قال المعلق على الكتاب أبو العلا العفيفي: "لم ير إبراهيم إذن في منامه إلاّ رمزاً، رأى كبش القربان يتمثل في مخيلته بصورة ابنه، ولم ير ابنه مطلقاً، ولكن خيل إليه أنه رآه. كانت رؤياه صادقة بمعنى أنها كانت رمزاً لحقيقة من الحقائق، ولكن كان يعوزها التأويل، غير أنّ إبراهيم لم يؤول ما رأى، وهمّ بذبح ابنه ففداه الله بالكبش، فالذي كان له وجود في العالم المثالي والذي وجد بالفعل في العالم المحسوس هو الكبش المقدم للقربان، وقد ظهرت صورته في مخيلة إبراهيم فاستبدلتها بصورة ابنه!! ص٧٥.

(٢) الفتوحات المكية، ص٧٦.

(٣) فصوص الحكم، ص٧٠.

(٤) المصدر السابق، المقدمة.

(٥) الفتوحات، السفر الأول، ص٣١٤- وانظر ما قبلها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالرؤيا بصير بها... فقال: صاحب هذه الرؤيا يفتح له من العلوم العلوية، وعلوم الأسرار، وخواص الكواكب ما لا يكون لأحد من أهل زمانه"[١].

❋❋ المنامات والتعبير

استقرت أصولٌ لتعبير الرؤيا تأسست على مرتكزات عديدة مستمدة من سياقات دينية ولغوية وعرفية... إلخ. وقد انماز في هذا الميدان المعبر الفقيه محمد بن سيرين الذي قَعَّدَ أصولاً متبناة في تعبير الرؤى، الأمر الذي دعا لاعتباره من أشهر الرواد الذين أسسوا طريقة خاصة في التعبير في القرن الثاني الهجري. وتعكس طريقته بُعداً معرفياً موسوعياً ينسحب بالضرورة عَلَى عموم طبقته من المعبرين، ليكون ذلك إشارة دالّة عَلَى عمق الأداة المتكأ عليها في التعبير وانفساح مساحته.

ويقر ابن خلدون أنّ تعبير الرؤيا علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وذلك عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها، وهو لازم للرؤيا الموجودة في الصنف البشري على الإطلاق!. وفي حديثه عن هذا العلم يُوَصِّفُ ابن خلدون القوانين الكلية التي يبني عليها المعبّر عبارته للرؤيا، ولعلّ من أهمها التعبير بقوة الشبه بين الصورة الرمزية في الحلم وما يماثلها بالواقع، وقوة القرائن التي ترجح تأويلاً على آخر، وهو ما سَيُبْحَث بتفصيل لدى ابن سيرين[٢]. ويرى الجابري أن التأويل كان في صدر الإسلام "**عفويا**"، ولكنه "انقلب هو الآخر بعد تدوين العلوم إلى صناعة حوادث المعاني والمضامين التي أعطاها النبي، وبعض الصحابة لما رآه بعض الناس آنئذ في المنام، إلى قوانين كلية. ولا شكّ أنه أضيفت أشياء أخرى إلى هذه القوانين، والنتيجة هي أن صار تأويل الرؤيا علما نقليا.."[٣].

رَكَّز ابن سيرين عَلَى أدوات معرفية وعقلية في عملية التعبير، لعل من أهمها كما وردت في كتابه الشهير "منتخب الكلام في تفسير الأحلام" المعروف بـــ "تفسير الأحلام الكبير":

---

(١) ينابيع العبقرية، ص٥٩. وانظر: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، علي زيعور، فقد أورد في الفصل الثامن أحلاماً عديدة للصوفية، وبيَّن كيف تشكلت الأحلام أداة لتثبيت قيم الصوفية داخل الذات، وإزالة الشبهات والسلبيات، ودفعاً معنوياً للاقتراب من الله سبحانه، ص٢٥١– ٢٦٠.

(٢) المقدمة، ابن خلدون، ص٤٧٧– ٤٧٨.

(٣) نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، محمد عابد الجابري، ص٢٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- القياس: حيث عمد لمقايسة المشاهدة في المنام إلى الواقع، فـ "الميت في دار حق فمن* قاله في المنام فحق ما سلم من الفتنة والغرة، وكذلك الطفل الذي لا يعرف الكذب... وكل كذاب في اليقظة كالمنجم والكاهن فكذلك قوله في المنام كذب..." (١).

٢- القرآن الكريم، فـ "العابر يحتاج إلى اعتبار القرآن، وأمثاله ومعانيه، كقوله تعالى في الحبل "**واعتصموا بحبل الله جميعاً**"(٢)، وقوله في صفات النساء "**بيض مكنون**"(٣)، وقوله في المنافقين "**كأنهم خشب مسندة**... (٤)"(٥).

٣- أمثال الأنبياء والحكماء، كما في قول المسيح -عليه السلام- وقد دخل على مومسة يعظها: "إنما يدخل الطبيب على المريض، يعني بالطبيب العالم وبالمريض المذنب الجاهل"(٦).

٤- اعتبار أخبار الرسول الكريم وأقواله.

٥- معرفة الرجز والشعر، والتنبه إلى دقائق معانيهما. فيتأول لرائي الآس بقاء الشيء ودوامه، بعكس رائي الورد، قياساً على قول الشاعر:-

أنـــت ورد وبقاء الـــ ورد شهـــر لا شهـــور

وهـــواي الآس والآ س على الدهر صبور(٧)

٦- معرفة اشتقاق اللغة ومعاني الأسماء، كالكفر الذي أصله التغطية، والمغفرة أصلها الستر، والظلم وضع الشيء في غير موضعه(٨) ...

٧- معرفة طبائع الأشياء، لا سيما في الزمن، فيعتبر طبع الشيء في الصيف والشتاء، وما كان له طبع بالليل وطبع بالنهار... (٩).

---

* هكذا وردت، وهي ما والله أعلم.

(١) تفسير منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ابن سيرين، ص٤.

(٢) ج٤، سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٣) ج٢٣، سورة الصافات، آية ٤٩.

(٤) ج٢٨، سورة المنافقون، آية ٤.

(٥) تفسير منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ابن سيرين، ص٤.

(٦) المصدر السابق، ص٤-٥.

(٧) تفسير منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ابن سيرين، ص٥.

(٨) المصدر السابق، ص٥.

(٩) المصدر السابق، ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- ترجيح وجه الرؤيا، فإذا كان لها وجهان: خير وشر، عُبِّر للرائي الصالح بخيرها. وإلاَّ عُبِّر للرائي غير الصالح بشرها. وإذا احتملت الرؤيا عدّة وجوه متنافية لم يصر إلى وجه خاص منها إلاّ بزيادة شاهد وقيام دليل عليه!.

وينبغي في ذلك اعتبار أقدار الناس، فالرمانة للسلطان كورة، وللتاجر دار، وللعابد كتابه ومصحفه، وللأعزب زوجة... إلخ[١].

٩- إدراك أصل الرؤيا، وقد جعلها ابن سيرين في:

- الجنس: وفيه يُمَيَّزُ جنس المرئي كالشجر، والطير...
- الصنف: وفيه يعرف صنف الجنس كالنخلة من الشجر، والطاووس من الطير...
- الطبع: وفيه يُعْرَف صفة الصنف، كقسوة الجوز، ونفع النخلة...

فإذا رأى الرائي طائراً فُسِّر بكونه رجلاً ذا سفر، فإذا كان طاووساً عُلِم أنه رجل أعجمي ذو جمال ومال... وهكذا! [٢].

وركز ابن سيرين على معرفة آلية التأويل كما درسها على ابن قتيبة، فجعل التأويل بـــ:-

١- الأسماء، فيؤول الفضل على الإفضال، والراشد على الرشد، والسالم على السلامة.

٢- المثل السائر واللفظ المبتذل، فالصائغ رجل كذوب لما جرى على ألسنة الناس من قولهم: "فلان يصوغ الأحاديث"، والطول في اليد عطاء لقولهم: "هو أطول يداً منك وأمد باعاً...". وينسجم ذلك مع معرفة أمثال الأنبياء والحكماء.

٣- الضد المقلوب، فالبكاء هنا فرج، والضحك حزن... إلخ، وهنا ينبغي اعتبار الزيادة في المنام، فإن كان مع البكاء رنة كان مصيبة لا فرحاً وهكذا[٣].

أبدى لحميداني إعجابا كبيرا بثقافة ابن سيرين التأويلية التي تعكس اهتماما مجتمعيا عاما بالمنامات وتأويلها، كما استوقف القارئ عند حرص ابن سيرين على أخلاقيات المهنة، واحترامه الأسرار الشخصية التي تعكسها المنامات المتجذرة في الحياة الفردية، ليصل إلى حكم هام بصدد المؤلّف: "لا نعتقد أنه قد اجتمع في دراسة النصوص الأدبية في تاريخ البحث

---

(١) تفسير منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ابن سيرين، ص٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٣.

(٣) المصدر السابق، ص٩- ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقدي العربي القديم من الجوانب النصية، والنفسية، والاجتماعية في آن واحد ما اجتمع من ذلك في تفسير الأحلام. وأعتقد أن ابن سيرين كان يمتلك في هذا الإطار حسا تاريخيا وجدليا عزّ نظيره في النقد الأدبي.."[١].

ولابن سيرين حديث مفصل جميل عن أدب المعبر والرائي على حد سواء، يؤسسه على ما ورد من الأدب النبوي الشريف في هذا السياق، وكنت قد عرضت لذلك فأحيل للمصدر دون التفصيل خشية التطويل*.

ألفت كتب عدة اعتنت بالمنامات تأويلا وتأطيرا عاما، ومنها كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري، فقد أكثر من ذكر المنامات وتأويلها بما يتسق وموضوع الكتاب، ومن ذلك أنه إذا ذكر الأسد وصفاته وطباعه، ذكر ما يتأوله حضور الأسد في المنام! وهو تعبير ينمّ عن مقايسة دارية بطباع الحيوان، وهو ما أشار لضرورة معرفته ابنُ سيرين كما بينت لذلك قبل قليل، قال على سبيل التمثيل: "الأسد في المنام سلطان شديد البطش والبأس، ظالم، غاشم، مجاهر، متسلط بجراءته، لا يأمنه صديق ولا عدو.. وربما دلّ على الموت لأنه يقبض الأرواح.. ومن رأى أن أسدا صرعه ولم يقتله فإنه يحمّ حمى دائمة لأن الأسد لا تفارقه الحمى كما تقدم، أو يُسجن لأن الحمى سجن المؤمن.."[٢].

ومن كتب التعبير ما أورده ابن النديم: تعبير الرؤيا للكرماني، وتعبير الرؤيا للفيزياني، وتعبير الرؤيا لابن قتيبة، وتعبير الرؤيا على مذاهب أهل البيت ولم يذكر مؤلفه، وتعبير الرؤيا لأهل البيت. مما يدلّ على أهمية هذا العلم وشرفه[٣].

---

(١) القراءة وتوليد الدلالة، حميد لحميداني، ص١٤٠-١٤٣.

* انظر الحديث عن أدوات المعبر عموماً، ومنهج ابن سيرين خصوصاً في:

- اللغة والرؤيا والحلم، محمود سليمان، ص١٥- ٦٠.
- والأحلام، نيريس دي، ٤٢- ٤٧، وهذا فصل من إضافة المعرب لا أصل الكتاب.
- والأحلام، محسن علي، ص٢٠.
- وتفسير الأحلام، أحمد الصباحي عوض الله، ص٤١- ٤٥.
- وللعلامة عبد الغني النابلسي في خاتمة كتابه تعطير الأنام في تعبير المنام مقال طريف معنون بـ (أسس التعبير)، يتقاطع مع ما جاء عند ابن سيرين، أحيل إليه لمزيد التفصيل. انظر ص٤٨٣- ٤٨٥.

(٢) حياة الحيوان الكبرى، الدميري، مج١، ص١١.

(٣) الفهرست، ابن النديم، الفن الثالث من المقالة الثامنة، ص٣٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❋❋ المنامات في العصر الحديث

في القرن العشرين جعل فرويد الأحلام (طريقاً ملكياً) لسبر اللاوعي الذي يختزن رغبات الفرد المقموعة[١] وأمنياته التي لا يستطيع تحقيقها على أرض الواقع، وهي أمنيات بعيدة تنصب في جلها حول قضايا جنسية لا يعترف بها المرء على الصعيد العقلي الواعي، فتظهر في الحلم ضمن تجليات رمزية تشير إلى تلك الرغبة بالضرورة، ومن هنا يختزل فرويد رمزية الحلم لتكون إشارية دالة على الجنس في الغالب، فأي شيء ضمن هذه الرؤية "طويل ومدبب أو يستخدم للاختراق أو يندفع منه الماء: العصى، والمظلات، وأبراج الكنائس، والأشجار، والبنادق، والسيوف، والنوافير والحنفيات مثلاً هي أمثلة رمزية للقضيب. والأشياء الدائرية، والأوعية، والحفر، والتجويفات، والصناديق، والجيوب، والخزائن، والأبواب، والبوابات، تمثل كلها الأعضاء الجنسية الأنثوية. وتعتبر الحركات الممتعة مثل الركوب، والتأرجح، والتسلق، والطيران، والعوم أمثلة رمزية للجماع والعادة السرية[٢]. ويتقاطع ج. هدفيلد مع فرويد في إقراره كون الأحلام ساحة هامة لبروز تلك القضايا التي لا يمكننا أن نواجهها في الواقع، فتظهر مستعلنة لنا في الأحلام [٣].

إنّ هذه الرمزية في الحلم حققت للحالم شيئاً مهماً وهو قلب الصورة التي لا يريد الاعتراف بها ظاهرياً لصورة مقبولة عُرْفاً، وذلك بهدف إطلاق التوتر وتفريغ الرغبات المكبوتة بإشباعها حتى لو تمَّ ذلك بصورة رمزية خالصة. إنّ عملية القلب هذه هي التي أطلق عليها فرويد "عمل الحلم"، وجعل لها أربع آليات وهي: الإحلال، والتكثيف، والرمزية، والمراجعة الثانوية.

يتجسد الإحلال في إسقاط الحالم مشاعره المتدفقة على شخص أو موضوع ثانوي، وتبدو الأحاسيس الضعيفة تجاه الشيء واقعية ذات بعد انفعالي كبير في الحلم، بينما تكون الدلالة الحقيقية للانفعال الحسي الكبير قد انصبت على موضوع ثانوي مهمش غير ظاهر في

---

(١) عنون فرويد الفصل الثالث من كتابه تفسير الأحلام بـــ "الحلم تحقيق رغبة"، وفيه يؤكد أن أحلامنا إنما تحقق رغباتنا، وإن كان وسَّعَ حديثه عن الرغبة ليشمل الجنس وغيره، إلا أن اهتمامه الأصيل بالجنس، ورَدِّه رمزية الحلم إليه هو ما دعاني للتأكيد عليه في المتن. انظر الفصل (الحلم تحقيق رغبة)، ص١٦٧- ١٧٧.

(٢) عوالم الحلم، ص٢٧. وانظر الأحلام والكوابيس، عبد الحكيم العفيفي، ص٦٦- ٦٩، فقد علق على طريق فرويد الملكي لسبر اللاوعي، وتحدث عن نظريته عموماً في فهم الأحلام!.

(٣) Dreams and nightmares, J. Hadfield, p٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحلم. وقد فسر أرثر إيزابرجر عملية الإحلال كماعرض لها فرويد، حيث يطلق الحالمون العنان لرغباتهم وإرادتهم، ويوجدون عددا من الأفكار أو الصور في صورة واحدة، وتتبدل الصور المقبولة للأنا الأعلى الخاص بالحالمين، بأخرى غير مقبولة(١).

ويُترجم كذلك بـــ "النقل"، ويوضح فرويد آلية عمله بقوله: "ويتم النقل بصورتين: أولاً: أن يجري استبدال عنصر كامن لا بعنصر من عناصره الذاتية المكونة، بل بشيء أبعد وأنأى، أي بضرب من التلميح والإلماع، وثانياً أن يتحول التشديد النفسي من عنصر هام إلى آخر غير ذي أهمية، بحيث يصير للحلم مركز آخر فيظهر بمظهر غريب"(٢).

أمّا التكثيف فيشير إلى اختزال التمثيل الرمزي في الحلم صوراً ومعاني ودلالات عديدة تحتاج لتبيانها تفسيراً قد يستهلك سطوراً عديدة وشروحات مطولة على غير ما يوحي به ظاهر الرمز!. أي: تمثيل عدد من الأفكار أو الصور بكلمة أو صورة واحدة، أو بجزء من الفكرة أو الصورة(٣). يقول فرويد في ذلك: "أما عمل الحلم فيسعى على العكس إلى تكثيف فكرتين مختلفتين بأن يبحث عن لفظة ذات عدة معان يمكن أن تتلاقى فيها الفكرتان كلتاهما، ولا يجوز لنا أن نتعجل في استخلاص استنتاجات من هذه الخاصية... إنّ مفاعيل التكثيف قد تكون أحياناً خارقة للمألوف؛ إذ قد تتيح الفرصة لسلسلتين من الأفكار الكامنة متباينتين كل التباين أن تجتمعا في حلم ظاهر واحد..." (٤).

وأمّا الرمزية فقد أشرت إليها سابقاً حيث رؤية فرويد جلّ المظاهر الحلمية تمثيلات رمزية غالباً ما تكون في حق الجنس، فهي على هذا الاعتبار آلية تقنيع وإخفاء لما لا يستطيع وعي الفرد إبانته بشكل طبيعي. ولعلّ هذه الرمزية في إحالتها للجنس تُعَدّ أكثر جزء مثير في نظرية فرويد، حيث عارضه فيها كثير من العلماء والدارسين، من أبرزهم تلميذه يونغ كما سأوضح بعد قليل. ويعدّ فرويد هذه الرمزية "تحويل الأفكار إلى صور بصرية" أهم الآليات التي يعتمدها عمل الحلم من الوجهة السيكولوجية، ويرى أنه ليس بالضرورة خضوع جميع

---

(١) النقد الثقافي، آرثر إيزابرجر، ص١٦٧.

(٢) نظرية الأحلام، سيغموند فرويد، ص١٢٢.

(٣) النقد الثقافي، آرثر إيزابرجر، ص١٦٥.

(٤) نظرية الأحلام، سيغموند فرويد، ص١٢٠– ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العناصر المكونة للأحلام لهذا التحويل والنقل، إذ تحتفظ أفكار عديدة بشكلها، وتتبدى في الحلم الظاهر كما هي[١].

في الآلية الرابعة للحلم "المراجعة الثانوية" يبرز عمل الوعي بشكل أجلى وأبين من العقل اللاواعي، حيث يمنطق الحالم حلمه، ويجمع العقل الواعي شظايا الحلم، ويرتب أحداثه، ويوفق بين متناقضاته ليغدو حلماً متكاملاً ذا مشهد يمكن روايته وتحليله[٢].

❋❋❋

درس يونغ كتابات فرويد، وعلى الرغم من الاحترام الذي كان يكنه له، إلا أنه لم يستطع أن يوافقه على نظريته في تفسير الأحلام التي تؤول المشاهد الحلمية لرؤية جنسية خالصة، فقد أفضت دراسة يونغ للأحلام لإبداعه مفهوم "اللاوعي الجمعي" حيث قرر فيه أن البشر يرثون إلى جانب الخصائص الفسيولوجية، آثاراً لاواعية في الذاكرة، قد يكون لها أصول في التجارب الأولية للبشرية، وهذا ما تكشفه الأحلام – كما تكشفه الأساطير – وتجلّيه رمزيتها التي تحيل إلى دلالات ترتد في كثير منها للاوعي الجمعي. على ضوء ذلك يفرق يونغ بين اللاوعي الشخصي والجمعي، حيث تنصهر في الأول الأفكار والمشاعر المكبوتة التي لا يريد المرء كشفها على مستوى الوعي فيعمد إلى تقنيعها وإخفائها، وهذه نقطة التقاء بينه وبين فرويد، وإن لم تكن رمزية الفكرة المكبوتة تشير للجنس بالضرورة عند يونغ، أمّا اللاوعي الجمعي فيختزل استرجاعات وآثاراً لا ترتد لتجربة شخصية، بل ترتد للتجربة الجمعية العرقية التي تكشف عن الأصول البدائية، وإن لم يكن الأفراد واعين لها، وقد تظهر في مشاهد أسطورية متباينة زمنياً ومكانياً لكنها متقاربة في التكوين والبنية العامة للفعل والشخصيات...إلخ. ومما يمثل ذلك الأحلام التي قدمتها ابنةُ طبيب نفسي زميل ليونغ، فقد كتبت مجموعة من الأحلام اطلع عليها يونغ وفسَّرها ضمن رؤية أسطورية تجسد اللاوعي الجمعي حيث لا يمكن لطفلة في الثامنة أن تعي هذه الدلالات أو تطلع عليها، ومن ذلك الحلم

---

(١) نظرية الأحلام، سيغموند فرويد، ص١٢٣. وانظر الحديث عن الآليات الأربع: عوالم الحلم، ستيوارت هولرويد، ص٢٦– ٢٧.

(٢) نظرية الأحلام، سيغموند فرويد، ص١٣١– ١٣٢، وانظر: سيكولوجية النوم والأحلام، عزت سيد إسماعيل، ص٢٧٠– ٢٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني حيث الصعود إلى السماء، والقيام باحتفالات ورقص وثني، ثم النُّزول، للجحيم، وقيام الملائكة بأفعال خيرة، الأمر الذي فَسَّره يونغ بنسبية القيم الأخلاقية(١).

وإذا كانت وظيفية الحلم عند فرويد متجسدة في تفريغ الكبت الشعوري، وقلب الصورة التي يرفضها الوعي لصورة مقبولة من خلال رمزية الحلم، فهي عند يونغ تعويضية هادفة من شأنها أن تؤسس لتوازن نفسي كامل، حيث يجد الحالم في المشاهد الحلمية ما عجز عن تحقيقه على مستوى الوعي، على صعيد الجنس وغيره، وبذا تكون نظرية يونغ أعم وأشمل من اختزالية فرويد لها، وحصرها في بؤرة واحدة كبيرة هي الجنس(٢).

من الأمثلة التي تجسد تبايناً جوهرياً في تفسير الأحلام بين العالمين الكبيرين:- تفسير المنازل، فالمطاردة فيها عند فرويد تمثل رغبة كامنة في زيارة بيوت الدعارة؛ إذ يحمل البيت رمزاً أنثوياً، أمّا رؤية المنْزل عند يونغ فتمثل الذات، وتشير حجراته المختلفة لسمات مختلفة للشخصية. ويمثل الطيران عند فرويد غطاءً مقنعاً للنشاط الجنسي، بينما هو نشاط دال على السمو والهروب من المألوف والدنيوي عند يونغ، وإذا كان تساقط الأسنان تمثيلاً لخسارة الذكر الحيوانات المنوية في النظرية الفرويدية، فهو انتقال من مرحلة الطفولة إلى الصبا في النظرية اليونغية، ومن الأمثلة الواضحة على هذا الاختلاف موت الأب، فهو صورة صريحة لعقدة أوديب عند فرويد، بينما تمثل إرادة كامنة في الاستقلال وتطوير الذات عند يونغ(٣).

الأحلام عند العالمين إذن طريق ملكي لسبر اللاوعي، لكنه طريق محصور في النظرية الفرويدية في إطار واحد كبير هو الجنس، بينما ينسرب عند يونغ في طريقين رئيسين هما اللاوعي الشخصي والجمعي، وبهدف تحقيق قيمة تعويضية تهب الفرد توازناً نفسياً محتاجاً إليه بالضرورة(٤).

❋❋❋

يمدّ الجشطلت قيمة الحلم في حركة تجاوز لمجرد الإدراك والمعرفة أو التعويض! وذلك أنهم يرون في الحلم مؤشرات لأعمال غير مكتملة في الشخصية، يقوم المعالج لاحقاً مع

---

(١) عوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ص٢٨- ٣٢..

(٢) عوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ص٣٢- ٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص٣٣- ٣٥. وانظر مزيداً من الأمثلة على هذا الاختلاف في التفسير الرمزي بين العالمين في تفسير الأحلام، بيير داكو، ص١١٥- ١١٧و ٢١٠- ٢٢٢.

(٤) وانظر اللغة المنسية، إريك فروم، حيث فَصَّل القول في نظريتي فرويد وينغ، ص٤٩- ٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحالم لإتمامها وتحقيق تكاملية الشخصية عبر هذا الاندماج بين وظيفة الحلم والتحليل النفسي!. وهذه الرؤية مبنية على نظرية متماسكة طوَّرها بيرلز عن الشخصية، حيث قال بوجود طبقات خمس للشخصية تتمثل في:

- طبقة الكليشيه، وفيها يتعامل المرء مع الحياة بصيغ هامشية فارغة!.
- الطبقة التركيبية: وفيها يتجسد الحد الأدنى من الاتصال مع الآخرين.
- طبقة النزوة أو الاندفاع: وتشكل المستوى الأول من الوعي الحقيقي، حيث الإحساس الحقيقي من الحب والغضب، وحيث مصادرة الحق في التعبير مما يولّد الحيرة والعُصَاب.
- طبقة الانفجار الضمني الداخلي/ الموت: أي طبقة الأزمات، والاقتصار على الطاقات الإنسانية المحرمة داخلياً!.
- طبقة الانفجار/ الحياة: حيث انطلاق الطاقات المتعقدة، وتحرير الفرد من أزمتها(١).

أمّا مهارة المعالج الجشطلتي فتتكشف عبر إمكانية تشخيص المصاب من خلال رمزية الحلم، ثم توجيه الشخص عبر طبقات الشخصية التي ذُكرت وصولاً للطبقة المتفجرة، وبذا يتم تكميل الأعمال غير التامة أو المنتهية التي كانت بدورها سبب الأزمة النفسية لدى المصاب!(٢).

❋❋❋

قطعت الأبحاث الحديثة بحاجة الفرد الماسّة للأحلام، ورأت فيها صحة بدنية ونفسية لازمة للحياة على حد سواء، فقد أظهرت تجارب الحرمان من الأحلام التي قام بها د. ديمنت في نيويورك ذلك بشكل جليّ، حيث قام بإيقاظ المتطوعين لمرات متتالية لحظة دخولهم مرحلة حركة العين السريعة REM* التي تشير لاستغراقهم في الحلم، وقد لاحظ أن مراحل ERM

---

(١) عوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ١٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٢.

* "حصل أسرنسكي وكلتيمان في الخمسينات على آلة EEG وغيرها من الآلات. وعندما ثُبِّت المفحوص إلى آلة EEG مع وجود قناة إضافية لمراقبة حركات العين، أصبح من الممكن مراقبة كافة ذبذبات دائرة النوم بدقة متناهية، ثم تم التأكد من العلاقة بين نشاطات فترة حركة العين السريعة REM والأحلام بدقة عالية من خلال إيقاظ الحالم عند إعطاء جهاز رسم المخ الكهربائي EEG للنمط الخاص والمحدد". عوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ص٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتزايد بثبات ليلة بعد أخرى حتى الليلة العاشرة مما يعني حاجة متزايدة للحلم الذي حُرم منه المتطوع. ولاحظ د. ديمنت كذلك أن حرمان المتطوعين من الأحلام أثّر عليهم صحياً، إذ ظهرت عليهم علامات الإعياء والتوتر وفقدان الذاكرة وصعوبة التركيز(١).

ومن طريف ما قاله بيير داكو في هذا السياق: "والحلم ضرب من التنفس السيكولوجي، إنه قبل كل شيء صمام لاندفاعات عديدة مقموعة خلال النهار، ويتيح الحلم تحرير الهموم، والعداوات، والفظاظات، والآمال، والمطالب، والرغبات، إنها على وجه الخصوص تعيد إلى السطح صعوبات داخلية، وتوحي لنا على الغالب بحلول، وذلك بواسطة هذه الناظمة الآلية الهائلة التي تتصف بأنها لاشعورنا"(٢). ويرى ج. هدفيلد أن التخيلات الحادثة في المنام أو اليقظة قادرة بالفعل على حلّ إشكالياتنا حتى لو لم نتعرض لتجربة حقيقية في الواقع المعيش!(٣).

وصار معروفاً وجود ما لا يقل عن أربع مراحل للنوم، وتحدث الأحلام عادة في مرحلة النوم الخفيف، بينما نتذكر الأحلام التي تحدث في المراحل الأخيرة في النوم، إذ تنمحي أحلام الفترات السابقة من الليل حين الدخول للنوم العميق(٤).

ومن طريف ما يُقال في هذا السياق إن حركات الجسد تتوقف وترتخي العضلات الإرادية للنائم حال دخوله مرحلة نوم REM، إلاّ أن ذلك لا يعني التوقف المطلق لنشاط العضلات، فقد لوحظ أن نشاطاً بسيطاً للعضلات يجري بشكل متساوق مع فكرة الحلم، فقد سُجلت في إحدى التجارب نبضات كهربائية في اليد اليمنى للنائم، ثم اليسرى، ثم الساقين، وقد كان الحلم متمثلاً في رفع وعاء باليد اليمنى ثم اليسرى، ثم بدا الحالم ماشياً وهو يحمل الوعاء(٥). وقد اكتشف د. ديمنت تطابقاً مباشراً بين حركة عين النائم والمشاهد الحلمية، فإذ سجلت آلة EEG حركات أفقية للعين، كان الحالم قد راقب شخصين يتراشقان بالبندورة!!.

---

(١) عوالم الحلم، ستيوارت هولروید، ص٦٦- ٦٧. وانظر: الأحلام والكوابيس، عبد الحكيم العفيفي، ص٤٠- ٤٢.

(٢) تفسير الأحلام، بيير داكو، ص١٤- ١٥.

(٣) Dreams and nightmares, G. Hadfield, p٦٩ .

(٤) عوالم الحلم، ستيوارت هولروید، ص٦٤. وقد خَطَّأ سلامة السقا هذه النتيجة، ورأى أن علامات الإعياء متأتية من منع الإنسان النوم المستقر في مرحلة REM لا الحلم، ولكنه لم يثبت مخبرياً أن نوم REM لا يقترن بالضرورة بالحلم، وكذلك علاقة طبيعة حركة العين بالحلم، إذ لم يقل بضرورة الارتباط بينهما، ولكنه كذلك لا يعمد لإثبات رفضه مخبرياً. النوم والرؤى والأحلام، ص٩٥.

(٥) عوالم الحلم، ستيوارت هولروید، ص٦٧- ٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما سجلت حركات عمودية ثم أفقية كانت قد أشارت فعلاً إلى حلم امرأة رأت أنها تصعد السلم درجة درجة، ثم سارت نحو مجموعة من الأشخاص. وهذه ملاحظات هامة تفترض أننا نرى في الحلم مشاهد حلمية تماماً كما في الواقع، وإذ ذاك لا يفرق الدماغ بين الصور البصرية المشاهدة عبر الواقع أو الحلم فيتفاعل مع المعلومة الواردة من العالمين الواقعي والحلمي بشكل واحد، وإن كان لا ينتج ذات الاستجابة الحركية لدى استقباله الصورة في الحلم، وإذا اختلّت هذه الآلية المتحكمة في صورة الاستجابة استطاع النائم أن يتكلم ويمشي ويتحرك كما لو كان متيقظاً بصورة ما![١].

ومما قام به د. ديمنت وزملاؤه محاولة الإجابة عن السؤال الذي يفترض وجود علاقة بين الحلم والمثيرات الخارجية. وقد توصل عبر عدة تجارب لإجابة إيجابية، فقد رأى أحد الحالمين أن السماء تمطر وذلك بعد أن رُش بالماء، ورأى آخر نيراناً ولمعاناً للبرق إثر تسليط ضوء مفاجيء، بينما رأى ثالث زلازل وسمع هدير شلالات نياجارا على ضوء سماعه لنوطة موسيقية. ومما يجدر ذكره أن هذه المؤثرات الخارجية لا تضطلع وحدها بتشكيل بنية الحلم، إنها توجد مشاهد معينة تنسحب على الحلم بشكل جزئي لا كامل، بينما يستمر سيناريو الحلم الرئيسي ويتحدد موضوعه[٢].

❋❋❋

هناك أنواع عديدة للأحلام لفتت انتباه الدارسين لعل من أهمها[٣]:

- الأحلام الشفافة، وهي الأحلام التي يدرك الحالم فيها أنه في تجربة حلمية، وفيها يكون دور العقل الواعي بيناً مما يهب الحلم شيئاً من التماسك والمنطقية، وإن تخللته عناصر الغرابة التي تساعد لإدراك خيالية الحلم. إنّ إدراك الحالم أنه إنما يعيش تجربة حلمية، يؤهله لأن يتحكم بطبيعة الحلم، ويكون بذلك قادراً على تطويره ودفعه بالصورة التي يريد[٤].

---

(١) عوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ص٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٧١.

(٣) توسع نيريس دي دائرة أنواع الأحلام. فهي أحلام خوف ورغبة وجنس أعرضت عنها خشية التطويل، وللحديث عنها ولو عرضاً في هذا التمهيد. لمزيد من المعلومات انظر: الأعلام، نيريس دي، ص٧٩- ١٠٢.

(٤) عوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ص٦٩- ٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الأحلام التنبؤية، وترتبط بما عُرف بحالة الاستبصار، إذ يستطيع الحالم عبرها أن يُحصِّل معلومات قد يتعسر عليه إدراكها ضمن الآلية الطبيعية للمعرفة. ولعل طبيعة هذه الأحلام تميل إلى امتلاك بعض العقول قدرة خاصة على رؤية الأحداث بشكل غير اعتيادي، حيث تعمل هذه الملكة عبر الأحلام أحياناً، فتولد الحلم المتنبىء!. ويميل أولئك المشككون بهذه الأحلام لاعتماد فرضيتي المصادفة، أو إمكانية احتواء اللاوعي معلومات أكثر مما يتوقع الحالم، فتغدو هذه الأحلام مجرد أداة رمزية تكشف عما في اللاوعي من إدراك ومعرفة(١). وتؤكد على ذلك آن فارادي، فتحت عنوان "الأحلام التحذيرية" تقرّ أن هذا النمط من الأحلام يتشكل بناء على وجود أفكار هامة لم يلق الإنسان لها بالا، فاستقرت في لاوعيه وظهرت ثانية عبر أحلامه ورؤاه!(٢).

دعا الطبيب النفسي ج.ك. باكر من لندن لاستغلال هذه الملكة الفذة، لا سيما في الأحلام التي تكون تنبؤية تحذيرية بغية تفادي مآسٍ إنسانية مستقبلية الوقوع، حيث اقترح إنشاء مركز يقوم فيه الكمبيوتر باستقبال أحلام الناس التحذيرية وإحساساتهم الداخلية، ليتم فرزها وتصنيفها، وتشكيل رؤيا خاصة عبر الأحلام والإحساسات التي تنسجم في بُنَاها العامة؛ لاستنباط ما يمكن أن ندعوه بنظام إنذار مبكر!. وقد تم بالفعل إنشاء المكتب البريطاني للحس الداخلي المسبق في لندن عام ٦٧، وفي نيويورك في العام اللاحق. ومما يجدر ذكره أن لدى هذه المراكز سجلات مهمة حقيقية حول هواجس تحققت بالفعل في سنوات لاحقة.

استخلص باركر على ضوء الأحلام التحذيرية التي اطلع عليها وتحققت أن التساؤل حول حدوث الأحلام الاستبصارية لم يعد بحاجة لمزيد من الإثباتات والبراهين، بقدر ما هو بحاجة لاستغلال هذه الملكة الإنسانية الفريدة(٣).

---

(١) عوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ص٧٦- ٧٧.

وقد عرضت كتب عديدة جداً لمثل هذا النوع من الأحلام، انظر على سبيل المثال:

- سيكولوجية النوم والأحلام، عزت سيد، ص٢٥١.
- الأحلام، نيريس دي، ص٢٣- ٢٩.
- الأحلام والكوابيس، عبد الحكيم العفيفي، ص١٢١- ١٢٤.
- تفسير الأحلام، أحمد الصباحي، ص٦٥- ٦٨.

(٢) Dream power, Ann Farady, p١٦٩- ١٧٢ .

(٣) عوالم الحلم، ستيوارت هولروبد، ص٨٨- ٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي التراث العربي أبدع أبو حيان التوحيدي إذ قدح هذه الفكرة، ورأى في الأحلام قدرة كامنة على التكهن، ورفد العقل بالعلم الدقيق، وهو ما دللت عليه وقائع عديدة جداً مذكورة في المؤلفات المعنية بالموضوع: "وربما تحولت تلك القوة من المنام إلى الفراسة في اليقظة وإلى الكهانة، حتى إذا حدس قَرْطَسَ، وإذا ظَنّ طَنَّ، وإذا وهم هجم، وإذا اعتبر عبر، وربما تحولت إلى ما يرفد العقل فقط باستخراج الدقائق، وتأليف المقدمات، واستنباط النتائج، والوصول إلى سرارة الحق، وبحبوحة الصواب، وربما صارت الحال مصادفة للحقائق..."(١).

وعلل ابن خلدون الظاهرة بارتفاع حجاب الحواس بالنوم، فتتعرض النفس عند ذلك إلى معرفة ما تتشوف إليه في العالم المحسوس، فتدرك في بعض الأحيان لمحة يكون فيها الظفر بالمطلوب، لذلك جعلها الشارع من المبشرات. ويركز ابن خلدون على كون ذلك واقعاً من غير قدرة أو قصد من الإنسان، وكل ما يملكه النائم أنه يقوي استعداده للرؤيا، واستشراف ما كان يتأمله في واقعه المادي، وإن فَصَّل الحديث في مواضع أخرى عن القدرة الكامنة في الذات الإنسانية التي تقوى على الاتصال بالعالم الروحاني عبر إماتة الحس وتهميش ارتباط النفس بالعالم الدوني المادي، وأعطى لذلك أمثلة عديدة من أهمها الفِرَق الصوفية التي تعمد لإماتة الحس صناعياً بغية الارتباط الحقيقي بالعالم العلوي، ولعله لذلك قال: "إن النفس مدركة للغيب في النوم ولا بد، وإذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الأحوال؛ لأن الذات المدركة واحدة، وخواصها عامة في كل حال..." (٢).

وقد رصدت الكتب المهتمة بالموضوع عشرات الأحلام التي يمكن اعتبارها تنبؤية استبصارية، ومن ذلك حلم هانيبال الذي يفيد اجتياحه إيطاليا، حيث رأى شاباً طمأنه بأنه مرسل من السماء لحثه على الاجتياح، ثم رأى ثعباناً دَمَّر بعنف كل ما حوله ليعلق الفتى على ذلك المشهد المفزع: "أترى دمار إيطاليا والكوارث التي تنتظرها؟ اذهب، سيتم القضاء"(٣). ورأى نابليون قبل معركة واترلو قطة سوداء تنتقل عبر الفِرق، وأن جيشه يتقطع إرباً، وقد كان ذلك نبوءة صريحة بالكارثة، ورأت ماري أنطوانيت شمساً حمراء تعلو فوق عمود ينهار بعدها، وقد كان ذلك نذير إعدامها(٤)، ورأى الكيميائي الألماني كيكولي صيغة البنزين في

---

(١) المقابسات، المقابسة الثانية والثلاثون .

(٢) المقدمة، ابن خلدون، ص١٠٥. وانظر الفصل عموماً ففيه حديث شيق عن القوة النفسية التي يستشرف بها الإنسان عالم الغيب.

(٣) عوالم الحلم، ستيوارت هولروید، ص٥٣.

(٤)عوالم الحلم، ستيوارت هولروید، ص٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحلم، حيث تطايرت الذرات أمام عينيه لتلتف كالأفاعي، إذ دلّ الشكل الدائري للأفعى على بنية جزئي البنزين، شكل سداسي بذرة كربون وهيدروجين في كل زاوية منه. الطريف أن كيكولي قال إثر الحلم: "دعونا نتعلم أن نحلم أيها السادة، فلربما نجد الحقيقة"(١). وعلى الصعيد الأدبي قال روبرت لويس ستيفنسن إن أهم فصلين في كتابه د. جيكل والسيد هايد قد جاءاه في الحلم، مما ساعده على إتمام عمله الروائي!. كما إنّ قصيدة كولردج (كوبلاخان) قد استوحاها كما يقول من الحلم كذلك(٢).

(١) عوالم الحلم، ستيوارت هولروید، ص٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



المَنامَـــــاتُ.. النَّـــصُّ والنَّسَـــقُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنامات... النصُّ والنَّسقُ[١]

حضور المنامات في المتون محلّ الدراسة، نقلها من بعد المتخيَّل اللامرئي بالنسبة للمتلقي، إلى متعيَّن نصي يحتفل ببنية تركيبية متمظهرة بمستويات الصوت، والنحو، والصرف، والمعجم، والدلالة. إنها الآن تأتلف ضمن نسيج خاص يشكّلها نصا مكتوبا، بعد أن تخلّقت في دائرة المتخيَّل المنتقل شفاها لمؤوِّل عارف؛ بغية حلّ رموز النص وإدراك مراميه.

ونصّ المنام معتبرٌ في الثقافة العربية الإسلامية العالمة والشعبية على حدّ سواء، ولعلّ التمهيد استطاع أن يجلّي هذا الاحتفال المؤطَّر بأدبيات ترتكز أساسا على النصّ المقدس. إلا أن احتفال المتون الشعبية من سير وحكايات عجيبة لنصوص المنامات يفرز التساؤل عمّا إذا كان ذلك سيؤثر على درجة الاحتفال بها لدى الثقافة العالمة الرسمية؟!.. وأنا أرى أن إنكار هذه الثقافة التاريخي للمتن الشعبي ليس من شأنه أن ينسحب على نصية المنام التي اكتسبت شرعيتها من حضورها الأساسي في الثقافة عموما، وهو حضور مكفول بالنص المقدس كما تمت الإشارة لذلك. ضمن هذا الإطار يمايز يقطين بين المنام النصّ واللانصّ[٢] منطلقا من أدبيات المنام الإسلامية التي تعترف بالمنام نصًّا إذا كان رؤية، وتراه لا نصًّا إذا كان أضغاث أحلام –من الشيطان–.

---

[١] يحيل للطبيعة النظامية المتسقة في الظاهرة المدروسة، ففرديناند دوسوسير system) النسق أو النظام) يوظف المصطلح في تعريفه للغة: "نسق من العلامات يعبر عن الأفكار"، ويوظف المحدثون مصطلح النسق وعلى رأسهم غيرتس الذي وجّه نظره socio cultural، والنسق السوسيو ثقافي cultural systemالثقافي للأنظمة الاجتماعية الحاكمة للأفراد والجماعات بوصفها أنساقا ثقافية، فالدين كما يراه نسق ثقافي، والأيدلوجية نسق ثقافي.. وهذا النسق يتضمن وظيفة تحكمية في سلوك الأفراد، بحيث يكون الفرد محكوما بالتصرف وفق ما يمليه عليه النسق الثقافي الذي يؤمن به!. هذا يعني أن النسق الثقافي: مواضعة اجتماعية، ودينية، وأخلاقية.. تفرضها في لحظة معينة من تطورها الوضعية الاجتماعية التي يقبلها ضمنيا المؤلف وجمهوره. انظر في المصطلح:

- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص٢٢٨.
- المقامات: السرد والأنساق الثقافية، عبدالفتاح كيليطو، ص٨.
- تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، نادر كاظم، ص٩٢–١٠١. وقد تتبع بالتفصيل بدايات اجتراح المصطلح حتى توظيفه النقدي الحديث.

[٢] تلقي الأحلام وتأويلها في الثقافة العربية، سعيد يقطين، ص١٤٦. في فصل "النص واللانص" يناقش يقطين نظرة الثقافة الرسمية للنص الشعبي، مصدرا إياها بالفتوى التي تحرم بيع السير الشعبية والنظر فيها، وعدم جواز إمامة من يسمعها! وهذا ينطبق بالضرورة على المنامات الواردة فيها؛ إذ تعتبر ادّعاء على النبوة وافتراء على الرسول الكريم، وما أقصده أعلاه أن اعتبارية المنامات عموما تظلّ محفوظة ولا يؤثر على قيمتها تلك المنامات المدعاة. الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي، ص٤٧ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا أعدو الصواب إذا أقررت على أساس هذه المميزة كون المنامات محلّ الدراسة جميعا نصًّا، إذ تشكلت رؤى اضطلعت بمهمة خاصة تجلّت عبر السياقات جميعا، حتى تلك المنامات التي ظنّها بعض المعبِّرين أضغاث أحلام، إذ سرعان ما كشف السياق عن مغايرة هذا التعبير/ التأويل لتكون نصًّا يضطلع بمهمة سردية خاصة. وهذا الإقرار يتجاوز بالضرورة المنامات المدَّعاة التي ابتغى ساردوها تحقيق وظيفة معينة جراء زعمها والترويج لها.

هذا العرض يجعلنا إذن أمام المنام بوصفه نصًّا، وإذ ذاك سأذكّر بكونه نصا رمزيا بغض النظر عن مستوى رمزيته، وانطلاقا من كون النصّ، أي نصّ حاملا لمعنى فإن ذلك يؤهل للقول إن المنام نصٌّ رمزي مشبع بالدلالات والرؤى، التي تستدعي الوقوف عندها مليا. يقول المنصوري: "وللحلم وجود ذهني، ووجود سردي مرويّ، إنه نصّ حافل بالخيال، والاحتمال، والانفعال، وهو يمتلك ثراء في لغته وإشاراته، وما يتكئ عليه من معرفة، أو ما يتصل به من ممارسات وطقوس..." [١].

تحدثت دوجلاس عن أحلام تحمل أبعادا سياسية، وتخضع لمؤثرات ثقافية، وتنهض بوظائف خاصة قصديَّة[٢]، وأقرّ نصر أبو زيد أهمية خاصة للرؤيا "في التراث الإسلامي، وهي الأهمية التي جعلت منها ركنا أساسيا في نظرية المعرفة الإسلامية"[٣]، وفي تعليقه على رؤيا المأمون التي أوردها ابن النديم، يرى أن الرؤيا اضطلعت بوظيفة فكرية اعتنت بتكريس هيمنة النسق الفكري الاعتزاليّ[٣]!. ويوسع علي زيعور الدائرة حيث يقرّ أن "الحلميات نسق، إنها نظام فكري، وخطاب في الإنسان، ولا سيما في المعرفة، وفي العقل، واللاعقل –بل إنها تسهم– في توضيح الرؤية الكلية الموحدة للإنسان"[٤].

---

[١] الأحلام والتفكير الرمزي، جريدي المنصوري، علامات في النقد، ج٤٤، م١١، يونيو ٢٠٠٢، ص٦٥٨-٦٥٩.

[٢] بناء النص التراثي، فدوى دوجلاس، ص١٤٩، ١٥٥، ١٦١-١٦٢.

[٣] الرؤيا في النصّ السردي العربي: حافز سردي أم وحدة دلالية؟ نصر حامد أبو زيد، ص١٠٨، و١٢٥.

[٤] الأحلام والرموز، علي زيعور، ص٢٣-٢٤. وفكرة الكتاب قائمة على برهنة كون الحلميات خطابا سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الرؤية الخاصة لتجليات النصّ، تستدعي وقوفا مطوّلا عند الأنساق الثقافية التي حملتها المنامات محلّ الدراسة، وهو ما سأنهض به في السياقات الآتية.

النسق الديني ومركزية الثقافة الإسلامية

نصوص المنامات التي نحن بصدد دراستها وليدة ثقافةٍ مركزيةٍ إسلاميةِ الانتماء، الأمر الذي سيؤدي إلى تأطيرها بإطار الرؤية الدينية في خطابات عديدة لها، وقد استطاعت منامات عدة أن تجلّي بالفعل رؤية إسلامية منساقةً بذلك للإطار العام الذي احتكمت إليه، حيث ناقشت فكرة الوجود الإسلامي مقابل الكفر، وأسست لهذه الفكرة التي تَقَابل عبرها الإسلام مع الأيدلوجية الإشراكية في نصوص عديدة انسحبت على رقعة تاريخية تبتدئ بما قبل البعثة الإسلامية، وهنا انفرزت رؤية التبشير بصاحب الرسالة الكريمة –عليه الصلاة والسلام– إلى زمن متأخر ينتهي بحكاية الظاهر بيبرس. وإذ تشظّى الفكر الإسلامي في مراحل تاريخه المتباينة لحركات، ومذاهب، ورؤى فارقت النهج الإسلامي الصحيح تارة واقتربت منه أخرى، كان ذلك في بعض تجلياته محلا للتساؤل في هذه المنامات، لا سيما منامات الوهراني التي اتخذت موقفا صريحا منها كما في تناول صاحبها للصوفية، واضطلعت عدة روايات منامية بالحديث عن السنة والشيعة، وغير ذلك..

وليس مجانبا للصواب القول بتشكل هذه المقابلة التي ستعمد إلى تأكيد الفكر الإسلامي وإقصاء الآخر صورة حلمية كبرى أكّدت عليها النصوص الرسمية والشعبية على حد سواء، وإن كانت في الأخيرة أبين وأجلى. وعلى ضوء ذلك، سترافق شخصية الرسول الكريم صاحب الرسالة، وتلازمُ النصوصَ التي اعتنت بفكرة الدعوة، وقد تواتر حضورها بأبعاد متباينة، تفترق لتأتلف، وتشكل تكاملا متقاطعا مع صورته –عليه الصلاة والسلام– في السياق التاريخي، بل إن حضور الرسول الكريم في عمل كسيرة الأميرة ذات الهمة، بات حافزا سرديا، لم تكن تلك السيرة لتكتمل في بنيتها الفكرية والفنية دونه، لأن راويها شكّله –صلى الله عليه وسلم– الفاعلَ السرديّ الأهم الذي عبره تمَّ توجيه السرد عموما.

❋❋ تشكلات صورة الرسول الكريم

- **صورة الرسول مبشرا به**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتكرر فكرة الإيمان، ورسالة إبراهيم الخليل –عليه السلام–، الذي جاء بالتوحيد في سيرة الملك سيف بن ذي يزن، وتتكاتف حلميات السيرة لتكثيف هذه الصورة ودعوة أبطال العمل للإيمان برسالة إبراهيم بشكل رئيس، إلا أن حلما متفردا في السيرة اتخذ شكل النبوءة التي بشرت بقدوم النبي الكريم، مما وسَّع دائرة الإيمان لتشمل الإسلام الذي أتمّ الله رسالته ببعثة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–. المنام يرويه الملك الروض لسيف بن ذي يزن، ويترسم ذات النسق الذي يظهر فيه هاتف يدعو للإيمان/ الإسلام، الأمر الذي يرتِّب إيمانا حقيقيا، يحفِّز لمساعدة أبطال العمل لاحقا: "ونمت تلك الليلة فهتف عليّ هاتف في منامي، وهو شخص وعليه حلة من حلل الجنة وقال: يا روض! انتبه من المنام، ووحد الملك العلام... إذا أسلمت حُشرت مع الأبرار والرجال الأخيار، وكنت في شفاعة النبي المختار، الذي يُبعث آخر الزمان..." [١]. وتتقاطع هذه النبوءة مع النصّ الإسلامي الذي يبشر ببعثة النبي محمد في مرويات عديدة، وعلى رأسها النص القرآني الذي جاء على لسان عيسى –عليه السلام–: "ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"، ليكون –صلى الله عليه وسلم– المختارَ الذي يُبعث حقيقةً آخر الزمان.

● صورة الرسول داعيا

ببعثة الرسول الكريم، يُذعن صاحب الرسالة –عليه السلام– لأمر الله بالقيام على الدعوة، وتجسِّد السير التاريخية التي احتفلت بالرسول الكريم السياق التاريخي والجغرافي الذي امتدت فيه الدعوة للإسلام، وملابساتها ابتداء من إرهاصات النبوة، حتى وفاته عليه السلام. المثير في المنامات محلّ الدراسة أنها تمدّ في عمر الدعوة، وتجعلها معاصرةً، مؤثرةً في السياقات الإيمانية والسردية على السواء.

كثفت الأميرة ذات الهمة ترسيم هذه الصورة وعصرنتها، بحيث كان يمكن أن يؤدي تغييبها إلى إضعاف الحدث المنبني ابتداء على قيمة مقابلة الإيمان ممثلا بالرسول للكفر. إن صورة الرسول وهو يدعو أبطال العمل للإيمان شكّلت أفق انتظار كبير، يتوقعه المتلقي إزاء الإشكاليات التي عاناها فاعلو السيرة في مواطن عديدة، إذ إن حلَّ الإشكالية يتم وفق التوقع الآتي: ظهور الرسول الكريم في المنام، ثم دعوته للإسلام، ثم إجابة الدعوة، ثم مساعدة أبطال السيرة في المهمة التي يقومون بها، كونهم انضووا في ذات البوتقة الإيمانية:

---

[١]) سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٤، ص٣٣. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ في الجزء الأول، يدعو الرسول الكريم الأسقف أن يعلن إسلامه، فلا يصلي ويتعبد إلا جهرا، قال الصحصاح: "كنت نائم[١]، وإذا بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وهو يقول لي: كم يا هذا تقرأ وتصلي سرا!! لا ترجع تصلي وتقرأ إلا جهرا!!" [٢]. ويضاعف راوي السيرة المنامَ مرات عديدة بجعله بقية الرهبان يرون ذات الرؤيا: "ثم قال كل واحد من ذلك الرهبان: والله ما منا أحد إلا وقد رأى في منامه الليلة ما قد أهاله من الخوف والحساب.. ومن يكون بشفاعته أنقذنا من الحساب والعذاب والعقاب في المنام، فلا بدّ أن يكون شفيعا لنا في اليقظة، ويخلصنا من أليم العذاب"[٣].

◆◆ ويدعو مارس للإسلام ومعاونة البطال في مهمته: "إنني رأيت البارحة كأنني أصلي صلاة الإسلام، وفي هذه البيعة التي في الدار، وإذا أنا بشخص قد مسكني وهزني حتى كدت أن أقع، وقال: قد هداك الملك العلام، فحوِّل وجهك نحو البيت الحرام، ودع عنك الإشراك، وكن موحدا تنجُ من الهلاك... يا هذا، دع عنك المحاججة والجهالة، وقرّ لي بالرسالة، فأنا شفيع الأمة، ونبي الرحمة، وسراج الظلمة محمد –صلى الله عليه وسلم–"[٤]. وبذات الكيفية دون تحوير، يرى أخوه دارس المنامَ نفسه: "وكل ما حدثتني به أنت رأيته أنا الآخر في المنام"[٥].

◆◆ ويكشف المنام الآتي عن صفات خَلْقية للرسول الكريم، يقدمها الراوي بين يدي النص لتحقيق مصداقية أكبر لرواية المنام، يظهر الرسول الكريم: "أبيض اللون، مليح الكون، مقرون الحواجب، واسع المناكب، معتدل القامة، بين كتفيه علامة"[٦] ليدعو عبد الصليب للإسلام، وترك الكفر والضلال.

---

[١] هكذا وردت، والصحيح: كنت نائما، بالنصب. وسأعمد لنقل النص في الاقتباسات التالية كما ورد في الأصل!.

[٢] الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٤٧١.

[٣] المصدر السابق، مج١، ص٤٧١.

[٤] المصدر السابق، مج١، ص٧٠٥–٧٠٦.

[٥] المصدر السابق، مج١، ص٧٠٦.

[٦] المصدر السابق، مج٢، ص٣٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ ذات العلامات تتكرر، وتبرز ثانية صفات البياض، والملاحة، والنور، والهيبة، وخاتم النبوة، لتكون تأكيدا نصيا واضحا على صحة الرسالة، وبالتالي صحة المنام، يدعو الرسول الكريم الآن الملك الكندفرون، فيؤمن، ويكون عونا لعبد الوهاب، وتتكرر كذلك حيلة المنام الواحد المرئي من قِبل أفراد متعددين، فقد دعا الرسول الكريم آل الملك الكندفرون، ليراهم/ الملك حين دعوتهم للإسلام قد شاهدوا ذات الرؤيا: "وما فينا إلا من رأى كما رأى صاحبه... إن الذي رأيتموه رأيته، ولما دعاني إلى الإسلام لبَّيتُه"[١].

◆◆ وفي سياق دعوة النوتي الملاح، يمتد المنام لفضاء القيامة، ويكون الرسول الكريم هو الناجي ومن تبعه من أمته، وبالرغم من تشكُّل القيامة حسابا مطلقا، إلا أن الراوي يجعله فضاء صالحا للدعوة! يرى الملاح نجاة الرسول الكريم وأمته، فيتمنى أن يكون من تلك الفرقة الناجية، ويستغلّ الرسول الكريم الفرصة مستمرا في دعوته الشريفة، قارنا معها ما يخدم السرد بوصفه الآن فاعلا سرديا موجها للسرد، وعلى ضوء ذلك يقول: "أتريد أن تكون من أمتي؟ قلت: نعم. فقال: لي إليك حاجة، فإن قضيتَها ونطقتَ بالشهادة وهي كلمتي صرت من أمتي.." [٢].

بذات النسق، يقف الرسول الكريم معاونا أبطال السيرة الذين آلوا على أنفسهم الانتصار للإسلام، وإذ ذاك، تعني نصيات المنامات التي وجَّه فيها الرسول السرد لصالح الأبطال، الانتصارَ للإسلام بالضرورة. وقد اقترنت تلك المنامات بخطابات صريحة تجلّي سبب هذا الانتصار وتبرر له.

لعلّ قضية الأمير عبد الوهاب ونسبته إلى فراش الزنا، شكَّلت بؤرة هامة في سرد السيرة، التي كثَّفت حلولا عديدة لم تشكل حلا جازما قادرا على قطع الشكّ باليقين.. لم تشكل رؤية شيخ القافة التي أقرت التبرئة، ولا رؤية الإمام جعفر الصادق بالرغم من حضوره الديني الفاعل حلا يمكن تلقيه بقبول مجتمعي عامّ، الأمر الذي أفضى بعقبة والحارث وأبيه أن يبحثا عن حلٍّ أكثر جدوى، وإذ ذاك كان الدخول على الخليفة المهدي الذي رتَّب له الراوي حلما عظيما يستمدّ قداسته من قداسة النبي الكريم الذي صرَّح بما لا يدع مجالا للشك ببراءة

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٧٠٩-٧١٤.

[٢]) المصدر السابق، مج٣، ص٢٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمير: "هذا غلام مظلوم متهوم بالزور، والبهتان، والعدوان.." [١]. ويستمر السرد ليكشف هذه العناية النبوية بالأمير، إذ يقرّ –عليه السلام– بما يشكّل نبوءة ستحتضنها السيرة بأجزائها السبعة: "وهو من يطلب نصرتي، وبه تسير في الدنيا كلمتي، يبذل نفسه في طاعة الله وطاعتي.." . وهذا ما وهب الأمير لقب ترس النبي –عليه السلام– وقد بادأه به الخليفة المهدي ذاته.

يتواتر ظهور الرسول وهو يوجه الأبطال بما يكفل لهم النصر، فقد وجه الأمير عبد الوهاب لوادي السنديان الذي فيه سيرى العجب[٢]، وفي موضع آخر يشفيه الرسول الكريم من جرح كاد يهلكه، ويوجه ملاحا نوتيا للأميرة ذات الهمة يخبرها بوجود الملك منويل وأقاربه في مركب أعدَّ للقضاء عليهم[٣]، ويعين البطال الذي ارتحل باحثا عن عقبة شيخ الضلال، فيدعو الراهب للإسلام ونطق الشهادة، ومساعدة البطال في مهمته، ويوضح صراحة الهدف الكلي من ذلك، وهو نصرة الإسلام، والقضاء على عقبة الذي: "كذب برسالتي، ولم يصدق قولي ونبوتي، ويستبيح دماء أمتي، ويخرب ديار أحبتي..." [٤]، ويعين العبد الصالح حجاف الذي تناهت به الشدة في نصرة الدين، ويأمر بشر بن فهد أن يدركه بعد أن عرض عليه الإسلام فآمن[٥]، ويبشر المعتصم بالنصر والقضاء المحقق على الأعداء في تداعٍ جميل يستلهم نصر الله للرسول في غزوة الأحزاب[٦].

وإذا كان عقبة يمثل القيمة الإشراكية المرتدة بما تُحيل إليه من ضرورة القصاص العادل، القاضي بالقتل، فإن الرسول الكريم يقرر ذلك في رمزية جميلة، تهدف لتأكيد الإسلام، وإقصاء الكفر حين يدعو الأمير عبد الوهاب لصلبه بعد أن استبان كفره، ووضحت ردته، ويكون هذا المنام نبوءة مركزية قادرة على تحريك السرد على امتداد أجزاء السيرة تامة، فقد كانت النبوءة الحلمية في الجزء الأول، وتمثل تحققها في الجزء الأخير السابع، وفيما بينهما لعب السرد في سياقات مكثفة حيلا عديدة في قتل عقبة والتمكن منه، إلا أن التلقي العارف

---

[١]) المصدر السابق، مج١، ص٦٢٨–٦٢٩.

[٢]) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٨٦٧.

[٣]) المصدر السابق، مج٣، ص٢٩٠ وما بعدها.

[٤]) المصدر السابق، مج٤، ص١٤٦–١٤٨.

[٥]) المصدر السابق، مج٦، ص٢٨٩–٢٩٠.

[٦]) المصدر السابق، مج٧، ص٩٢٣–٩٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باحترام السيرة لأدبيات المنام، وصدق نبوءة الرسول الكريم رسم أفقَ توقع خاص يقضي بتوحد طريقة موت عقبة وتحققها ضمن آلية الصلب، وعلى باب الذهب فحسب، حيث ارتدّ هناك في القسطنطينية، ليكون العقاب من جنس العمل! وليمثل حلم الصلب إرادة نبوية حقيقية في تأكيد صلب ما دون الإسلام والقضاء عليه. وسنقف عند هذا الحلم بشيء من التفصيل لما يحمل من أبعاد سردية تستدعي التفصيل في فصل لاحق.

التلقي العالي لصورة الرسول الداعية في النص الحلمي، يُغري بالاختلاق، ومن ذلك ما أورده التنوخي في النشوار في قصِّه حكاية المكدي البغدادي الذي استغنى بسبب منامٍ مختلَق، تلبَّس فيه شخصية راهب يدعوه الرسول الكريم للإيمان على يد القائد التركي، الذي تلقى المنام بمصداقية عالية لا سيما أن الرسول بشره بأنه من أهل الجنة: "امض إلى فلان القائد حتى يأخذ عليك الإسلام، فإنه من أهل الجنة"[١]. وإذ يخلع القائد على المكدي ما يربو على خمسة آلاف درهم، يكون النص المزعوم حافزا لحكايا عديدة، تتشابه حيثياتها، وتختلف فيها أسماء القادة فحسب!.

هذا المنجز المادي المتشكل بسبب نصّ مفترى على الرسول يتكرر في المقامة الأصفهانية للهمذاني، ويمهد له بصورة جمالية آسرة تعكس إشراق النبوة في المخيال الإسلامي، يظهر الرسول في المقامة "كالشمس تحت الغمام، والبدر ليل التمام، يسير والنجوم تتبعه، ويسحب الذيل والملائكة ترفعه"[٢]، وقد تراءى لأبي الفتح معلما إياه دعاء ينفع الأمة، وجعله الإسكندري هبة، إلا أنها تؤول لهبة مدفوعة الثمن؛ إذ انثالت عليه الدراهم حتى حيرته[٢].

وإذا كانت الدعوة للإسلام كفالة حقيقية للمدعوين للنجاة من العذاب الأخروي، فإن نصوص المنامات تغلق الدائرة على كفالة ضامنة إقصاءَ الشدة والعذاب الدنيوي، يهبها الرسول الكريم لمن يشرفه بالرؤية. إن الرسول الكريم يُعملُ يده الآن في حيثيات عديدة حلا لإشكاليات مستعصية، ومعضلات شائكة؛ إذ تتلاشى كل العقبات أمام فعل الرسول في فضاء المنام:

---

[١]) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التنوخي، ج٨، ص٢٧٢.

[٢]) المقامات، الهمذاني، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

● **صورة الرسول شافيا**

تستغل نصوص المنامات ما أثر عن الرسول الكريم في شفائه لبعض المرضى في مرويات إسلامية، وتمدّ في سياقاته، وتسبغ عليه –عليه السلام– قوة عجائبية تتقاطع مع الأثر التاريخي في بنية الفكرة/ الشفاء دون التفاصيل.. وإن كان الإيمان بما ورد في الأثر لدى التحقق من صحة السند والمتن واجبا لوجوب الإعجاز، إلا أن المتلقي لنصوص المنامات بما تحمل من رمزية عجائبية عالية في هذا السياق، يوقّع التساؤل عما إذا كان التصديق هنا واجبا أم لا؟!.

في حديث العلوية التي زمنت خمسة عشر عاما حتى ثقل حالها على نفسها وخادمتها، يكون الشفاء على يد الرسول في المنام.. يظهر ويخبر بأبوته –عليه السلام–، وإذ تظنه الزمنة الإمام عليا –في إشارة دالة على أحاديث التشيع– يؤكد أن الأبوة المجتمعية له حسب، فيعرِّف ذاته بالاسم والصفة: "أنا أبوك محمد رسول الله"[١]، ثم يمارس طقوس الشفاء بالدعاء أولا، ثم بالأداة العملية ثانيا، حيث يقيمها ويمشّيها مرات ثلاثا. إن هذا الشفاء لا يتم في فضاء الحلم فقط، بل يتجاوزه إلى فضاء الواقع، يعكس ذلك رواية المنام ثانية حال اليقظة، والتحقق منه عمليا. تقول الزمنة للخادمة: "إني رأيت رسول الله فدعا لي في النوم، وقال: قد وهب الله لك العافية"[٢]، ويكون ذلك حقا!.

ويروي التنوخي ذات الحكاية في الجزء الرابع مع شيء من التحوير، فالعلوية هنا ترى جدها –عليه السلام– وتسأله الشفاء، فيعلمها أن هذا ليس بوقته، فتسأل عليا فلا يُجيب، فتسأل الحسن والحسين –وتقاطع إشارة التشيع مع النص السابق بيِّنٌ هنا–! حتى كان الشفاء بعد مضي سبع وعشرين سنة على زمانتها، فيشفيها الرسول الكريم مصرحا: "قد فرَّج الله عنك فقومي"[٣].

---

١) النشوار، التنوخي، ج٢، ص٢٦٦.

٢) المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٧.

٣) المصدر السابق، ج٤، ص١٦٠-١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتصاعد عجائبية الشفاء في الأميرة ذات الهمة في سياق لقاء عبدالوهاب بالأسير الـذي أعدمه الروم أطرافه: يتعرف الأمير إلى حكاية الأسير، ثم ينفصل عنه قليلا طلبا للنوم، ليفاجأ بعد لحظات بتطورٍ صادم للتوقع عندما يوقظه الأسير وقد ارتدت إليه أطرافه، ويعبر الـراوي عن صدمة الأمير بتوصيف الرعب، والانتفاض كالسعفة في الريح العاصف، وتطاير العقـل، ورجفان القلب!! لتنحلّ عقدة الموقف بقصٍّ المنام الذي جاء فيه الرسول الكريم: "وقد مدَّ يـده الشريفة على صدري، وعلى كلّ عضو عدمته، فرجع أحسن ما كان"[١]!! كما كان ذلـك فـي مشهد ردّ أطراف الحجاف الذي يحيل لمشهد العلوية الزمنة، والرسول يأخذ بأيديهما ويأمرهما كليهما بالنهوض فينهضا[٢]!.

ومن أدبيات الاعتراف بمنام الرسول الكريم، اعتراف أبي محمد البطال: "وما في رؤية رسول الله تكذيب"[٣] إثر شفاء الرسول الكريم عبدالوهاب من جرح جعله يشرف على الهلاك. يقول في سياق المنام: "فضرب بيده إلى الجرح، فقمت وأظن أنه التحم"[٤]، وتتكـرر روايـة المنام، ويتكرر الاعتراف بواقعيته وصدقه: "يا أماه! انظري إلى جرحـي، فمـا منـامي إلا صحيح"[٢].

● **صورة الرسول قاضيا**

يلحّ ظهور الرسول الكريم في منامات عديدة لحلّ إشكاليات اقتصادية استعصت علـى أصحابها، وذلك ضمن آليتين محددتين: تكمن الآلية الأولى في توجيه خطاب نبـوي مباشـر لقادرٍ يدعوه الرسول لقضاء دين المدين، يظهر ذلك في قصة المأمون مع أبي حسان الزيادي، إذ وجه الرسول الكريم المأمون مباشرة للإحسان إليه بقوله: "أغث أبـا حـسان الزيـادي"[٥]، والظاهر أنه منام متكرر بذات الصيغة، وقد انبنى تكرره على عدم الإجابـة، تكـشف ذلـك العبارة الاستهلالية التي ألقاها المأمون لدى لقائه بالزيادي: "إن رسول الله ما تركني البارحـة

---

١) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٨١٤-٨١٥.(

٢)الأميرة ذات الهمة، مج٦، ص٥١٥.(

٣) المصدر السابق، مج٥، ص٢٥٧.(

٤) المصدر السابق، مج٥، ص٢٥٧.(

٥) النشوار، ج٢، ص٢٣٨.(

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنام بسببك"[١]، ويوضح مجيء الرسول في أول الليل، ثم في وسطه، ثم في الساعة الحاضرة!. وعلى ضوء ذلك يكون قصّ الزيادي لحكايته قصا استرجاعيا، يرتّب في تقاطعه مع وصية الرسول الكريم عطاءً من المأمون يبلغ خمسة وأربعين ألف درهم.

تتجسد الآلية الثانية في توجيه الخطاب النبوي لصاحب الحاجة مباشرة، حيث يُدعى لقصدِ شخص يعينه الرسول الكريم، الذي قد يدعم هذا الخطاب بخطاب مماثل للرجل المعنيّ بالقضاء، يتمثل ذلك في قصة العطار المدين، حيث يوجَّه لعلي بن عيسى استيفاءً لأربعمئة دينار، في حين أن السرد يكشف عن توجه أسبق لعلي بن عيسى يحفزه للإجابة، ويكشف ذلك لقاء العطار به، إذ يؤكد له في تماهٍ لطيف مع قصة المأمون: "فوالله ما تهنيت بعيش منذ البارحة، جاءني رسول الله في منامي فقال: أعطِ فلان بن فلان العطار في الكرخ أربعمئة دينار"[٢]!. وهذا التحقق يكون مصداقا لأدبية المنام التي أقرها العطار بمعرفته نصّ الحديث الشريف: "من رآني في المنام فقد رآني حقا لأن الشيطان لا يتمثل بي" فلمَ لا أقصد الوزير؟"[٣].

في حلميات مشابهة، يتمثل دعم الخطاب ببرهان يشكّل دليلا حازما على صدق الرؤيا وعدم اختلاقها، فإذ يوجه الرسول الكريم الشيخ أبا البنات إلى العز ملك شاه ليجهز بناته، يجعل معه البرهان الدالّ على صحة المنام: "قل له بعلامة أنك كل ليلة عند النوم تقرأ سورة تبارك"[٤]. ذات الإطار الحكائي يتكرر مع شيخ آخر يوجهه الرسول للوزير علي بن عيسى حتى يدفع له مئة دينار عينا، وتكون العلامة أنه صلّى عند قبر الرسول أربعة آلاف مرة، الأمر الذي يحفز على التصديق فالإجابة: "صدق الله ورسوله، وصدقت أيها الرجل، هذا شيء ما كان علم به إلا الله تعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم–"[٥].

تعكس تجليات الصورة التي رسمتها نصوص المنامات للرسول الكريم تقاطعا طريفا مع الأثر التاريخي الذي رسمه مبشّرا به، وداعيا إلى الله سبحانه، وقادرا بإذن الله على تقديم

---

[١]) المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٧.

[٢]) النشوار، التنوخي، ج٢، ص٢٤٤.

[٣]) المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٣–٢٤٤.

[٤]) الاعتبار، أسامة بن منقذ، ص١٧٥.

[٥]) المصدر السابق، ص١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حلول إيمانية واقعية، ومتولدة من بوتقة الإعجاز، الأمر الذي يفضي لتخليق تلقٍ عالي المستوى للمرويات التي جعلته شافيا بإذن الله، وغير ذلك مما لا يُقبل من بشر عادي. إن نصيات المنامات ضمن هذا التشكيل قد عكست الاعتبار المجتمعي العام الذي شكلته الثقافة الإسلامية الممتدة على رقعة الوجود الإسلامي للرسول الكريم، ولم تخرج عن أطره العامة التي نظرت إليه بوصفه إنسانا نبيلا، ورسولا معجزا لإعجاز النبوة.

❋❋ الدعوة الإسلامية.. وإقصاء الآخر

لم توحد الحلميات سبل الدعوة في شخص الرسول الكريم، وإن مسَّكته زمام قيادها، فقد أفرزت شخصيات أخر اضطلعت بهذا الدور، وأسقطت عليها الصورة التي شكلتها الرؤية الإيمانية والمجتمعية لها، فكانت لها تجليات تنتظم الأطر العامة الضابطة لتلك الصورة، وهي على تواتر حضورها وأهميتها:

● المسيح والتوقيع للإسلام

لعيسى –عليه السلام– في سيرة الأميرة ذات الهمة حضور خاص وقَّع لتمثيلات منسجمة مع الرؤية الإسلامية له، وصادمة لإيمان الفئة النصرانية التي أسبغت عليه رؤى تأليهية، وهي تمثيلات مقصودة أكَّد تواترها ونسقيتها هذه القصدية، التي تجلَّت عبر ما يلي:

◆◆ الدعوة للإسلام:

فقد دعا سيدنا عيسى بدعوة النبي محمد في مواضع عديدة، ومما يلحظ في هذا السياق أن دعوة عيسى في الغالب تكون تالية لدعوة محمد –عليهما السلام–، وتكون ردا على سؤال متكرر: من أنت لتأمرني بما يغضب المسيح؟ ليكشف الراوي نهايةً أن البقاء على النصرانية هو الذي يغضب المسيح حقيقة!.

في مشهد دعوة مارس يؤكد عيسى –عليه السلام– الإيمان بالله، وتكرار كلمة التوحيد: "افتح فاك لأن الله قد هداك، فعند ذلك أعلنت بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال لي: قد فزت مع الفائزين"[1]. وعندما استعلن الكندرفون أمام سيدنا محمد بخوفه من غضب المسيح إن

---

[1]) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٧٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو ترك النصرانية، تمثل له عليه السلام ودعاه للتوحيد والإقرار بالشهادة الإسلامية: "فقلت: يا مولاي! وكيف أقول حتى أصير من أهل دينه؟. فقال لي: قل أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"[١].

وقد تكون الرواية عن المسيح لا منه، ويدلّ على ذلك حكاية زنانير بنت الملك صلبوتا عندما دعاها الرسول محمد للإسلام، وإذ أظهرت بذات النسقية خوفها من غضب عيسى، أقرّ نيابة عنه بعبوديته لله، وتصديقه بالرسالة الإسلامية، وإزاء هذا التغييب لشخصية المسيح اضطر الراوي للبرهان، فطوَّر دليلا ماديا يعطيه الرسول للملكة تمثَّل بالدرة التي هي آية كبرى، وأسلمت عندما تحققت ذلك في اليقظة لا المنام! [٢].

وفي عملية تبادلية، يرى الراهب المنقطع للعبادة عشرين عاما عيسى يشير لضلال عمله، ويوجهه لإيمان صحيح على يد محمد –عليهما السلام–، فتكون الشهادة منطوقة من محمد، ومُقرَّة إقرارا صريحا من عيسى –عليهما السلام–[٣]. وفي رواية راهب آخر، يرى المسيح يحذره بطلان عمله لإقصائه التوحيد، والاعتقاد بالشرك: "يا شيخ! كلّ ما عملته معنا ضائع، وأنت تظنّ أنك عندنا طائع، ولكن وحد الله خالقك فهو ينجيك"[٤].

◆◆ إقصاء الفكرة التأليهية، وتأكيد البشرية:

ويتقاطع هذا العنوان مع قيمة التوحيد السابق ذكرها، وحيث إن قضية التأليه أساس إيماني عند النصارى أفضى إلى الشرك الذي رفضه عيسى –عليه السلام–، فقد طوَّرت نصوص الحلميات سياقات عديدة تعرضها لتنقدها وتقصيها، وقد كان ذلك صريحا على لسان عيسى بشكل أساس ثم محمد عليهما السلام، ولا شكّ أن سرد الرفض وكسر فكرة التأليه ابتداءً من عيسى –عليه السلام– يشفّ عن ذكاء الراوي الذي أعمل الهدم بيد من بنته النصارى إلها –تعالى الله عن ذلك–.

---

١) المصدر السابق، مج٢، ص٧١٠–٧١١.

٢) الأميرة ذات الهمة، مج٣، ص٧٥١–٧٥٢.

٣) المصدر السابق، مج٤، ص١٤٦–١٤٧.

٤) المصدر السابق، مج٧، ص٧٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حلم الملك عبدالله يكون إقرار سيدنا محمد بعبودية عيسى، وتأطيره بإطار الرؤية الإسلامية التي تفصح عن كونه كلمة الله التي ألقاها إلى مريم، والمسيح يعي ذلك، فيصوره الراوي: "وهو يرتعد خجلا مما قالته النصارى فيه"[١]. هذا الإجمال يستتبع تفصيلا في سياق لاحق، ففي ذات الجزء يستفزّ الحكيم فكرة الألوهية أمام عيسى –عليه السلام– ليرفضها منكرا: "يا إلهي! انظر إلي وارحمني. فقال: ويلك! من إلهك؟ فقلت له: أنت. فقال: ويلك! كفرت بالواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولد"[٢].

وفي تطوير آخر يؤكد عيسى على مفردات البشرية، وصفات لا تكون لإله كما في الزعم النصراني، فيطلب من الراهب أن يجعله عبدا، ويؤكد ذلك بنفي الشراكة، ثم يدلل على عبوديته بكونه أول من يقف للحساب ويخشى من العقاب[٣]. ويستثمر الرسول محمد ذات الفضاء/ القيامة، ويعلن لمانع مساءلة الله –سبحانه– لعيسى مستلهما النص القرآني: "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله"[٤]، ذات الآية الكريمة يستلهمها منام بشر من خطاب الله –سبحانه– مباشرة، حيث أحضر عيسى –هكذا الرواية– وسأله إقرارا لنفي الألوهية: "يا عيسى.. أأنت قلت للناس... قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق"[٥]؛ وهذا الحضور الكريم للآية يؤكد تمثيل البشرية حتى النهايات، وإقصاء التأليه الذي اجتمع على رفضه الله –سبحانه– في النص القرآني المستلهم، وكلّ من عيسى ومحمد –عليهما السلام– ضمن مشاهد حلمية تختلف سياقاتها، وتأتلف نسقيتها الإيمانية.

◆◆ النبي محمد.. والإقرار بالشخصية

وبهذا تنغلق دائرة إيمان عيسى –عليه السلام– ضمن الرؤية الإسلامية التي جعلت من محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وأوجبت على الناس جميعا الإيمان به، ولذا يجيء السرد الموصِّف لشخص عيسى –عليه السلام– منساقا للأمر الإلهي أولا، وداعيا إليه المجتمع

---

١) المصدر السابق، مج٣، ص٤٣٢.
٢) المصدر السابق، مج٣، ص٥٠٣.
٣) الأميرة ذات الهمة، مج٧، ص٧٦٠.
٤) المصدر السابق، مج٦، ص٢٦.
٥) المصدر السابق، مج٦، ص٢٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسيحي ثانيا. وعودة إلى نصوص الحلميات التي أقرت التوحيد وإقصاء فكرة الإشراك، تفصح عن امتداد السياق ليشمل الإيمان بمحمد بوصفه خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات.

يقول سيدنا عيسى لمارس بعد دعوة محمد –عليهما السلام– له: "ويلك اتبع هذا النبي المختار، فأنا عيسى بن مريم، وهذا النبي المكرم، ولو أدركت زمانه ما كنت إلا معه"[١]. وفي حلم الكندرفون يبادئ عيسى بالسلام على المختار حبيب الجبار، ويؤكد كونه النبي المبشر به في الرسالات السماوية، فهو النبي الأمي: "الذي اسمه في التوراة، والانجيل، والزبور، والفرقان العظيم"[٢]. إلا أن الخطاب الأبين الذي يستعلن فيه عيسى بتصديق محمد –عليهما السلام– يتجلّى في حلم الملك الدهمار، وهو نصّ حلمي متفرد بهذه الشهادة، بمعنى أن سياقاته لم تنصّ إلا على مسألة الإيمان بمحمد ورسالته الإسلامية، إذ يظهر عيسى وهو يكلم محمدا قائلا والخطاب موجه بالضرورة للدهمار: "لقد خسر من كفر بك يا محمد؛ لأنك النبي الصادق، ولقد كذبت النصارى عليك يا محمد فاشهد أني بريء منهم"[٣]!. وتتكرر ذات المفردات المقرة بنبوة محمد، المكتوب اسمه في التوراة والانجيل، المختوم برسالته في حلم الراهب، بل ويقرّ عيسى بشفاعة محمد وافتخار ابنته فاطمة على السيدة مريم –عليهم السلام– [٤].

◆◆ الأولياء والصالحون

= **الملك الصالح أيوب:** وقد تواتر ظهوره في سيرة الظاهر مجذوبا من المجاذيب الذين لهم اتصال بمن يعلم السر والحال!. ولم يقف أثر الملك الصالح على مجرد الدعوة للإسلام، وإنما تعداه لتسيير حوادث عديدة ليكون فاعلا سرديا قام على تحفيز السرد في سياقات عديدة.

أول ظهور له بوصفه داعية للإسلام تمثل في لقائه لابنة عبد الصليب التي بشرها بكونها من الفرقة الناجية، وأن عليها التوجه لجمال الدين شيحة فتعلمه بإسلامها، ويرتب على

---

١) المصدر السابق، مج١، ص٧٠٦.

٢) المصدر السابق، مج٢، ص٧١٠.

٣) الأميرة ذات الهمة، مج٣، ص٥٢١.

٤) المصدر السابق، مج٤، ص١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أنها ستؤول زوجة له[١]. ويجدر التأكيد هنا أن الدعوة للإسلام تقترن في جلّ الأحيان بما يخدم السياق العام للعمل وأبطاله، فهي على هذا الاعتبار –الحلميات– تأتلف في بنية العمل، وتكوِّن معه نسيجا واحدا تنتظم فيه ولا تقتحمه دون تبرير.

في مشهد حلمي آخر يدعو الصالحُ غرطالَ للإيمان، في خطابٍ يعتمد على أدبية مفعمة بروح الإسلام، وهو خطاب فيه قدر من التطويل المنسق الذي يدعو للقول بوضع هكذا منامات، وكونها مؤدلجة يرسمها الراوي خدمة للسرد، والفكرة التي ينطلق منها. ومن خطابه هنا التأكيد على إصلاح الفائت، وإدراك الآتي، وعدم الركون للدنيا التي فيها "من الأحزان ما ينفي المسرة، فكم يطلب من الدنيا، ويسعى لجمعها، ويحويها بكثرة، ويقضي عمره شوقا إليها، ويتركها ولم يحظ بذرة، وناس في رضا الدنيا تراهم لها يبغون وهي لهم مضرة..." [٢]. والمتابع للسرد يدرك غاية الحلم، الذي يتوصل عبره للتأكيد على حمايته ولده الظاهر بيبرس: "يا قليل الأدب! تقبض ولدي مرتين؟! والله لولا علمي أنك من أهل الإيمان لقتلتك جزاء لما فعلت في حق ولدي ملك الإسلام"[٣].

والنصّ يجلّي إضاءة مركزية هامة تتجسد في كون الظاهر ملك الإسلام، ومن هنا حقت رعايته ورجاله كجمال الدين شيحة، وهذا يشهد بحرص الملك الصالح على الإسلام بالضرورة، بل إن العملَ يمدّ في حرصه ليجعله راعيا للإسلام حتى بعد مماته. يظهر الملك الصالح للمعظَّم عيسى ويدعوه وهو نصب عينيه للجهاد: "تسلطنتَ يا عيسى! قوم قاتل على خيرة الله"[٤].

= الشيخ عبد السلام

ابتدأ الشيخ مشهده الحلمي بدعوة الملك روض لتوحيد الملك العلام، ثم عرَّف بكونه "الفقير إلى الله الملك السلام، واسمي الشيخ عبد السلام"[٥]. وقد اتّسم خطاب هذا الحلم بقدر من

---

١) الظاهر بيبرس، مج٢، ص١١٠٦-١١٠٧.

٢) المصدر السابق، مج٤، ص٢٤٣٣.

٣) الظاهر بيبرس، مج٤، ص٢٤٣٣.

٤) المصدر السابق، مج٢، ص٩٧٦. و"قوم" هكذا وردت، والصواب: قم بالجزم.

٥) سيف بن ذي يزن، مج٤، ص٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الترهيب، يغاير نسقيات الأحلام التي احتفظت في عمومها بالترغيب والرحمة أثناء الدعوة للتحول عن الشرك للإيمان!. كما يُلحظ المتقابلات التي ركّز عليها الشيخ عبد السلام من حيث الجزاء والمآل لحالي الإيمان والكفر، وسأشير إليه لدى الحديث عن تمثيلات كلّ منهما لاحقا.

في مشهد تالٍ يصعّد الشيخ خطابه إذ يقولبه بالدليل القاطع على وحدانية الله، متخذا من الفضاء الكوني مساحة واسعة له، فيكثّف حديثه عن السماء، وبسط الأرض، وخلق الخلق، الأمر الذي يحتّم الإيمان بالله، ويربط خطابه الإيماني المتوجه إلى الملكة رخمة بخطاب آخر يسأل فيه نصر الملك سيف بن ذي يزن، لينصهرا في بوتقة واحدة تصرّ على نصر الإسلام ورجالاته[١]، وهي قيمة أدركناها في أعمال عدة كما الأميرة ذات الهمة، والظاهر بيبرس.

= الخضر عليه السلام

وقد تراوح ظهوره في سيرة الملك سيف يقظة[٢] ومناما حيث ظهر لتكرور سيدة السودان، فدعاها للإسلام، ثم الزواج بالملك سيف[٣]، وتجلى طيفا في سيرة الظاهر وهو يدعو المقدَّم يعقوب للإسلام، فيستجيب الأخير له، وقد ترسَّم المنام بتكثيف بيِّن اختزل حيثيات اللقاء، فنحن نرى المقدَّم يعقوب يسلم ويردد الشهادتين، ليستعلن بالسبب: "أنا رأيت الخضر وأسلمت على يديه"[٤]، هكذا فحسب!.

ويحكي خورشيد عن دور الخضر المركزي في سيرة سيف، وتجليات حضوره في أعمال أخرى بنسب متفاوتة رادًّا ذلك للبعد الإسلامي المستمد من القرآن الكريم، لا سيما في

---

١) المصدر السابق، مج٤، ص٣٤٤-٣٤٥.(

٢) سيف بن ذي يزن، مج٤، ص١٦٧.(

٣) المصدر السابق، مج٢، ص٢٥٥.(

٤) الظاهر بيبرس، مج٣، ص١٨٧٨.(

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكر المفسرين للخضر مع سيدنا موسى –عليهما السلام– وإن لم يذكر دوره في المنامات محلّ الدراسة، في حين أشار لمنامات أخرى لذي القرنين اضطلع الخضر ذاته بتفسيرها[١].

◆◆ مجهولون وهواتف

لم تعرّف نصوص المنامات بشخوص أبطالها على الدوام، ولعلّ ذلك يشير إلى تشكل تنوعات تفضي للتكامل، فالإشارة دالة هنا على أن القيام بالدعوة موكل للجمع المؤمن بغض الطرف عن مستوى أداءاته ووجوده في الساحة الإسلامية. ومما يجدر ذكره أن هؤلاء المجهولين الذين هتفوا بنصية الحلم انساقوا للآلية العامة التي شكلت بنية الحلم، فائتلفوا في نسيجها العام من حيث الفكر والأداء الأسلوبي.

في سيرة سيف يلوح شخص مهول الخلقة، شنيع المنظر لبرنوخ الساحر يدعوه للإيمان، وإذ يقرّ بأنه لم ترَ عينه أقبح منه منظرا، ويأتي على توصيف سالب له، ملازمٍ لخطاب مروع[٢]، ندرك كما أشرت لذلك سابقا انسجام هذا الخطاب الترهيبي الذي عرفته هذه السيرة تحديدا مع بقية نصيات المنامات، وكأن الراوي أراد أن يوقّع لدليل كافٍ على صدق تمثّل الدعوة بهذه الكيفية الصارمة، التي احتفظت بصورتها في سياقات عديدة.

وفي فضاء القيامة، تستجير جميلة بنت الملك برهوت بالمؤمنين –دون تحديد العَلَميّة– الذين سيقوا للجنة بعد أن تأكد لها أنها من أصحاب النار، فأجابوها ودعوها للإقرار بالشهادة والتوحيد، وإذ أقرَّت كانت النجاة[٣].

وإذ يعزم جرجيس أن يجعل الكعبة المشرفة بيعة للروم، يظهر "شخص" بصورة مريعة تناسب مقام الفعل الذي انتواه! وينادي بأن يسلم، ويشهد لمحمد –صلى الله عليه وسلم– الذي شهد له الأنبياء –عليهم السلام– بالرسالة.. إلا أن الشخص لا يمهل جرجيس، فيسارع بالعقاب

---

(١) أديب الأسطورة عند العرب، فاروق خورشيد، ص١٦٥–١٦٦.

(٢) سيف بن ذي يزن، مج١، ص٣٤٢.

(٣) سيف بن ذي يزن، مج٤، ص١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث ضربه بيده، فدخلت رأسه بين كتفيه، ولزمته الصورة في اليقظة ليكون عبرة للآخرين[١].

وفي الجزء الثاني من الأميرة ذات الهمة، يحكي الأمير عبدالوهاب عن شخصين –هكذا بالتنكير– يبشرانه بالنصر، وردّ الودائع إلى أهلها[٢]، ويأتي هاتف للمطرون الذي نظر في الكتب السماوية مقرا له أن الفرقان العظيم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٣].

❋❋ التمثيلات الإيمانية.. والتمثيلات الإشراكية

أسَّست الحلميات المدروسة تمثيلات إشراقية للفئة المؤمنة، وكثّفت في المقابل صورة تحتفل بالسواد وظلال الخطيئة للآخر الذي لم يلتقِ معها إيمانيا، وقبل تفصيل الحديث في هذه التمثيلات تجدر الإشارة إلى توضيح ماهية الآخر، وقاعدته الإيمانية، وقد تراءى بوضوح مجسدا:

- المجوس عبّاد النار، فقد ورد في حلم برنوخ الساحر قول الهاتف: "يا برنوخ! إلى متى وأنت في ضلالك؟ وتعبد النار ذات الشرار، وتترك عبادة الملك الجبار؟"[٤].

  وفي تأويل بزرجمهر الصائب غير المضلّل لحلم كسرى: "وأن الفارس الذي يظهر من الحجاز، يرفع نير الفرس عن العرب، ويهدم معابد النيران"[٥].
- النصارى، وقد سبقت الإحالة لوجودهم لدى الحديث عن قتال أبطال ذات الهمة للروم النصارى، والظاهر بيبرس في مواجهته الصليبيين.

---

١) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٢٨٠.

٢) المصدر السابق، مج٢، ص٩٤.

٣) المصدر السابق، مج٥، ص٥٦٧.

٤) سيف بن ذي يزن، مج١، ص٣٤٢. وانظر حلم الملك روض، مج٤، ص٣٣ فهو يشفّ عن عبادته النار.

٥) حمزة البهلوان، مج١، ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- اليهود، وقد وقفت على مشهد حلمي متفرد يرفض تحوير اليهود لديانتهم، وذلك في رؤيا المطرون الذي كان يمايز بين الكتب السماوية، فهتف له هاتف: "والتوراة أيضا بدلوها اليهود"[١].

كثفت الأميرة ذات الهمة حضور الهيئة النورانية للرسول الكريم، وعيسى –عليهما السلام– في نصوص عديدة جدا، لتختزل بصورة رمزية صوابية التوجه الإيماني: في حلم مارس، يظهر الرسول الكريم "والأنوار تلمع بين يديه وأمامه"[٢]، وأما عيسى –عليه السلام– فهو "أزرق العينين، وعليه حلل الأنوار"[٤]، وطوَّر حلم الكندرفون مفردات عديدة تحيل لنورانية الرسول، فهو "أبيض اللون، مليح الكون، النور يطلع من عينيه... والجمال من وجهه.." [٣]، وتتقاطع معه صورة عيسى –عليهما السلام– ليظهر "والنور على وجهه يلوح، والضياء لايح من بين عينيه"[٥]، وهي صورة تكاد تكون متواترة في توصيف هيئة الرسولين الكريمين –عليهما السلام– في النصوص اللاحقة.

واحتفلت أحلام أخرى بالتأكيد على مفردات المغفرة، واكتساب شفاعة الرسول الكريم، ودخول الجنة، لا سيما تلك المنامات التي اتخذت القيامة فضاء لها، وغالبا ما قابلت بين المؤمنين الذين تفردوا بأسباب السعادة، في مقابل الكافرين الذين خسروها. ومن ذلك ما اختزله حلم أم جميل الشهيد الذي لاحت فيه قباب الجواهر، ونهر الكوثر، وأكاليل النجاة، ورفق الله ومنّه، وعتقه، وجنته[٤].. وفي حلم الراهب يبشر الرسول حالَ الإذعان للإسلام بالنجاة من النار، والإنقاذ من الهلاك، وتكسُّب الشفاعة يوم الحسرة والندامة[٥].

---

١) الأميرة ذات الهمة، مج٥، ص٥٦٧.(

٢) المصدر السابق، مج١، ص٧٠٦.(

٣) المصدر السابق، مج٢، ص٧١٠.(

٤) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٤٤٧. وانظر حلم الشفاعة، مج٣، ص٢٩٠.(

٥) المصدر السابق، مج٦، ص٥٢٥.(

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي دعوة الملك الصالح لغرطال، تبشير "بالسرور والفرح" يتحصلان في إعلان الإسلام[١]، ويرى المقدم إبراهيم حوريات كأمثال البدور، بأيديهن كاسات من الجوهر، يدعونه إليها إعلانا لشهادته التي تستأهل التكريم الأخروي[٢].

هذه النسقية في توصيف الفئة المؤمنة، تقابلها نسقية أخرى ضدية للآخر الذي لم يعترف بدين الإسلام، في سيرة سيف يدرك برنوخ الساحر من خلال هاتف الحلم أنه على "ضلال" في عبادته النار، وأن "من عبد النار دخلها، ويبقى بينه وبين الجنان سور من الحديد"[٣]. وفي خطاب مطوّل يحذر الشيخ عبد السلام الملكَ روض بالحشر مع الكفار، ودخول "أسفل دار في أطباق النار، تعذَّب بها، ليلا ونهار"[٤]. ويؤكد الرسول الكريم لمارس أن الإشراك يفضي بالضرورة للهلاك[٥]، ورأت أم جميل النار تحدق بكافرين ناهضا الدين، وهما يستجيران مستغيثين يطلبان تخفيف العذاب[٦]، ويختزل الملك الصالح شرك غرطال بـ"الغرور"[٧]، في حين يختزل المقدم معروف شرك درنديش بـ"الشقاء"[٨].

ومما يُلحظ كذلك أن السواد يؤطر مثل هذه التمثيلات في مقابل الإشراق والبياض الذي نلمحه بوضوح في صورة الرسول الكريم والمسلمين عموما، فالسواد "يكتنز بدلالات سلبية تكاد تكون عالمية ومشتركة بين الثقافات، حيث يحتفظ السواد بدلالات سلبية ثابتة تتمثل في الخطيئة، والسقوط، والشؤم، والكآبة... كما أن الشيطان يعتبر دائما أسود، أو يخفي سوادا ما.. والخطيئة دائما سوداء، والشر يكتسب سواده من تقابله مع الخير والنور.."[٩].

---

١) الظاهر بيبرس، مج٤، ص٣٤٣٣.
٢) المصدر السابق، مج٥، ص٣٧٣٣.
٣) سيف بن ذي يزن، مج١، ص٣٤٢.
٤) المصدر السابق، مج٤، ص٣٣.
٥) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٧٠٥.
٦) المصدر السابق، مج٢، ص٤٤٨.
٧) الظاهر بيبرس، مج٤، ص٣٤٣٣.
٨) المصدر السابق، مج٤، ص٢٦٦٩.
٩) تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، نادر كاظم، ص١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتجدر الإشارة هنا إلى تغليب المنامات محلّ الدراسة الإيمان على الفكر الآخر المتجلي بالمجوسية، واليهودية، والنصرانية، إذ تنتهي السير في وقعات جليلة بنصر الإسلام، بما يحتمل من تجليات تؤكد احتفال الرواة بالفكر الإسلامي.

ولا شكّ أن إرادة صلب عقبة شيخ الضلال بما يحيل إليه من فكرة الارتداد، واعتناق فكر الآخر النصراني في الأميرة ذات الهمة، إشارة دالة على إرادة راوي السيرة المنسجم فكريا مع إطار ثقافته المركزية الإسلامية، بالتأكيد على الإسلام وإقصاء الآخر. لقد تشكّل الصلب ضرورة فكرية، وعقدة مركزية احتضنتها الأجزاء السبعة، وظلت الإشارة إليها متواترة بلا انقطاع، مما يعني قصديتها في عمل يُعنى بالصراع بين الإسلام والشرك.

هذه الصورة الكبرى التي تستعلن بالنهايات دعمتها صور جزئية تشير بالضرورة إلى تمثيل الآخر تمثيلا سوداويا يحكي هلاكه، في الجزء الأول يتمثل "الدير قد صار جامع ونحن نصلي فيه"[١]، وترى مرحومة أنها تخرب جدران الكنيسة[٢]، وهكذا تتعاون الرؤى لتشكل رؤية واحدة كبيرة وهي انتصار الفكر الإسلامي على الآخر، بغض الطرف عن انتمائه وولائه الديني.

وفي المقابل، تقرّ بعض الحلميات رفضا صريحا لفكر إسلاميّ منشقّ، يشكل انزياحه عن الرؤية الإسلامية الصافية مروقا وضلالا، ومن ذلك الأحلام التي ناقشت الفكر الصوفي، فقد انكشف مشهدان حلميان عن رؤية متوترة لا تحتفل بالصوفية، بل تعرضها لتنقدها، وتحكي عنها لتقصيها باعتبارها دعوة منحازة عن المنظومة الفكرية الإسلامية الصحيحة، ففي النشوار[٣]يجلّي التنوخي تضليل الحلاج العامَّة باتكائه على حيلة حلمية، يُدَّعى فيها ظهور الرسول الكريم لزَمِن يوجهه لعبد صالح تكون النجاة على يديه: "إني رأيت في النوم كأن النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول لي: إنه يطرق هذا البلد عبدٌ لله صالحٌ مجاب الدعوة، تكون

---

(١) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٤٦٥.

(٢) المصدر السابق، مج٧، ص٤٦١.

(٣) تنبه محقق الكتاب إلى تحامل التنوخي على الصوفية، وأورد أرقام القصص التي يثبت فيها ذلك، وأورد أيضا ما يثبت لتعرض التنوخي للحلاج في أكثر من موضع. راجع حاشية الكتاب، ج٦، ص٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عافيتك على يده وبدعائه"[١]، ليكون هذا العبدُ الحلاجَ، وتنغلق دائرة الحيلة بعطايا يهبها الناس للزَّمِن الذي شُفي ببركة الحلاج، ثم يخرج للثغور، ويتقاسمان المال!.

وتجدر الإشارة أن تخليق الحلم المدَّعى مؤطر بشخص الرسول ليكتسب بـذلك حظـوة وقبولا عند العامة، التي أدركت أدبيات المنام، وعرفت أن ظهور الرسول في المنام يكتـسب تأويلا واحدا وهو الظهور الحقيقي؛ إذ إن الشيطان لا يتمثل به عليه السلام. وهـذا بالمقابـل يعكس جرأة الحلاج وصاحبه على الادِّعاء، فقد عرضت في موضع سابق تحـذير الرسـول الكريم بأن: "من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم ترَ"[٢]، وأنه "من تحلّم بحلم لم يره كُلِّفَ أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل"[٢]، لتكون الإشارة مركبة إلى تضليل الصوفية، وعـدم اعتبـار صدقها، وكيف وهي في هذه الحكاية تجرأت على مقام النبوة بالكذب والتضليل!.

وإذا كان التنوخي قد نقل قصَّ الحكاية وترك للمتلقي أن يستعبرها، فقد أفصح الوهراني عن تجليات سالبة كانت معادلة حقيقية للصوفية كما يراها، إذ عرَّف هيأتهم بالأمشاط وأخلـة الأسنان! وتوجه تعريف آخر للرسول الكريم عندما سأل عنهم بكونهم: "قوم من أمتك، غلـب العجز والكسل على طباعهم"[٣]، وأحال عبادتهم التي كانوا يصورونها انقطاعـا عـن الـدنيا للآخرة، محضَ التصاق حقيقي بالدنيا: "فتركوا المعايش، وانقطعوا إلـى المـساجد، يـأكلون وينامون"!. وإذ يسأل الرسول الكريم عن نفعهم الأمّة، يُجاب بالقسم: "والله ولا بشيء البتـة"، الأمر الذي أفضى إلى انزياح الرسول عنهم، وعدم التفاته إليهم، في إشارة رمزية دالة علـى انصراف الفكر الإسلامي الممثل بالرسول الكريم عنهم، وبذا يتماهى إقـصاء هـذا المـشهد للصوفية مع المشهد السابق، وإذا كان الاتكاء على الحلم المضلل الذي يـشهد فيـه الرسـول للحلاج أولا، فإن الوهراني قد طوَّر رفضا حقيقيا لهم بتشكيل منام غيـر مـدَّعى، وإغـلاق المشهد بتهميش الرسول لهم.

بات واضحا بعد هذا التحليل العجِل إرادة المنامات تأكيد مركزية الفكر الإسلامي مقابل الإشراكي الذي أُريد إقصاؤه ودحضه، وذلك عبر تواتر ترسيم صورة نسقية للرسول الكريم،

---

[١]) النشوار، ج٦، ص٧٦-٧٧.(

[٢]) صحيح البخاري، مج٣، ص٥٤. (

[٣]) منامات الوهراني، الوهراني، ص٤٨. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفاعلي السرد في نصوص متعددة متباينة، تؤطرها تمثيلات إشراقية تحكي بوضوح ثبات الدعوة للإسلام وصوابيتها، في مقابل واقع آخر مؤطر بتمثيلات ضدية سوداوية تفصح عن توتر الفكر المناهض، وانسحابه للوراء، لا سيما أن النصوص الحلمية انتصرت ليس على صعيد الفكر فحسب، بل وعلى صعيد الواقع، حيث كانت الأعمال المدروسة تنتهي بانتصار السيف والبعد العسكري كذلك. إنها نسقية واضحة متقاطعة مع الإطار الثقافي العام للدولة الإسلامية، المحتضن لهذه الأعمال التي تشظت عنها، وتأثرت بالتالي بها، وشكلت معها نسيجا واحدا مؤتلفا غير متباين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❋❋ جدلية السنة والشيعة

لم تنأ الأبعاد السياسية عن نصيات المنامات التي طرحتها بوضوح، وفضحت إشكالياتها التي أفرزتها الصراعات الممتدة على رقعة الوجود الإسلامي. وإذ كانت هذه النصوص قد غطّت مساحة زمنية واسعة، كان من الطبيعي أن تتعرض لقضايا سياسية ممتدة بامتدادها الزمني في "الإنسان –في النص– هو دائما صاحب أيدلوجية بقدر أو آخر، وكلمته هي دائما قول أيدلوجي"[١]. ولعل مسألة الفرق الشيعية المناهضة للسنة كانت من أكبر تجليات هذا الطرح الأيدلوجي، حيث عولجت في نصوص عديدة بأبعاد متباينة.

وقبل الخوض في تفاصيل هذه القضية كما عرضتها المنامات، تجدر الإشارة إلى نقطتين رئيستين:

⌘⌘ لقد أفرزت النصوص جراء انتمائها لولاءات سياسية دينية متباينة، تباينا في النظرة تجاه أهل السنة والشيعة، وهذا يفضي للقول بانتقائية المؤلف للمنامات، أو وضعه إياها بما يتسق مع توجهه العام، الأمر الذي يجعل هذه النصوص مؤدلجة، أمينة على خدمة التوجه السياسي الذي ينتمي إليه المؤلف. وسأستعير هنا رأي المنصوري الذي يقرّ فيه: "أن طائفة من الأحلام كانت أقنعة لمواجهة ظروف، ومواقف سياسية، واجتماعية في وقتها..." [٢].

⌘⌘ ولقد تقاطعت نصوص المنامات التي انتصرت للسنة والشيعة في توظيف أدوات بعينها، واتخذت ذات الفضاء الممتد من الدنيا للآخرة مساحة لعرض مفرداتها، ليكون قرع الدليل بشبيهه، زيادةً في حسن التأثير والرد. وأبيِّن ذلك بطرح العنوانات الآتية:

---

[١] (الكلمة في الرواية، بختين، ص١١٠. وانظر حوار تودوروف وبول بنيشو حول الفن والأيدلوجية، وإقرار بنيشو أنه يميل للاعتقاد "بأولية نسبية للفكر على الأشكال"، نقد النقد، ص١٢٠. وفي معرض قراءة فلسفة الفارابي، يتساءل الجابري بعد إقراره أنها قراءة أيدلوجية: "ولكن!! هل توجد قراءة بريئة حقا؟". نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص٨٣.

[٢] (الأحلام والتفكير الرمزي، جريدي المنصوري، علامات في النقد، ج٤٤، م١١، يونيو ٢٠٠٢، ص٦٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

● **تجليات المغفرة**

في مناقب عمر تتكاتف منامات عديدة تقرّ مغفرة الله لعمر، لتكون علامة دالّة على حسن سيرته في الدنيا، ويأتي هذا الإعلان على لسان عمر ذاته، منسجمةً بذلك مع منامات عديدة تحكي مغفرة الله لأصحاب التراجم. فقد أورد ابن الجوزي ثلاث روايات لرؤيا العباس بن عبد المطلب، مفادها كما أقرّ عمر–رضي الله عنه–: "الآن –تحصلت المغفرة– حين فرغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت ربا رحيما"[١]. تتقاطع ذات العبارة نصيا مع رؤيا عبدالله بن عمر الذي سأل أباه: "كيف صنعت؟. قال: خيرا. كاد عرشي يهوي لولا أن لقيت ربا غفورا!!" [٢]. ولا شكّ أن هذا التماهي الواضح بين المشهدين الحلميين يدفع للتساؤل عمَّا إذا كانا قد رُئيا حقيقة أم وُضِعَا وَضْعًا!!.

وتمدّ الأحلام مساحة الاعتبار الحلمي لتشمل شخص أبي بكر –رضي الله عنه–. الرواية الآن لبشر بن الحارث الذي اشترى مسكا، وكان يطوف في مزبلة، ينتزع منها الرقاع التي كتب فيها لفظ الجلالة، فيطيبها ويضعها في كوة. أتاه آتٍ في المنام على هامش رميه لرقعة لم يصب فيها لفظ الجلالة، وقال: "يا بشر! رميت الرقعة وفيها اسمان يحبهما الله: أبو بكر وعمر"[٣]. وفي تطوير آخر، يجمع منام بخة أخت يحيى بن إسماعيل بن سلمة شفاء الله لها من لوثة أصابت عقلها، وتبشيرها بالجنة، والمغفرة الإلهية لأبيها وجدها، وكلّ ذلك "بحبهما أبا بكر وعمر"[٤].

أما في النشوار حيث أظهر التنوخي تشيعا واضحا للإمام علي –كرم الله وجهه– فنقف أمام مشهد حلمي يتخذ القيامة فضاء له، والحسابَ موضوعا تماما كما عُرض لعمر بن الخطاب. البطولة هنا ليزيد الذي تتحقق له مغفرة الله، إلا أنه يُعاتَب لتولية عثمان بن جرير، ونوضع في هذا السياق أمام تبريرين، يكون الأول من قبل يزيد الذي يقرّ بأنه لم يعلم على عثمان إلا خيرا، ليكون التبرير الإلهي –الله جلّ جلاله ليس مضطرا للتبرير! إن تدخل الراوي

---

١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، ص٢٦٢–٢٦٣. وانظره في المنامات، الحافظ ابن أبي الدنيا، ص٣٢–٣٣.

٢) المناقب، ص٣٦٣.

٣) المصدر السابق، ص٢٨١.

٤) المصدر السابق، ص٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الصياغة هنا واضح- للعتاب الذي يشفّ عن عدم الرضا، ويحكي انتصارا لعلي -وهو محور الحلم- كما انتصرت الأحلام السابقة لأبي بكر وعمر!. يقول الله -سبحانه- بوضوح مؤيدا الإمام: "إنه كان يبغض عليا -عليه السلام-"[١].

وفي المنام الكبير، يوالي الوهراني رسم صورة إشراقية للإمام علي وذريته، وتترتب المغفرة لبعض شخوصه على ضوء إحسانهم لأولاد الإمام -رضي الله عنهم جميعا-، فإذ يظهر سيدنا محمد ومعه أصحابه كأنهم "الشموس والأقمار"، نبصره عليه السلام "وهو يصغي تارة إلى حديث علي، وتارة إلى حديث عثمان"[٢]، كما ندرك وجود الحسن والحسين مع أولاد الرسول الكريم، وبين يديه، ومن ورائهم جعفر وعقيل. وفي إشارة سابقة، ينضوي الإمام عليّ مع الهاشميين الذين ظهروا "كأن الشمس تطلع من جباههم"[٣]، ويقرّ تاج الدين الشيرازي بخيرية موقفه لأنه موعود من المولى زين العابدين أن يصانعه عند الميزان خيرا، لمصانعته أولاده في الدنيا بكلّ معروف: "أنا والحمد لله في كلّ نعمة، قد عرف المولى زين العابدين ما عملته في مشهده من الخير، ومساعدتي لأولاده في كل وقت"[٤].

إشارات متوالية تحكي رفيع مقام الإمام علي وذريته في الآخرة، في ظلّ محيط قلَّ ناجوه عند الوهراني، الذي يركّب عظمة الإمام علي بجعله مرضيا عند الله، وعند رسوله الكريم الذي بدا حاضنا للإمام وأولاده بحميمية واضحة. وهذه الإشارة لوجود الرسول الكريم تولّد العنوان التالي:

● شرعية التوجه وحضور الرسول الكريم

أسبغت المنامات شرعية إضافية على الشخصيات الكريمة الممثّلة للسنة والشيعة، حين قولبت وجودها بقالب العناية النبوية، ففي حق أبي بكر وعمر يرى محمد بن يحيى الواسطي الرسول الكريم يؤكد على منزلتهما منه، ويجعلها بمنزلة السبابة من الوسطى، ويصرّح بأن

---

١) النشوار، التنوخي، ج٨، ص١٠٩.

٢) المنامات، الوهراني، ص٤٨.

٣) المصدر السابق، ص٤٣.

٤) المصدر السابق، ص٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"من شتمهما فقد شتمني"[١]، وفي حلم تنبؤي استبصاري يرى علي الدقاق النبي الكريم يتوعد جبنة الذي تبرأ من أبي بكر وعمر في وصية صريحة، طلب أن يوصلها علي للنبي الكريم في رحلة الحج، فيقول عليه السلام: "قد سمعت الرسالة التي أديتَها، فإذا رجعت إليه فقل له: إن رسول الله يقول لك: أبشر يا عدوَّ الله يوم التاسع والعشرين من قدومك بغداد بنار جهنم"[٢]. وقد كان حقا أن أصيب بحمى في هذا اليوم وتوفي.

وفي مشهد حلمي آخر يكون الرسول الكريم سببا لذبح رجل يسب أبا بكر وعمر جهارا في السوق، إذ يتراءى الرسول لرضوان السمان، ويقول له: "خذ هذه المدية فاذبحه بها"[٣]. الطريف أن الذبح يتحقق، إذ يعلن موته فجأة! والأطرف في هذا المشهد أن رضوان السمان نظر إليه عندما أصبح، وإذا به يرى خطّ موضع الذبح كما كان في المنام[٤].

بذات المنطق يؤسس الرواة عناية نبوية كريمة في حق الإمام علي، وينقل التنوخي المتشيع في ذلك منام محمد بن عبد الله إثر قتله يحيى بن عمر العلوي، والرسول يقول له: "يا محمد نكثتم"[٥]، وكلمة النَّكث تحيل إلى عهد أخذه الرسول الكريم على جده طاهر في منام سابق، عندما بشَّره ببلوغه من الدنيا أمرا عظيما، وسأله أن يحفظه في ولده! ويجعل الراوي ذلك سببا وجيها لعدم تعرض الطاهر لعلويّ قطّ!. وإذ يظن محمد المنامَ أضغاث أحلام، يأتيه الرسول الكريم ثانية ويقول: "يا محمد نكثتم"! وفي الثالثة يقرن مع إقرار النكث وعيدا بعدم الفلاح أبدا. ويعلق الراوي عبيد الله أخو محمد فيقول: "فما مضت على ذلك إلا مُديدة حتى مات محمد، ونُكبنا بأسرنا أقبح نكبة، وصرفنا عن ولاياتنا، ولم يزل أمرنا يخمل حتى لم يبقَ

---

[١] المناقب، ابن الجوزي، ص٢٨٧.

[٢] المناقب، ابن الجوزي، ص٢٨٦.

[٣] المصدر السابق، ص٢٨٤-٢٨٥.

[٤] "هناك أحلام تثير تساؤلات حول بعض الانطباعات الأساسية للواقع، فمثلا صاغ الشاعر كولردج هذا السؤال المخادع: ماذا لو انك في نومك حلمت؟ وماذا لو انك حلمت بأنك تصعد إلى السماء، وهناك تقطف زهرة غريبة وجميلة؟ وماذا لو انك أفقت والزهرة في يدك؟ فماذا إذن؟.. إن هنالك بعض التجارب الإنسانية، ومن ضمنها أحلام معينة، تتحدى مفاهيمنا الأساسية للمكان، والزمان، والسببية!!". عوالم الحلم، ستيوارت هولرويد، ص٨.

[٥] النشوار، التنوخي، ج٢، ص٢٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنا اسم على منبر، ولا علم في جيش، ولا إمارة، وحصلنا إلى الآن تحت المحن"[١]. ولا يخفى أن المنام يحمل خطابا تحذيريا مقدسا، يدعو بوضوح لعدم التعرض للعلويين، لئلا ينسحب التهديد النبوي المتحقق بالضرورة على المتجرئين عليهم.

وفي قصة العلوية الزمنة يماهي المنام بين شخص الرسول الكريم والإمام علي في الروايتين اللتين نقلهما التنوخي، ليكون هذا التماهي إرادة واضحة في التقريب بين المكانتين، إحلالا للإمام مكانة مقدسة تقترب من النبوة!. في الجزء الثاني ترى العلوية رجلا دخل عليها فترتاع، فيقر بالأبوة طمأنةً لها، فتظنه لذلك عليا!! الأمر الذي يعكس الإرادة الحقيقية في تنصيب الإمام منصب الأبوة الشرعية للمجتمع المسلم، واستحقاقه لها، ولذا تتابع خطابها على هذا الاعتبار: "يا أمير المؤمنين! ما ترى ما أنا فيه؟ لو دعوت الله تعالى أن يهب لي العافية؟"[٢]. ويصوب الرسول الكريم: "أنا أبوك محمد رسول الله"[١]!. ولا يظنن المتلقي أن هذا التصويب يتغيا النفي وردَّ السمة عن الإمام، بل يتغيا التقريب والاستحقاق، ويعكس الرؤية المجتمعية التي تراه مستأهلا لهذه المنزلة، ولذا كان الظنّ الأسبق كون الإمام أبا لا الرسول، وبإقرار أبوة الرسول، يكون إقرار المشابهة والاقتراب.

وفي الرواية الثانية يتطور المشهد من مجرد رؤية الإمام علي لطلب الدعاء بالشفاء إلى ولديه الحسن والحسين[٣]! وإشارة التشيع التي تحفظ مرتبة الإمام وذريته واضحة لا لبس فيها. وقد مرّ بنا كيف جعل الوهراني الإمام عليا وذريته في حمى الرسول الكريم، في إشارة دالّة تستبطن الإقرار بمكانة الإمام وتدعو لاعتبارها.

● شخصية الإمام والتوظيف المؤدلج

من الطريف أن شخصَ الإمام علي ذاته كان أداة فاعلة للدفاع عن أهل السنة، وذلك بإبراز غضب الإمام على من تعرض بسوء لخليفتي المسلمين أبي بكر وعمر، ليرسّم ذلك الغضب انضواء علي بن أبي طالب في إطار الصحابة الذين والوا الرسول وصحبه، وتنكروا بالضرورة لأي فتنة أو فرقة منشقة مايزت بين الصحابة.

---

[١]) المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٢.

[٢]) النشوار، التنوخي، ج٢، ص٢٦٦.

[٣]) المصدر السابق، ج٤، ص١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المناقب يضرب الإمامُ أبا الحسن بن غزية قارئ القرآن الذي لم ينكر على جماعة شتمهم أبا بكر وعمر، ويقول: "لمَ لمْ تنكر على من ذكرهما بالسوء؟"[١]. وفي تماهٍ جميل مع المشاهد الحلمية السابقة، يصبح الرجل أعمى إثر هذه الضربة. ويردّ على إبراهيم بن المهدي عندما قال له: إن الناس أكثروا الحديث فيك وفي أبي بكر وعمر، قائلا: "اخسأ"[٢]! بكل ما تختزله العبارة من رفض وإنكار، وإقرار بمكانة الخليفتين التي يقرها أهل السنة، وينكرها المتشيعون للإمام.

ذات التأسيس يشكّل بنية صالحة للدفاع عن الإمام بإعادة توظيف شخصه رضي الله عنه: في المنام الذي يراه القادر بالله، يبشره الإمام بالخلافة، ويتبع البشرى بوصيته: "فأحسن إلى ولدي وشيعتي"[٣]، وتوظيف المصطلح فريد في هذا النص إذ لم أقع على غيره يشير صراحة للشيعة. وتعكس منامات أخرى تجليات مشرقة للإمام علي تحيل لحضوره في الساحة الإسلامية، وتذكّر بشخصه والتشيع له، ومن ذلك تبشيره بولاية عضد الدولة وامتلاكه الأمر[٤]، وفي إحالة طريفة لقدرة الرسول الكريم على الشفاء في فضاء المنامات، تتولد صورة الإمام شافيا، فقد شفى قيّم مسجده بظاهر الأنبار من مرض غطى أكثر وجهه[٥]، وشفى الرجل الفقّاعي المفلوج بعد أن أيس الأطباء من علاجه[٦]. وتجدر الإشارة هنا إلى مفردتين مركزيتين تنبيان عن تشيع كلا المريضين، فأما الأول فكان قيّم مسجد الإمام، وأما الثاني فقد ناداه صاحب الدكان بـ "يا عبد علي"[٤]، وهي عبارة تفصح عن التشيع، الأمر الذي يجعل التساؤل مبررا، عمَّا إذا كانت هذه نصوص منامية موضوعة انتصارا للإمام وشيعته!.

---

١) المناقب، ابن الجوزي، ص٢٨٤.

٢) الأغاني، الأصفهاني، ج١٠، ص١٠٢. وفي ترجمته ينقل ابن خلكان: "صاحب كتاب الأغاني.. قال التنوخي: ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني..". وسيبرر هذا التشيع انتصار المؤلف الواضح للمنامات التي تنتصر لآل النبي الكريم، وبالتالي للمتشيعين من الشعراء. وفيات الأعيان، دار إحياء التراث، ج٢، ص١٤٦.

٣) النشوار، التوخي، ج٧، ص٢٨٠.

٤) المصدر السابق، ج٤، ص١١٩.

٥) الاعتبار، أسامة بن منقذ، ص١٧٣-١٧٤.

٦) المصدر السابق، ص١٧٧-١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❋❋ نقد السلطة

تفضح بعض الحلميات السلطة في سياستها التعسفية، وتقف بإزاء ذلك موقف المسائل المنكر، لتكرس رفضها وتبرر له، وتعمد ضمن هذه الآلية لطرح رؤيتها المغايرة التي تقرها صوابا في ضرورة انفساح مساحة التعبير السياسي، عوض أداة القتل والإقصاء.

تحكي سيرة الأميرة ذات الهمة حلم الوزير جعفر البرمكي بانقضاء دولته، وتجعله حلما يتكرر مرتين إثباتا له ونفيا لضده، إذ عبَّره سهل بكونه أضغاث أحلام[١]، وهذا نمط متكرر من الأحلام، وقد عرض أبو الفرج في أغانيه منامات عدة شبيهة، ومنها إيقاع الرشيد بيحيى بن خالد[٢]، وحلم الرشيد المتنبئ بموته وانقضاء عهده[٣]، وحلم يتنبأ بسقوط بني أمية[٤]... إلا أن السيرة تحشد إشارات عديدة تجعل من قضاء الرشيد على البرامكة محض جور. تبتدئ الإشارات بتعبير سهل بن هارون الذي كان يخدم الوزير في الديوان، وفيه يرى المنام أضغاث أحلام، ويدلل على ذلك بقوله: "الله تعالى يخلد دولتك، ويديم نعمتك، فقد ملأتم الأرض عدلا، وأوسعتم على الناس كرما وفضلا"[٥]. ومما يدعم ذلك أن الراوي أوحى للمتلقي في مغايرة تاريخية: أن انقلاب الرشيد على البرامكة تمّ بمحض حيلة أجراها عقبة شيخ الضلال بتزوير كتاب على جعفر أوغر صدر الرشيد، وقد استطاع البطال كشف الحيلة، وتقرير عقبة بالتزوير[٦]، الأمر الذي أفضى لندم الرشيد، وتصريحه بعد تعليق الراوي: "ثم إن الرشيد أطرق برأسه إلى الأرض متفكرا، وندم على قتل جعفر، وقال للأمراء: اكتموا عني هذا الأمر الشنيع"[٧].

---

١) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص١٣١-١٣٢.

٢) الأغاني، الأصفهاني، ج١٥، ص١٩.

٣) المصدر السابق، ج١٨، ص١٨٢.

٤) المصدر السابق ، ج٢١، ص ٨٤.

٥) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص١٣٢.

٦) المصدر السابق، مج٢، ص١٥٩، و١٦٢.

٧) المصدر السابق، مج٢، ص١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم صعّدت السيرة جور السياسة المؤطر بتغييب السياسة!! عندما أنفذت الوصية: "من رثى البرامكة ولو بنصف بيت من الشعر، وبكى عليهم، لا يُشاور عليه، ولو كان مهما كان"[١]. إن سياسة الرشيد قد طوَّرت بذلك ظلما سياسيا مؤطرا بالقمع الفكري، والإنساني الذي يمنع فيه الناس نياحة موتاهم!! ولا شك أن الراوي يعرض لذلك منددا منكرا بقولبته كل سياسة التصفية بقالب الحيلة والندم، ولذا كسر طوق الوصية بنياحة شاعر أقبل من الكوفة على جعفر، وجعل إحسانه/ جعفر البرمكي ممتدا حتى بعد وفاته، إذ وجّه الشاعر لصاحب دكان كان له عليه فضل من أجل أن يهبه مالا على رثائه، كما كان يفعل مكافئا في حياته[٢].

وفي الموقف السياسي المأزوم بين الحنابلة والشيعة زمن الخليفة الراضي، وما له من تداعيات جلية في موقف الحنابلة والشافعية على صعيد آخر، يكشف حلم العجوز الكرخية سوداوية الطوق الذي حوصر به الشيعة، حتى مُنعوا النياحة على الحسين –رضي الله عنه–، والتقاطع مع السياسة الهارونية في الحلم السابق واضح!، فتتجلى السيدة فاطمة وتسأل العجوز نياحة ابن أصدق على ابنها الشهيد، بالقصيدة التي فيها:

لَمْ أمَرِّضْهُ فأسْلُو لا ولا كَانَ مَريضًا

ويشفّ تعليق الراوي عن هذا التضييق الذي فرضه الحنابلة بقوله: "وكان هذا في شعبان، والناس إذ ذاك يلقون جهدا جهيدا من الحنابلة إذا أرادوا الخروج إلى الحائر"[٣].

---

(١) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص١٣٩.

(٢) المصدر السابق، مج٢، ص١٥٣ وما بعدها. وقد تناول محسن جاسم الموسوي حديث النكبة، ونهي الخليفة الناسَ عن نياحة موتاهم، وركز على المسألة الشخصية التي أفضت لتصفية الرشيد البرامكة –بالرغم من اختلاف التاريخ حول ذلك– وفلسفة الصمت التي أريد للناس أن يفقهوها إزاء تلك السياسة!. سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط، ص١٩١–١٩٧.

(٣) النشوار، التنوخي، ج٢، ص٢٣١–٢٣٢. والحائر: قبر الحسين –رضي الله عنه– في كربلاء. يترجم الحافظ ابن كثير للبربهاري "العالم، الزاهد، الفقيه، الحنبلي الواعظ.. وكان شديدا على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر تعظمه الخاصة والعامة، وقد عطس يوما وهو يعظ فشمته الحاضرون، ثم شمته من سمعهم حتى شمته أهل بغداد!!". وفي الحديث عن التضييق على الحنابلة زمن الراضي (٣٢٢–٣٣٣) لا يحيل لخلاف مع الشيعة، ولا يبرر له: "وفي جمادى الآخرة نادى ابن الحرسي صاحب الشرطة في الجانبين من بغداد أن لا يجتمع اثنان من أصحاب أبي محمد البربهاري الواعظ الحنبلي، وحبس من أصحابه جماعة، واستتر البربهاري فلم يظهر مدة!!". البداية والنهاية، ج١١، ص١٨١–١٨٢، وانظر ص٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدعم ذلك بقصته التالية التي يحكي فيها عن البربهاري زعيم الحنابلة، الذي كان يتتبع من ينوح على الحسن فيأمر بقتله، ومن ذلك أنه قال: "بلغني أن نائحة يقال لها خِلْب تنوح، اطلبوها فاقتلوها"[١].

وبذات الآلية التي أدركناها في السيرة، يستدعي الراوي إشارات عديدة من شأنها أن تستثير عاطفة المتلقي تجاه الشيعة ضد الحنابلة، فالسيدة فاطمة تظهر بصورة إشراقية مثيرة، ترتدي البياض بما فيه من إحالة للصفاء، ونقاء الطوية، وتؤكد على نسبها الكريم، فهي بنت الرسول –صلى الله عليه وسلم– في إشارة دالة على القدسية ونزاهة الذرية، التي بدت في درامية عالية تتجرع مرارة الظلم، ليظهر الحسين وهو في حجر السيدة فاطمة، ورأسه يشخب دما. أما العجوز الكرخية فهي من صالحات النساء، كثيرة الصيام والتهجد، وأما المجتمع في عمومه، فيبدو في انسياق حميم متعاطف مع الشيعة، حيث أجهشوا بالبكاء لسماع حكاية الحلم[٢].

تكشف السياقات بوضوح التنديد بسياسة تُحكم الأمر على حركة معارضة، وتمنع فكريا نظمها القصيد، وإنسانيا البكاء على موتاها!! وهي إذ تستثير متلقيها، تستعرض حقها في الاستعلان، والحضور في الساحة السياسية التي غيبتهم، وعمدت إلى إقصائهم وتهميشهم بشكل تظهر قصديته، وإرادته الصارمة في إحكام السيطرة على الآخر المعارض.

يوسّع المنام الكبير للوهراني دائرة النقد السياسي باتهامه جلّ أدوات السلطة، فرجالات الدولة متهمون أخلاقيا، ويحكمهم الفساد إداريا، وهو يحشد للتدليل على ذلك أسماء عديدة جدا، عمد مرارا وتكرارا لتضخيم سقوطها وانحلال رتبتها بسقوط قناعها التي ارتدته في فضائها الدنيوي، ويكفي للتدليل على ذلك ما ألصقه بكمال الدين ابن الشهرزوري الذي قالت الملائكة فيه: "أي رب! أشغالنا كثيرة في هذا اليوم، وقد جاء هذا الرجل بتخليط عظيم، وقد سبقه أمم من الناس، وهو يريد يوم قيامة وحده، ولا يُحاسب فيه سواه، وموازين برسمه لا يشركه فيها غيره!"[٣]. في هذا الفضاء يتهم الوهراني أهل القرآن والمحدثين[١]، ويسفّ برتبة الأدباء

---

١) النشوار، التنوخي ، ج٢، ص٢٣٣.

٢) المصدر السابق ، ج٢، ص٢٣٠-٢٣٢.

٣) المنامات، الوهراني، ص٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليظهر المؤيد بن العميد جاهلا بصناعة الكتابة، ظاهر التكلف، ويستشهد برأي طلائع فيه وهو يراه مهينا، ليكون طلائع ذاته من وجهة نظر الوهراني سخيف العقل، سكّيرا من خمر الولاية[٢]. وإذ ينتسب المؤيد لرؤساء دمشق ومقدميهم[٣]، ينسحب الاتهام ليشملهم بالضرورة، وإذ يقرّ للفقيه عيسى بفضل عظيم يغبطه عليه الأنبياء والملائكة، يجعل له من تعصبه لأهل الشر في الدنيا ما يقصّر منزلته عن سدرة المنتهى[٣]، ليحفّ تساؤله بذلك القضاة ومن يضطلعون بالحكم بين الناس.

إن كان الوهراني قد أطّر منامه الكبير بسخرية لاذعة ماجنة، إلا أنه حمّلها سؤالا واضحا عن دولة اتخذت من أرباب العلم، والأدب، والفقه، والقضاء –وهم متهمون في ذلك كله– أركانا لها!!. إن توقيع هذا التساؤل يحمل بالضرورة إنكارا لهذه السياسة، ورفضا لتجلياتها في واقع المسلمين، تماما كما أفضت تساؤلات المنامات التي حكت عن أوضاع البرامكة والشيعة إلى رفض لسياسة الإقصاء، ودعوة لإثبات الذات، ومحاكمة شخوص التاريخ الذين استعلنوا بتسلطهم الجائر، كما أظهرتها زاوية نظر المؤلفين بالضرورة.

---

[١]) المصدر السابق، ص٢٩.

[٢]) المنامات، الوهراني، ص٣٤.

[٣]) المصدر السابق، ص٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر الهجَّاء.. بين الذاتية والمنجز الجمعي

حكت منامات عديدة عن صورة نسقية للشاعر الهجَّاء/ الشرير المرعب[١] كما حلا للغذامي أن يسميها[٢]، وقد تناولت هذه الصورة بأطرها العامة، مغيبةً التفصيلات التي تغذيها، وتعلن ملامحها الدقيقة. بدت المنامات وكأنها تعرض مشاهد حلمية متباينة، إلا أنها تستبطن صورة كلية قادرة على طرح أنموذج الشاعر الهجَّاء ضمن تجليات تحكي نسقية الصورة وأبعادها، كما تحتفظ بها ذاكرة الشعر العربي.

يشكل منام التبشير بميلاد جرير رؤية واضحة لهذه النسقية، التي تستعلن بتجليات سالبة للشاعر الهجَّاء، وإذ يبدأ تشكيل الصورة في هذا المنام منذ البدايات الأولى للحياة/ الميلاد، فإن بقية المنامات تكمل الترسيمة النسقية التي يستحضرها وعي المتلقي العارف بالشاعر، حيث تتولد مفردات تتغيا تهميش الآخر مقابل إثبات الذات. ترى أم جرير وهي حامل به: "كأنها ولدت حبلا من شعر أسود، فلما سقط منها جعل ينزو، فيقع في عنق هذا فيخنقه، حتى فعل ذلك برجال كثير"[٣]، ويكون تعبير المنام: "تلدين غلاما شاعرا، ذا شرّ، وشدة شكيمة، وبلاء على الناس"[٢].

تحضر جملة "فيقع فيخنق رجالا كثيرين" بما يقابلها من التعبير: "وشدة شكيمة، وبلاء على الناس" بوصفها الجملة الثقافية التي تؤطر وجود الشاعر الهجَّاء، وتفضح إرادته الحقيقية الكامنة في إلغاء الآخر، ليتأتى له إثبات الذات، وكأن الساحة الأدبية/ الإنسانية لا تتسع لوجود الخصمين معا.

---

(١) يؤكد عبدالله إبراهيم على فكرة جوهرية –تبناها الغذامي في هذا السياق– مؤداها أن العيوب النسقية في الشعر العربي هي السبب في عيوب الشخصية العربية، فقد أثبتت تلك الشخصية في ضوء الموجهات الشعرية الفاعلة، وفي مقدمة ذلك شخصية الطاغية/ المستبد التي هي إحدى تجليات الفحولة، ذلك المفهوم المستقر في الشعر العربي القديم". النقد الثقافي، مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق، عبدالله إبراهيم، فصول، ع٦٣، شتاء/ربيع ٢٠٠٤، ص١٩٥. وقد نشر المقال في الكتاب الذي ضم أوراق الحلقة النقاشية التي أقامها قطاع الثقافة والفنون بوزارة الإعلام بمملكة البحرين، تحت عنوان: "عبدالله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية"، ص٣٧-٦٦.

(٢) النقد الثقافي، عبدالله الغذامي، ص٩٩.

(٣) الأغاني، الأصفهاني، ج٨، ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برؤية أوضح، يتقرر تقاطع نصية هذا المنام بما تحيل إليه من رؤية ذاتية خالصة مع تأسيس الغذامي لفكرة انزياح الشاعر على تنوع تشكلاته عن التوحد في نسيج القبيلة؛ بغية تخليق الأسطورة الذاتية المستعلنة بالفردية دون الآخر، وكأن صورة جرير مكررة عن شعراء الهجاء عموما الذين عداوتهم بئس المقتنى كما يقول المتنبي[١]، وكما يتقاطع معه الحلم بجرير[٢].

في رواية منامية أخرى مستدخلة في ذات الإطار، يحكي كعب بن جعيل رؤيته للفرزدق، وهو يمدح سعيد بن العاص والي معاوية على المدينة، وفي سياق ذلك يقول: "رأيت كأن ابن مرة في نواحي الدينة، وأنا أضمّ ذلاذلي خوفا منه"[٣]. لا شكّ أن العبارة الأخيرة تحيل إلى مرجعية مؤسَّسة في ذهن كعب تبرر له موقف الخوف، ولعلها الصورة النسقية المتشكلة في ذهنه حول الشاعر الهاجي، وكأننا بذلك إزاء بنية منامية ممتدة تنسحب فيها السياقات لتؤلف نسيجا مؤتلفا، يطرح التعليل: كأن كعبا يخشى الفرزدق؛ لأنه يملك حبلا قادرا على خنقه.

إن ائتلاف المنامين وفق هذا التصور، يفضي لعرض علاقة متوترة بين الشاعر الذي يفعّل أداته لتغييب الآخر، والمتلقي الذي يخشى هذا التغييب وينفر منه!. عين التصور الذي يؤسس لهذه العلاقة الموتورة، يعلنه نصّ منامي ثالث، رسمه الراوي في حق أبي نواس الذي أثنى عليه إبليس في حضرة أستاذه والبة، ووصفه بكونه أشعر أهل الجن والإنس، ثم يقرر: "أما والله لأفتنن بشعره الثقلين، ولأغرينّ به أهل المشرق والمغرب"[٤]. وهو تقرير يشفّ عن منمنمات خاصة من صورة الشاعر المتكئ على الهجاء، ولو في غرض من أغراضه، حيث

---

[١] يقصد بيته: **ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى**(والطريف أن الشاعر يلقي القصيدة مادحا ومعتذرا عن تخلفه عن المسير مع الممدوح!. الديوان، المكتبة التجارية الكبرى، قافية النون، ص٤٣٨.

[٢] تحت عنوان: "سقوط الشعر وبروز الشاعر" يدلل الغذامي على تحول خطير جرى للذات الشاعرة التي استعلنت بكونها جمعية تمثل القبيلة، ثم تنازلت عن هذا الدور لتؤسس لذاتية فردية للشاعر. انظر: النقد الثقافي، ص١٠٠ وما بعدها. ويحكي عبدالفتاح كيليطو عن هذا التغير الوظيفي، ويرى أن عصر المنجز الشعري الجمعي قد "مضى دون رجعة، وطرأ تغير في وظيفة الشعر، وفي صورة الشاعر، وفي الشعر ذاته..". المقامات: السرد والأنساق الثقافية، ص٦٣.

[٣] الأغاني، الأصفهاني، ج٢١، ص٢٢٤.

[٤] المصدر السابق، ج١٨، ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يولد هذا الهجاء فتنة للآخر الذي يتلقاها بما يصعد التوتر، في محاولة لكسر الفرادة الذاتية التي يسعى الشاعر لتحقيقها.

وهذه الفتنة القولية التي تعهد إبليس بإشعالها تنطلق من كون الكلمة الجادة فاعلة في تأسيس القيمة التي يريد المتكلم خلقها ونشرها في المجتمع، فـ "أي كلام قيم اجتماعيا يملك القدرة على التأثير بمقاصده تأثيرا قد يستمر طويلا، ويصيب دائرة واسعة في لحظات اللغة المقحمة في سياق اندفاعته المعنوية والتعبيرية، إذ يفرض على هذه اللحظات فروقا في المعنى، وتدرجات معينة في القيم، وهكذا يمكنه أن ينشئ الكلمة الشعار، والكلمة الشتيمة، والكلمة الثناء"[١].

على صعيد آخر، اجترحت منامات موقفا صريحا من بناء الشعر المتغيي تحقيق أسطورة ذاتية للشاعر، دون الالتفات لتحقيق منجز حضاري جمعي، لا سيما المنجز الذي يحمل قيمة إسلامية. إن نصيات عديدة من المنامات ترفض هذا التأسيس المفرَّغ، وتوجه لبناء آخر يقرب الشعر والشاعر من الخطاب الإسلامي المستعلن بالفكر والموقف.

يجسد منام الأعشى إطارا عاما لهذا التوصيف المفارق بين قيمة الشعر والقيمة الدينية، المتمثلة هنا بالأخذ بالقرآن الكريم، قال: "إني رأيت كأني أدخلت بيتا فيه حنطة وشعير، وقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت الشعير"[٢]. ويكشف تأويل المنام عن ممايزة دالة ليكون أخذ الشعير أخذ الأدنى، فيتحول الأعشى عن قراءة القرآن الكريم لقول الشعر: "إن صدقت رؤياك تركت القرآن وقراءته، وقلت الشعر".

على ضوء ذلك، تقرر النصوص أن الشعر المفرَّغ من قيمته لا يغني شاعره، وتأتلف منامات عديدة في شهادة دالة على ذلك، وتقترح صنفين من الشعراء: أما الأول فشاعر حُيِّد شعره، وانتفع بموقف استعلن به، ومن ذلك منام الفرزدق في فضاء القيامة، وفي تقاطع بيِّن مع نصيات عديدة، يُسأل عما فعل الله به بعد موته، فيقرر المغفرة والرحمة، ويجلّي السبب

---

[١]) الكلمة في الرواية، بختين، ص٤٨.

[٢]) الأغاني، ج٦، ص٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليكون في رواية الطائي "تكبيرة كبّرها في المقبرة عند قبر غالب"[١]، والشهادة الإسلامية في رواية لبطة بن الفرزدق، والإحالة هنا بيّنة في الانتماء للإسلام، وهي بغيابها التي جعلت جريرا معلقا لم يُقضَ في أمره بخير. أما خبر وكيع فيعلن أن إخلاص الفرزدق يوم الحسن هو الذي تسبب بالمغفرة[٢]، وبذا لا ينتفع الفرزدق في فضاء العرض والحساب بشعره، قدر انتفاعه بولائه الديني، وموقفه المتشيع لآل بيت النبي الكريم، وقد ذكرت في موضع سابق تشيع الأصفهاني الذي سينتصر بالضرورة للشعراء المتشيعين!. وقصة الفرزدق التي انتصر فيها لزين العابدين في الحرم، حيث عرّفه ومدحه في حضرة أهل الشام حين أنكره هشام بن عبدالملك معروفة، وقصيدته التي يمدح فيها:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ والبيتُ يعرفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ

أما موقف الحسن، فقد اجتمع الفرزدق مع الحسن البصري في جنازة، فقال الناس: "اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس!! فقال الحسن رادا عليهم: "لست بخيرهم، ولستَ بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟. قال: شهادة أن لا إله الله وأن محمدا رسول الله". وإذا كان الأصفهاني قد اعتدّ بإسلام الفرزدق، إلا أن توافقهما في التشيع هو الذي جعله ينقل منام الآخرة ويضمنه كتابه، ليوصل الرسالة الفكرة القاضية بصوابية التوجه الشيعي الذي سيفضي للجنة![٣].

في الصنف الثاني، يأتلف الشعر مع الاعتقاد، لينضوي بذلك في إطار أعمّ من ذاتية الشاعر، وهدف أسمى من مجرد تحقيق أسطورة شخصية، إن هذا الانصهار في بوتقة الخطاب[٤] الإسلامي شكّل خطابا مناميا واضحا، رسم القبول لهذا الصنف الشعري، وكلله بوجود الرسول الكريم، الذي أضاف شرعية على هذا النمط القولي.

---

١) المصدر السابق، ج٢١، ص٢٧٤.

٢) الأغاني، الأصفهاني، ج٢١، ص٢٧٥.

٣) انظر حكاية زين العابدين في وفيات الأعيان، دار إحياء التراث، ج٩، ص٢٥٣، وحكايته مع الحسن، ج٣، ص٢٥٤.

٤) وتبني ذلك ليس غريبا، فالشاعر منضو تحت إطار ثقافته الرسمية، وفلسفة وجوده العامة: "كثيرا ما تبين الأقوال الصريحة أو الإيماءات ولاء الشاعر لفلسفة بعينها، وتثبت معرفته المباشرة لفلسفات كانت شائعة". نظرية الأدب، رنيه ويليك، اوستن وارن، ص١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تواترت منامات كثيرة بدا فيها الرسول الكريم منافحا عن الكميت، راضيا عن أداءاتـــه الشعرية، ولا بدّ أننا نتلقى ذلك ضمن السياق المعرفي الذي يُظهر تشيع الكميت لآل النبـــي –عليه الصلاة والسلام–، الأمر الذي يفضي لكون الرضا النبوي متحققا ابتداء لاستعلان الكميت بموقفه الديني السياسي، ثم بإبانة ذلك شعرا: يرى دعبل الرسول الكريم ينهاه "عن ذكر الكميت بسوء"[١]، ويعلن الرسول الكريم في رواية أخرى خيرية جزاء الله للكميت، والرواية تختـــزل الكثير بعبارة النبي له: "جزاك الله خيرا. وأثنى عليه"[٢]. وفي نصيات أخرى يؤكـــد الرســـول الكريم مغفرة الله للكميت، وهو أمر يتكرر مع أصحاب التراجم، إلا أن الإخبـــار بـــالمغفرة لا يكون على لسان الرسول الكريم، وهذا يهب شعر الكميت شرعية زائدة، وذلك لشرعية موقفه الذي أراده الراوي/ واضع المنام.. أعلن الرسول المغفرة للكميت في روايات عدة: فتارة ينهى دعبل عن التعرض للكميت ويقر المغفرة أمامه، وتارة يخبر سعد الأسدي بـــذلك، ويـــأمره أن يبلغها الكميت[٣]. والرواية لا تغفل بالتأكيد سبب المغفرة الكامنة في أبيات تـــستعلن بـــالولاء للنبي وآله، ليكون قوله في الرواية الأولى:

فلا زلتُ فيهم حيثُ يتّهمونَنِي ولا زلتُ في أشياعِهِم أتقلَّـــبُ

سببا معتبرا عند الرسول للنجاة والمغفرة، ثم تكون قصيدته الآتية في الروايـــة الثانيـــة سببا للمغفرة والخلاص:

فما لي إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ وما لي إلا مشعبَ الحقِّ مشعبُ[٢]

ذات المنطق الذي يؤسس لخطاب إسلامي تكون فيه المركزية للمبدأ لا للذات الشاعرة، يدعو الرسول الكريم للرضى عن السيد الحميري، ويأتي المنام الذي أمر فيه الرســـول بقلـــع شجر امرئ القيس، وغرسها في أرض السيد التي كأنها الكافور، دليلا بينا على ذلك، ويكشفه تأويل ابن سيرين: "أما إنك ستقول شعرا مثل شعر امرئ القيس، إلا أنك تقوله في قوم بـــررة

---

[١]) الأغاني، الأصفهاني، ج٢٠، ص٥٩.

[٢]) الأغاني، الأصفهاني، ج١٧، ص٢٣–٢٤.

[٣]) المصدر السابق، ج١٧، ص٢٣–٢٤. وأول القصيدة:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني، أذو الشيب يلعب؟.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أطهار"[١]. هذا القول المؤطر بالبرّ والطهر، برر استنشاد الرسول الكريم السيدَ قصيدته التي فيها:

لأمّ عمرو في اللوى مربعُ طامسةٌ أعلامُه بلقعُ

وذلك في رواية زيد بن موسى، ومحمد بن عاصم على حد سواء[٢].

في المقابل، يظهر شخص الرسول الكريم منددا بالشعر الذي يجاهر بقيمة مناهضة للإسلام، ويأتي ذلك في تأكيد واضح على تأطير الشعر المنسجم إسلاميا بإطار الشرعية دون غيره، ومن ذلك تهديده عليه السلام أبا سعيد مولى فائد بالضرب والهلاك إن هو أنشد:

لقد طفتُ سبعًا قلتُ لمَّا قضيتُها ألا ليتَ هذا لا عليَّ ولا ليا

والرواية تسوق اقتباس الرسول الكريم كلمات من البيت بصورة تفضح عدم الرضا، وتستعلن بالإنكار لإنكار البيت فريضة إسلامية معلومة بالنص، قال الرسول مخاطبا أبا سعيد: "يا أبا سعيد، لقد طفتُ سبعا! لقد طفتُ سبعا! سبعا طفتَ؟. ما صنعت بأمتي في هذا الصوت؟"[٣]. ويكفّ الرسول عن أذى الشاعر المغني لدى قطعه الوعد بألا يغني هذا الصوت أبدا.

وفي تعليل حلمي لعمى المؤمِّل، يتجسد بيت من الشعر تألّى فيه الشاعر على الله –سبحانه– قاطعا بغيب، لا ينبغي لعبد أن يقطع فيه، فقد رأى في المنام من يقول: "أنت المتألي على الله ألا يعذب المحبين، حيث تقول:

يكفي المحبين في الدنيا عذابُهم واللهِ لا عذَّبَتْهُم بعدها سقرُ"[٤]

وإذ يكون الجواب إيجابا يتحقق العقاب، لا سيما وأنه تمنى العمى في قوله:

---

١) المصدر السابق، ج٧، ص١٨٣.

ديوان الكميت، قسم شرح هاشميات الكميت، ص٥١٢.

٢) الأغاني، الأصفهاني، ج٧، ص١٩٣، و٢٠٩–٢١٠. وقد ألقاها في مدح الإمام علي بن أبي طالب من قصيدة أولها: **تروح عنه الطير وحشية والأسد من خيفته تفزع**

الديوان، قافية العين.

٣) المصدر السابق، ج٤، ص٢٣٢.

٤) المصدر السابق، ج٢٢، ص١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شفّ المؤمّلَ يومَ الحيرةِ النّظرُ ليتَ المؤمّلَ لم يُخلقْ له بصرُ"[٣]

تطلق دوجلاس على هذا العقاب "العدالة الخيالية"، وعلى ضوء دراستها لأحلام شبيهة استحقّ فيها العقاب في فضاء الحلم، رأت أن هذه المشاهد الحلمية تعمل باعتبارها وسائل لتحقيق التفاعل بين العمى والاعتبارات الدينية والأخلاقية، التي يرتّب فيها تجاوز الشاعر للمسلّمات الدينية والأعراف الأخلاقية عقابا مستحقا، ومن زاوية أخرى، فإن هذا العقاب قد يُزال وفي ذات فضاء الحلم عندما يسلك الحالم سبيل التوبة والرجوع عن الخطيئة التي ارتكبها[١].

المرأة.. نسقية الصورة في الثقافة الذكورية

عمدت المنامات إلى آلية انتقائية في نصيات عديدة، خلّقت المرأة ضمن ترسيمة سالبة، لتحكي بذلك ما استقر في الذاكرة الثقافية التي جعلت من المرأة في مرويات متنوعة كائنا غير فاعل، يدور في حلقة مفرغة من السالبية، والتوصيف الذي يدنّيها من مرتبة الرجل، في تأكيد على تراتبية اجتماعية مقصودة، تستعلن فيها الذكورة، وتُختزل المرأة في تشكيل مهترئ محمَّل بالرؤى المشبوهة، والاتهام غير البريء لكينونتها ووجودها.

وتشظي تلك المنامات ترسيمة المرأة لتنوعات متباينة، تختلف لتأتلف، وتؤكد على النسقية المرادة لفضح دونية المرأة، والكشف عن تجلياتها التي ترميها في دائرة مهمشة وجوديا! حيث تستبطن هذه النصوص –في جلها– رؤية سالبة، وتمدّ في أخلاقيات غير فاعلة، أو تفعّلها سلبيا، لتكون بذلك مسؤولة عن أي انسحاب رجعي أخلاقي في المجتمع.

❋❋ الجسد .. وفضاء الجنس

يتمدد جسد المرأة محمَّلا بفضاء دلالي جنسي، تثيره –كما ترى النصوص– شكلانية فاتنة مفرغة من الجوهر تارة، وإرادة شبقية ملازمة لذات المرأة تارة أخرى. وعلى هذا

---

(١) بناء النص التراثي، دراسات في الأدب والتراجم، فدوى دوجلاس، ص١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصعيد ينتفي وجود المرأة الممثل جوهر العقل والروح، لتنسكب في بعد شكلاني يؤطر وجودها، بل وقدرتها على الحياة والاستمرار.

وقد علق الغذامي على هذه الرؤية التي تعتبر شكلية المرأة، وتوحد تجلياتها على اختلاف المسميات والصفات المفترضة للمحبوبات في الأدب العربي، لذا يرى أن المرأة المعشوقة إنما هي كائن مجازي وليس حقيقيا: "وأول ما يجب الأخذ به هو أن المرأة في حكايات العشق هي كائن مجازي غير مشخص، فهي حزمة من الصفات الجسدية والمعنوية تتكرر في كل حكاية بلا اختلاف أو تمييز شخصي أو بيئي أو طبقي أو ظرفي، وكلهن واحدة". بل إنه يصل لنتيجة مفادها أن حكايات الحب –والسياق يوحي بالتعميم– ملفقة، والحب كله متخيل، الأمر الذي يفضي بالمتلقي لـ "خطاب مجازي وتورية ثقافية في الجنوسة"[١]. وإن كنت أتفق مع عبدالله إبراهيم في توجه الغذامي للتضخيم والانتقاء النصي في سبيل إثبات نقده الثقافي [٢]، حيث لا يمكن أن تستحيل كل قصص الحب المعروفة في الأدب لمجرد خيالات وأوهام وحكايات مجازية! إلا أن تشكل صفات خاصة عجائبية للمرأة المحبوبة في المنامات والأدب عموما يستوقف المتلقي حقا، ويطالبه بالتفسير والتأويل.

تعكس سيرة فيروز شاه أداة المرأة الشكلية التي تجعلها مستحقة للحياة، ولاعتبارية الرجل إياها، حيث يحتفل العمل بعلاقات جنسية ممتدة قائمة بشكل رئيس على جماليات عجائبية في كل نساء السيرة، وتتقدمهن عين الحياة محبوبة فيروز شاه التي كان أول ظهور لها في مشهد حلمي استحضر شكلها، وغيَّب كل ما دونه مما يمكن أن يمثل صورة مشرقة لكيان المرأة ووجودها الفاعل. يرى فيروز شاه عين الحياة في الحلم شكلا مجردا غير متحدد الهوية الاسمية.. والاجتماعية.. والأخلاقية.. ورغم ذلك تتحقق فتنة الرؤية التي يصرّ عليها العمل، فيعرض لذلك صورة عين الحياة بمفردات تشفّ عن البعد المادي الذي أطّر رؤية

---

[١]) الزواج السردي: الجنوسة النسقية، عبدالله الغذامي، ص٦٩.

[٢]) النقد الثقافي: مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق، عبدالله إبراهيم، ص١٩٩. ويعلق معجب الزهراني كذلك على النزعة الإطلاقية التي يتعامل بها الغذامي مع النسق، ويرى أن ذلك قد أخرجه عن صوابيات المنهج:"مفهوم النسق الثقافي عنده لم يعد يشتغل في خطابه كأداة للتعرف والفهم.. بل كفكرة نظرية عامة تنزع إلى الشمولية والإطلاق والثبات، وحينما ينزلق المفهوم إلى مرتبة كهذه يخرج عن منطق المعرفة العقلانية النسبية المرنة المتحولة، وقد يخرج عن قضايا الثقافة والإنسان من سياق التاريخ إلى متاهة الزمن!". وانظر كذلك مقال: مثاقفة النقد www.alriyadh.com انظر مقال: مفهوم النسق الثقافي من منظور المعرفة: الثقافي، فقد بين الكاتب محمد العباس تضخيم الغذامي لقضايا عديدة، ورفض بالتالي هذه المنهجية التي اعتبرها مضللة للقارئ: www.bahrain-writers.com .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرجل للمرأة عموما في هذه السيرة، وجعل من فروسيتها –إن كانت– وأخلاقها بعدا ثانيا استثنائيا إلا في رؤية الحكيم طيطلوس لزوجه، الذي انضوى أخيرا تحت ذات الفتنة الشكلية والتراتبية الاجتماعية، ولم يقبل الزواج وهو الحكيم إلا حين تيقن امتلاك محبوبته هذه المميزات.

تقول الحكاية عن فيروز شاه: "وبينما هو نائم، حلم أنه في روض كثير الأشجار، وحوله الأنهار، فجعل ينتقل في الروض إلى أن توسطه، وإذ مرت به صبية ممشوقة القوام، صبوحة الوجه، نحيلة الخصر، ثقيلة الردف، ذات ثغر بسام، فنظرت إليه نظر المودع، وسارت عنه، فأراد أن يسألها عن اسمها ويكلمها فاستيقظ"[١].

وترتب السيرة على هذا المشهد الحلمي شغل فيروز بحب الصورة، وتيهان عقله[٢]، وتجدد الهوى، وتراكم القلق، والهيام، والحزن، واليأس[٣].. ، وتعمد السيرة إلى حيلة تكرار الحلم لتأكيد صفات عين الحياة الشكلية ضمن تنوعات عديدة، تحيل لبعد متوحد مادي، فقد تجلت كالعروس بين الأتراب، ورمقت بلحظ فاتر في مشهد حلمي ثان، وكثف المشهد الحلمي الأخير صفات تؤكد ذات البعد حيث الجسم اللدن الناعم، وثوب الحرير، وإكليل الزهر، والخال المسكي في وسط الخد الأبيض الممزوج بحمرة، وأنوار اللطف، والظرف اللذان ندرا وبددا الظلام[٤]. بل إن الراوي يقابل جمالها بملك الملك ضاراب وشدة سطوته، ويجعلهما في كفتين متوازيتين: "قد انتشر صيت جمالها في الآفاق، وعرف بها البعيد والقريب، وتناقلت أخبارها على أفواه المسافر والمقيم، كما كان يتناقل خبر الملك ضاراب، وبطشه، وعظم سلطانه"[٥].

---

١) فيروز شاه ابن الملك ضاراب، مج١، ص٢٥.

٢) للغذامي مقال طريف يحكي فيه عن التحولات التي تتحصل للعاشق لا سيما في دائرة العقل ولازمية فقدانه، حتى لكأن ذلك الفقدان يتشكل بيانا ثقافيا يسم أوضاع العاشقين من الرجال، ويجمع لذلك أبياتا وقصصا تؤطرها قصة المجنون الذي يختزل حالة الحب العربية في الجنون واللاعقلانية. الزواج السردي: الجنوسة النسقية، عبدالله الغذامي، ص٧٠–٧١.

٣) فيروز شاه ابن الملك ضاراب، مج١، ص٢٦.

٤) المصدر السابق، مج١، ص٢٧.

٥) المصدر السابق، مج١، ص١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحكي ابن حزم عن حالة الحب التي تعرض لها فيروز شاه، وإن كان يرى في تقدمة الباب "باب من أحبّ في النوم"، أن فيروز شاه قد توصل لحب عين الحياة بأوهى الأسباب: "وأنا مبتدئ بأبعد ما يمكن أن يكون من أسبابه، ليجري الكلام على نسق، أو أن يُبتدَأ أبدا بالسهل والأهون"[١]، ولذا يؤكد لاحقا على كون رؤية صورة غير متعيِّنة واقعيا في المنام سببا غريبا للحب، وأنه يقبع خارج نطاق العقل، الأمر الذي يستلزم إثبات ابن حزم ما يوقِّع لصدق هذا الغريب وحقيقته، فاعتمد على ذكر المشاهدة، تبريرا لسرد الحكاية، وإثارة لإقناع المتلقي: "فمن أسبابه شيء، لولا أني شاهدته لم أذكره لغرابته"[٢]، ثم يسرد حكاية أبي السري الذي رأى جارية في المنام، فاستيقظ وقد هام قلبه فيها، وبات لأجلها ما يزيد على الشهر مغموما لا يهنأ بشيء!.

يقدم أبو سري لحكايته قائلا: "لي أعجوبة ما سُمعت قط"، وإذا كانت العبارة تحكي عن اعتقاد أبي السري بالطابع الخارق لحبه، الذي يشاكل الطابع الخارق لطبيعة المنام كونه نصا عجائبيا، إلا أنها تُباين منطق الغريب الذي قدَّم له ابن حزم، حيث قصد الإقصاء، وعضده بعبارات عديدة تدعمه: "إنك لفيل الرأي، مصاب البصيرة؛ إذ تحب من لم تره قط.. فما زلت به حتى سلا.. وهذا عندي من حديث النفس وأضغاثها، وداخل في باب التمني، وتخيل الفكر.." [٣].

ويعلق كليطو على العبارة قائلا: "وبعبارة أخرى، توجد في كلّ فرد منطقة معتمة، منفلتة من المراقبة، هي مصدر الرغبات التي لا يرضى بها العقل"[٤]. وهو تعليق يشفّ عن رؤية مركزية تستبطن النسق الكامن المحرك للرغبة الحقيقية في المرأة، وهي رغبة لا يرضى بها العقل، ولكنها كانت قادرة على تحريك سرد الحكاية على امتداد ثلاثة أجزاء مفعمة بالدموية؛ وصولا لجسد عين الحياة، وانتصارا للرغبة على العقل.

---

١) طوق الحمامة في الإلفة والألاف، ابن حزم، ص٥٥.

٢) طوق الحمامة في الإلفة والألاف، ابن حزم، ص٥٥.

٣) المصدر السابق، ص٥٥-٥٦.

٤) لسان آدم، عبد الفتاح كليطو، ص٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعكس السيرة إذن تعلق البطل بصورة لم يتأكد تحقق النموذج الفعلي وراءها، إلا أنه لإيمانه بعدم عبثية المنام، وتكرره في إطار زمني ممتد لثلاث ليال، يدرك صوابية المنام، ويقرر التغريبة بحثا عن عين الحياة التي لم تستعلن إلا باسمها في المشهد الثالث، وليكون هذا الحلم وضرورة تحققه الحافز السردي الذي دفع العمل بأحداثه الممتدة على مساحة الأجزاء الثلاثة الأولى.

إن اختزال الراوي عين الحياة في تلك المفردات المادية، الذي أفضى إلى نظرة ذكورية تقصر نموذج المرأة في هذه الماديات الشكلانية، ليترتب عليها بناء العمل كله، وتشكل إطارا شرعيا لكل العلاقات المشابهة بين أفراد السيرة، إن هذا الاختزال يشفّ بالضرورة عن نظرة خاصة منسجمة مع ترسيمة المرأة في مرويات عديدة في الثقافة العربية، تجعلها بدنا مفرغا من الهوية الحقيقية، ليستعلن بهوية مادية بحتة، جنسية المغزى والغاية، الأمر الذي يشير لعلاقة فيها اختلال بيِّن بين الرجل وما يتغياه من المرأة!! إذ لا يُعقل أن ينحصر وجود المرأة في هذا البعد المادي، دون أدنى اعتبارية لفضاء آخر أكثر أهمية وقيمة من مجرد جسد لدن ناعم، وخد أسيل، ولحظ فاتر!.

في تعالق نصي واضح Hypertextualite[١]، ترسم سيرة الظاهر بيبرس ذات المشهد الحلمي بأطره العامة مع اختلاف المسميات والتفصيلات، القصّ الآن لأحمد الذي يروي حكاية الحلم، الذي يتكرر فيه الوصف الخارجي للشجر، والنهر، والثمر كما في حلم فيروز شاه، في تقدمة ذكية تناسب المقام الجمالي للمحبوبة التي ستظهر بعد قليل. إلا أن سيرة الظاهر تختزل تماما كل الأبعاد المادية للفتاة، وإن أشارت إليها صراحة، حيث أثارت فتنة النظر، يقول: "فلما نظرت تلك البنت هام بها قلبي، وتبلبل خاطري ولبي، فاعتراني هذا الجنون"[٢]. لم يكشف الراوي بعدا روحيا لفتاة غابت معالم هويتها، لتظهر كما عين الحياة مجرد بعد مادي شكلاني لا يعرف البطل إن كان يحتمل وجوده الفعلي، وتحققه الواقعي، وكل ما ينكشف هنا معالم

---

١) يعرف جيرار جنيت التعلق النصي "بأنه يوجد حيث يتم تحويل نص سابق إلى نص لاحق بشكل كبير". والتعلق النصي شكل من أشكال التناص لا بد أن يكون فيه نص سابق، وآخر لاحق، وعلاقة تعليق بينهما. وفي دلالة التعليق يرى يقطين أن التسمية جاءت من "الإيحاءات التي يحملها فعل تعلّق، فالنص اللاحق ينتقي ويختار النص السابق الذي يراه يستأهل أن يكون موضوعا للتعلق، لمواصفات خاصة مميزة..". الرواية والتراث السردي، سعيد يقطين، ص٢٤-٣٠.

٢) الظاهر بيبرس، مج٣، ص٢٠١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جسد أنثوي يسقي الزرع، في تقاطع واضح مع الرؤية الذكورية في الحلم الأول، حيث تُختزل المرأة في جسد.

وهذا الاختزال بما يشفّ من رغبة وتطلع، يتشكل ثانية حافزا سرديا يدعو البطل للبحث والاكتشاف، والتأكد عما إذا كان سيتعين حضور الفتاة واقعيا!. وبذات الآلية التي تركز على البعد المادي في التأسيس للعلاقة بين الذكر والأنثى، عمد كلا البطلين إلى نقش صورة لهما، وعرضها على المحبوبة[١]، إثارة للإعجاب وتفجيرا لحبٍّ انبنى ابتداء على قيمة الشكل، والبعد المادي المتعين بترسيمات دقيقة للجسد.. الأمر الذي يجعل من فكرة استنطاق الجسد فكرةً متقصدة، تعمّق كون قيمة المرأة متأتية من جسدها!. ويفضي ذلك لمحاكمتها اللاعقلانية، إذ ستنظر للرجل كذلك من ذات البعد المادي الجسدي، ومن هنا تولدت فكرة النقش ورسم البطلين في محاولة جادة لإثارة المحبوبة، وهي محاولة ناجعة يُهتدى إليها ببساطة على ضوء إدراك الرجل عقلية المرأة التي حصرها في جسدها.

لا تكتفي هذه النصوص بمدّ جسد المرأة ليشكل فضاء دلاليا يشفّ عن حقيقة مادية لها، بل تطور أداة النظرة إليها، وترسمها في إطار شبقي يكون الحافز الحقيقي المفعِّل لمجريات حياتها، دون أن تعتبر قيمة شرعية أو عرفية: يعرض العقد الفريد لمنام مغنٍ في حضرة الواثق يكفّف فيه حبه لمغنية يملكها الواثق، ويرى ترشُّف الريق، وتلمس الكف، والنوم في الفراش الواحد..![٢] ويعرض المغني كل ذلك بإطار الحلم والتمني، دون أدنى إشارة لتولد فعل حقيقي من شأنه أن يوقع لما يريد في فضاء الواقع، ولكن الراوي ينسب ذلك للمغنية التي أقرت نظما وبلهجة لا تخلو من الإصرار أنها ستحقق له كل ما يريد:

خيرًا رأيتَ وكلّ ما أبصرتَـهُ ستنالُه منّي برغمِ الحاسِـدِ
وتبيتُ بين خلاخلي ودمالجي وتجولُ بين مراسلِي ومجاسدِي
فنكونَ أنعمَ عاشقين تعاطيا ملحَ الحديثِ بلا مخافةِ راصدِ[٣]

---

[١]) يبعث فيروز شاه النقاش شياغوس لعرض رسمه على عين الحياة، انظر مج١، ص٣٢، ويضع المقدم إبراهيم صورة أحمد في صدر مكان تطلع عليه المحبوبة، انظرمج٣، ص٢٠٢١.

[٢]) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج٧، ص٥٩.

[٣]) المصدر السابق، ج٧، ص٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ذات الإطار تتشكل زوجة الطحان الذي رأى في المنام من يكشف له سر الكنز[١]، امرأة خائنة، إلا أن درجة خيانتها هنا أبعد من خيانة المغنية التي اكتفت بالوعد، ولم تطور وعدها حقيقة لاكتشاف الواثق أمرها. تجعل الرواية امرأة الطحان خائنة في نفسها وهي تراود جارها، ثم تفضح سر زوجها برؤية الكنز تقربا للجار، ثم تكيد أخيرا لتنفصل عن زوجها، وينفصل جارها عن زوجته ويجتمعا على الكنز!. إنها صورة مركبة من بعد أخلاقي دنيء، يجعله الراوي لزوجة الطحان ليؤكد بذلك صورة نسقية متكررة عن المرأة في الذاكرة الثقافية، حيث لا تُعنى إلا برغبتها وشهوتها.

وإن كان الراوي لم يمكنها في هذه الحكاية مما تريد، فإنه مكنها من اختراق كل الحرمات، والتنكر للأعراف الشرعية والمجتمعية في النشوار، ليجعلها في القصة السابعة والخمسين من أشد الناس زنى، حيث كانت تُدخل إلى بيتها الرجل والرجلين فيطأونها ويخرجون دون علم زوجها! ولا تكتفي بذلك حتى تشتهي الزواج بابنها، وتتحقق لها كل رغباتها بمعاونة عجوز[٢] تُستحضر صورتها الثقافية بوصفها شيطانا[٣]! وتصادق على ذلك القصة التي جعلتها توافق المرأة على تصرفاتها، مغيبةً حكمة العمر، وتجربة السنين!.

يغيِّب الراوي تماما مسؤولية الزوج وحضوره في فعل يتكرر يوميا ولا ينكشف! ويغيب بذات المنطق مسؤولية الابن الذي نهض متشوقا للخطيئة، وإن تمت بحيلة لم يكشف فيها كونه

---

[١] ألف ليلة وليلة، ج٣، ص٦٣٩. وعرضتها كذلك مئة ليلة وليلة، ص٤٦٢-٤٦٣.

[٢] النشوار، التنوخي، ج٥، ص١٢٤-١٢٨.

[٣] "وكما يقول المثل العالمي: حيث لا يصل الشيطان يرسل عجوزا!! وهذا مثل يورده ميشال مراد، ويقول عنه: إنه مثل لكل الشعوب! وكونه مثلا لكل الأمم، يعني أنه ثقافة للجميع". ثقافة الوهم، عبدالله الغذامي، ص٩١. ويحكي خورشيد كذلك عن العجوز الكافرة في تجلياتها الكيدية: "وهناك ظاهرة أخرى بارزة للمرأة التي تكيد وهي العجوز التي تحترف الكيد، وهذه العجوز تظهر في ألف ليلة وليلة، كما تظهر في ذات الهمة.. فهي دائما عجوز كافرة تعرف السحر والكيد إما للمؤمنين كأفراد، وإما للمجتمع الإسلامي كله..". أديب الأسطورة عند العرب، فاروق خورشيد، ص١٧١. وهذه صورة عامة للمرأة العجوز وإن تلبست بلبوس الحكمة في بعض الحكايات، وتمثلت بـ "الجنس الإنساني الهرم بتجاربه" كما في تحليل مي أحمد حكاية سابور بن هرمز وقيصر الروم: الحكائية ودلالة السرد في كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع، دراسات، كانون ١، ١٩٩٩، ص٨٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمه! ويغيب كذلك دور الكاتب الذي عبره كُتبت الرقاع!! إن المسؤولية الذكورية منتفية تماما، ولا يُقام لها أدنى اعتبار، ولذلك لا يتوجه إليها الراوي بالعقاب الذي يرتسم بدقة للمرأة: في النشوار تكون المرأة آخر المطاف من أهل النار، وبذلك تتعنون القصة، بل يُرى في المنام ضجيج الأموات وخوفهم من دفنها في ذات المقبرة لئلا يُسمع أنينها من العذاب؛ عقابا على ما اقترفت[١]، أما زوجة الطحان فتقتل بيد من أرادت خيانة زوجها معه! وإذا كان الطحان في ألف ليلة قد خسر كلّ شيء، وانتحر في مئة ليلة وليلة، فإن الراوي يعرض هذه الخسارة في سياق الفجيعة التي تستدرّ عطف المتلقي، وليس من منطق العقاب المستحق للمرأة[٢]، التي يعاقبها الواثق كذلك بالزواج منها بعد أن عُقد عقدها على المغني الذي أرادته وهي في يد الخليفة[٣].

بذات المنطق المتَّهم للمرأة، يكون قصّ حكاية "تمثال الفيل"[٤] في مئة ليلة وليلة، وهي وإن غايرت نموذج المرأة الشبقي السابق، إلا أن الراوي يحصرها فيه قسرا، محملا القصة تناقضات، لا يمكن فكها وفهمها إلا لدى النظر لأبعادها بعيني الرجل.

تحكي القصة عن امرأة صنعت لزوجها طعاما من الدجاج والحمص بينما هو في زرعه، ثم جعلت الطعام في سلة وحملتها إلى زوجها، وملامح المرأة المؤدية لدورها بارزة في هذا الانسياق الواضح لخدمة الزوج!.. وتفجع السياقات المرأة بإخراج اللصوص عليها من بعض الطريق، ثم تركّب عليها حالة الخوف بجعلهم يواقعونها الواحد بعد الآخر! ثم أخذ بعضهم ما كان في السلة، وصنع من الحمص مثل الفيل، ورده إلى السلة! فانطلقت إلى زوجها، ووضعت السلة بين يديه، وإذ يشاهد الفيل يصرخ: ويحك ما هذا؟ دبّرت جوابا يستنقذ حياتها من البطش، زاعمة حلما لم يُرَ: رأيت في المنام أن فيلا يطؤك! فسألت بعض المعبرين، فأوصاني أن أصنع لك فيلا من الحمص، وأطعمه لك!! فيشكرها زوجها، وتنتهي الحكاية.

---

[١]) النشوار، التنوخي، ج٥، ص١٢٢.

[٢]) ألف ليلة وليلة، ج٣، ص٦٣٩. ومئة ليلة وليلة، ص٤٦٣.

[٣]) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج٧، ص٥٩.

[٤]) مئة ليلة وليلة، ص٢٨٤-٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصداء النص زاخرة بملامح الصورة النسقية التي صنعتها الثقافة الذكورية، فالرجل هو الفاعل الرئيس الأهم في فعل الزرع، وفي فعل المواقعة الذي يتمّ دون أدنى إحالة لأي رد من قِبل المرأة، إن لكلّ فعل ردّ فعل، ولكنه يغيَّب الآن بقصد برغم تكراره وشدة وطأته! وتترسم في المقابل صورة صامتة عجائبية للمرأة في كلّ مراحل القصة، حتى عندما سألها زوجها: ما جاء بك؟ واستوضح المتلقي صوته، أجابت بصمت، وتمم الراوي حكايته: "فوضعت السلة بين يديه"!.

المقطع الوحيد الذي أطلق فيه الراوي لسان المرأة من قيد الصمت، تمثَّل في النهايات التي كانت فيها على محكّ الهاوية، فإما أن تبين، أو تقع فريسة الشك والوهم، فادّعت الحلم، وهو ادعاء تغيت منه الحفاظ على حياة لم تلوثها بيدها، بل لوثها آخر كان على استعداد أن يستمر في شخص الزوج، فينهي حياة الزوجة إن لم تبادئ بذلك التصريح الزاعم!. إن الشرع الكريم يبرئ ساحة المرأة، ويوقع القصاص على المعتدي في مثل هذه الحالة، ولكن العرف لا يميزها عن إرادة متقصدة تتغيا فيها المرأة الخطيئة، ولذا يعرضها ضمن سياقين يحصران النص بداية ونهاية في إطار الاتهام، فالوزير راوي القصة يقدم لحكايته:

– أعز الله الملك، فقد بلغني عن مكر النساء وكيدهن ما أخبرك به!. وينهي القصّ:
– وإنما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن كيد النساء عظيم!.

وبذا يُبرَّأ كل اللصوص، ولا تتشكل تلك المواقعة الفاجرة جريمة في حق المرأة والذات الأنثوية، ولا يشكل تخويف الزوج وهو يصرخ: ويحك ما هذا؟.. صوتا جارحا لبراءة المرأة؟.. إن كل ذلك مغيَّب مرة ثانية، ولا يحضر هنا إلا اتهام المرأة، وتفعيل المكر والدهاء، مما يوحي بإرادة كامنة داخلها تريد كل ما كان!، وتظهر وكأنها هي التي دبرته!!.. بل إن القصة تحكي اقتناع الملك/ المروي له بذلك الكيد، ويستجيب لرهان الرجل! فيأمر بألا يُقتل ابنه، في إشارة دالة لانسياقه مع رأي الوزراء الذين أرادوا إثبات مكر المرأة في الحكاية الأم الإطارية، حيث ادّعت جارية على ابن الملك بسوء، وكان الملك يحبها فأمر بقتل ابنه، ثم والى السرد حكايات تشهد بمكر المرأة على ألسنة الوزراء ابتغاء قتل الجارية والحفاظ على ابن الملك البريء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي حكاية حياة النفوس تأطير عام لهذه الصورة النسقية التي تتشكل رمزا في المنـــام، وتُحكى بإقرار في التأويل، فإذ ترى ابنة الملك أنثى الطير وهي تنقذ ذكرها من الشَّرك، ثم تقع فيه ولا ينقذها، تقول في اليقظة مؤولة: "هكذا تفعل الرجال مع النساء، فالمرأة تـــشفق علـــى الرجال، وترمي روحها عليه وهو في المشقة، وبعد ذلك إذا قضى عليها المولى ووقعت فـــي مشقة، فإنه يفوتها ولم يخلصها..." [١]. ذات الأبعاد تترسم هنا، فالمرأة هي التي ترغـــب فـــي الرجل، و"ترمي روحها عليه"، بكل ما تعنيه العبارة من إرادة جازمة بالرجل لا تُقابَل بمثلهـــا. والطريف أن الحكاية تتساوق في نهايتها مع النهايات المذكورة، حيث وقع العقاب قصدا علـــى المرأة! إن أنثى الطير هنا تُذبح من قِبل الصياد، تماما كما قُتلت زوجة الطحان، وكما ماتـــت المرأة في النشوار!. وهكذا تنغلق الدائرة على حياة الأنثى منطلقة من بؤرة الخطيئة، وصولا للموت والعقاب.

ترى فريال غزول أن "نص ألف ليلة وليلة يُسرد في المقام الأول من خـــلال الـــشفرة الشبقية!! إن ألف ليلة وليلة هي قصة وحدة زوجية تشرخها أنثى وتجعلها أنثى أخرى تلتـــئم". وفي موضع لاحق تعلق على شهريار وشاه زمان بعد أن اعتزلا الناس والتقيا بزوجة المـــارد التي أجبرتهما على مضاجعتها: "ومن تلك التجربة توصل الملكان إلى أن الطبيعة الأنثويـــة لا تسمح بالولاء الزوجي.." [٢]. وتطور فدوى دوجلاس البعد الجنسي الذي مثلتـــه فريـــال فـــي "المسرود" إلى السارد "شهرزاد": "إن شهرزاد التي نتناولها بالدراسة هي كائنـــة ذات طبيعـــة جنسية أيضا، بإمكانها تطويع الخطاب والرجال بالجسد..". وفي عبارة أجلى بيانا: "وإذا كـــان الإطار السردي لألف ليلة قد راق للكثيرين لأمد طويل، فإن ذلك لا يرجع إلى أنه ينطوي على الجنس والعنف معا فحسب، وإنما يرجع فضلا عن ذلك إلى العلاقة الفريدة التي نـــشأت بـــين الرغبة الجنسية والسردية..." [٣]. ذات الرؤية يتبناها محسن جاسم وهو يؤكد على أن الحكـــي الشهرزادي يشكل نسقا يتحرك بدافع المال والجسد، والخلاصة هي "الانهماك في اللذة، ذلـــك الانهماك الذي يجعل الحكي الشهرزادي يتناسل فـــي الجـــسد والـــشهوة، وطلـــب الغريـــب والجديد" [٤].

---

[١]) ألف ليلة وليلة، ج٥، ص٢٤٥.

[٢]) البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة، فريال جبوري غزول، فصول، مج١٢، ع٤ شتاء ١٩٩٤، ص٨٨-٨٩.

[٣]) جسد المرأة، فدوى دوجلاس، مجلة فصول، مج١٢، ع٤، شتاء ١٩٩٤، ص١٥٣-١٥٤.

[٤]) سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط، محسن جاسم الموسوي، ص١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❋❋ الوعي الأحمق

كشف العنوان السابق حمقا خاصا للمرأة التي غيّبت أداة العقل، وفعّلت الرغبة المشبوهة، فشكّلت علاقة لم تخلُ من الخطيئة، ولذلك رتبت لها الروايات على اختلافها عقابا لازما دون مشاركها الرجل. وهنا تتجلى ببعد حمقي آخر تنتسب فيه لقوم حمقى، إلا أن الراوي يسيّد موقفها ويجعلها أداة رئيسة فعّلت أحداث المشهد الحلمي الأحمق!.

في العقد الفريد يمهّد الراوي لحمق آل أبي رافع بقوله :"وآل أبي رافع من فضلاء أهل المدينة وخيارهم، مع بله فيهم وعيّ شديد"[١]، ولكنه –الراوي– ينتقي بقصدية مفهومة امرأة منهم لتكون دليلا بينا على ما وثق له، حيث جعل امرأة أبي رافع تراه في المنام بعد موته، ويخبرها أن له على صيرفي مئتي دينار!. يتجسد هنا حمق المرأة التي اتخذت بيانَ زوجها في مشهد منامي حقا أصبحت تطالب به، وإذ تستعلن الرواية بالعقل الرافض لهذا المنطق من قِبل الصيرفي، تطور حمق المرأة بجعلها لا تحاور العقل، ولا توافق المنطق، بل توسّع دائرة الحمق عندما تقصّ الرؤيا ثانية على مشايخ من آل أبي رافع؛ تأكيدا لحقها، وإصرارا على المطالبة به، فيظهرون حمقا مقاربا، وينصبون من ذواتهم شهودا على قول زوجها!.

ويستمر السرد حيث يتوصل المشايخ لحل مع الصيرفي يقبلون فيه بأداء الشطر، وتكمن حيلة الحكاية في شرط الصيرفي الذي يسجله على المرأة! فإذ يقبل بأداء مئة دينار، إلا أنه يطلب من المشايخ أن يوقعوا وثيقة على المرأة: "أنها قد أبرأتني منها –المئة دينار–، وشرطت على نفسها أن لا ترى أبا رافع في نومها مرة أخرى، فيدعي عليّ بغير هذه المئتي دينار"[٢]. والإشارة دالّة هنا على تأكيد توالي حمق المرأة المعلن في حكايات متباينة، ولذا يجيء الشرط مستبقا الآتي عندما يشترط الصيرفي ألا ترى في نومها أبا رافع ثانية، بمعنى ألا تولد حكايات حمقاء جديدة تدعي عليه فيها.

إن الراوي لا يبرئ ساحة آل رافع، إلا أنه كما قلت يسيّد موقف الحمق المحفز لكل الأحداث بالمرأة، فلولاها لما كان قصّ، وما كان فعل. وهي رؤية تستبطن صورة نمطية

---

[١]) العقد الفريد، ج٧، ص١٥٨.

[٢]) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج٧، ص١٥٨–١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمرأة، تختزلها الثقافة التي رسمت أبعاد هذه الصورة وأسست لها. ومن هنا يوسع الغذامي الحديث عن اللب الأحمق، مستعرضا حكايات تقوم على "إقصاء الرأس، والاستغناء عنه، وعلى الإيحاء بأن رأس الأنثى غير فاعل، وغير مفيد، على عكس رأس الرجل الذي هو رأس فعال، ومنتج، ومؤثر"[١].

❋❋ الحضور الشرير

من تجليات الصورة النسقية التي أسستها الثقافة للمرأة، أنها جعلتها وجها مميزا لعملة الشر، فالمرأة شرّ في تنوعات سردية عديدة، لم تبرأ منها ساحة المشهد الحلمي، وأداة التأويل العارفة البصيرة. وفي الأغاني روايات منامية عديدة ترسم المرأة وبالا، وشرا مطلقا على تنوع مسارب ذلك الشر، فإذ يرى هارون الرشيد امرأة "وقفت عليه، وأخذت كفّ تراب، ثم قالت له: هذه تربتك عن قليل"[٢]، تكون المرأة إحالة للموت، وهو ما صدقه الواقع، حيث تنتهي رواية الحلم بقول الراوي: "ثم مات بعد مدة، فدفن في ذلك الموضع بعينه". في رواية ثانية تظهر عاتكة بنت عبد الله بن يزيد "عريانة ناشرة شعرها"[٣]، وتقص نظما عن عيش لذيذ مضى، يتأول الناس ذلك بزوال بني أمية، وكان الذي تأولوا. وفي رواية أخرى تُرى امرأة من ولد عثمان بن عفان حاسرة، وفي يديها عود، وتغني نظما عن الشباب الذي ولّى، وتأول الناس ذلك بخروج الأمر عن أيديهم، ومقتل مروان.

تأتلف هذه المشاهد مع تأويلات ابن سيرين لتجليات عديدة من ظهور المرأة في المنام، تنتظم دائرة الشر والمصيبة، ومن ذلك أن من رأى جارية عابسة الوجه سمع خبرا سيئا، ومن رأى جارية مهزولة أصابه هم وفقر، وإن رأى جارية عريانة خسر في تجارته وافتضح فيها،

---

[١] ثقافة الوهم، عبد الله الغذامي، ص٤٧. وفي ذات الإطار، وتحت عنوان "سرد المغلق" يرى صلاح صالح أن المرأة العربية تعيش في حالة حجر عامة، وكبت يجعلها تتوارث المغلق فضاء إثر فضاء مما يجعل قدرتها العقلية والنفسية محل تساؤل وشك!!. سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السردية، ص١٤٢.

[٢] الأغاني، الأصفهاني، ج١٨، ص١٨٢.

[٣] المصدر السابق، ج٢١، ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعجوز دنيا، فمن رأى عجوزا عابسة دلّ على ذهاب الجاه، وإن رآها قبيحة تقلبت عليه الأمور، وإن رآها عريانة فهي فضيحة، وإن خرجت من داره زالت عنه دنياه[١].

وفي موضع آخر: العجوز القبيحة، أو الناقصة، وذات العيب المجهولة فهي الدنيا رأس كل فتنة، لأن المرأة –والكلام لابن سيرين– فتنة، وربما دلّت المرأة على الدنيا الذاهبة، والأرض الميتة، والدار الخربة[٢].

تشهد النصوص التي سقناها في حق المرأة بتشكل صورة نسقية سالبة لها، حيث دارت في حلقة من الظهور الاجتماعي الأخلاقي المتردي، لتكون في وعي المتلقي والذاكرة الثقافية امرأة مفرغة من الجوهر، شبقة، وجودها الفاعل منحصر اجتماعيا في ممارسة الجنس والهوى، وتكتمل الصورة بتأكيد مفردات الحمق، وهي مفردات لا تحكيها الحلميات فقط، بل إن هذه المشاهد الحلمية تأتلف في النسق الكبير الذي شكّل صورة المرأة ثقافيا في هذا البعد المتردي، الذي يؤسس في محيط ذكوري ضدية ظاهرة للرجل، الذي يتجلى بإشراق، ولذا يغيَّب عن العقاب وإن كان مشاركا للمرأة في إفراز واقع اجتماعي سالب القيمة والتوجه.

---

١) تفسير الأحلام الكبير، ابن سيرين، ص٨٨.

٢) المصدر السابق، ص٣٨٣–٣٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

➢➢ تكثيف

جلّى الفصل المنامات باعتبارها نصا حامل نسق، مما يفضي لاقتراح عدم براءتها الفكرية، وأنها في كثير منها وُضعت وضعا لتخدم البعد الأيدلوجي الذي تبناه جامعها/ أو واضعها. وتبين بمزيد وضوح أنها أضمرت أنساقا عدة، لعلّ من أهمها:

⌘⌘ النسق الديني، وفيه أكدت المنامات على الإسلام في مقابل إقصاء الآخر بما يحمله من قيم إشراكية، وقد تمثل الآخر هنا: بالمجوس، والنصارى، واليهود، أو بما يحمله من فكر منزاح عن الثقافة الإسلامية السنية، وهنا تحضر الصوفية.

ومما يجدر ذكره أن هذا التأكيد على الفكر الإسلامي لم يكن محصورا في تشكل نوعي واحد، بل امتد على مساحة جلّ الأعمال محل الدراسة الرسمية والشعبية منها على حد سواء.

هذه الفكرة الجليلة أدت إلى إفراز عنوانات بيَّنَتْها، وحاولت تأكيدها، حيث كان حضور شخص الرسول الكريم صاحب الدعوة الشريفة بتشكلات صورية متباينة، ائتلفت مشكلة النموذج الدعوي الأرقى الذي أكّد خيرية الإسلام، وكونه الدين الوحيد الذي يرتضيه الله سبحانه، مقصيا بذلك أي فكر مناهض.

وعضدت الأعمال دعوة الرسول الكريم بدعوة آخرين، قاموا بتثبيت ذات الرؤية، والانتصار لذات الفكر النبوي الداعي للرسالة الخاتمة، وهم على تواتر حضورهم وأهميتهم: سيدنا عيسى عليه السلام، وأولياء وصالحون، ومجهولون وهواتف.

ثم أبرزت التمثيلات الإيمانية بما يقابلها من التمثيلات الإشراكية المحتفلة بالسواد وظلال الخطيئة، إصرارَ الرواة على ترسيمة خاصة، يظهر فيها الإسلام بكل ما يحتفل به، وفي الفضاءين الدنيوي والأخروي، بإشراقٍ ونورانية، ليشير ذلك برمزية شفيفة لصوابية التوجه الإسلامي، مقابل ترسيمة ضدية يظهر فيها الآخر على النقيض، لتكتمل دائرة الرمزية التي تشفّ عن ضلال الآخر، وابتعاده عن الصواب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تمت الإشارة إلى كون صورة الصلب في سيرة ذات الهمة، وهي صورة مركزية احتفل بها العمل كثيرا، من أعمق الرمزيات التي أريد عبرها تأسيس الإقصاء، والسعي الحثيث لإنفاذه وتحقيقه.

⌘⌘ على الصعيد السياسي، أظهرت المنامات انتصارا لفكرتين رئيستين تمثلتا في تناول إشكالية السنة والشيعة، ونقد السلطة.

ومن الطريف أن المنامات وظفت لخدمة السياق الأول ذات الأدوات، وتمددت في ذات الفضاء الدلالي والمكاني، حيث عمد أنصار السنة لتفكيك أدوات الشيعة، بغية إعادة إنتاجها وتوظيفها، وكذا فعل أنصار الشيعة، في عملية تبادلية ليكون قرع الدليل بشبيهه، زيادة في التأثير، وإقناعا للمتلقي، ومن هنا ينطلق تبرير الصور المركزية:

- إذ يتجلى الله سبحانه بالمغفرة لأبي بكر وعمر.. وللإمام علي!.
- ويتجلى الرسول الكريم منتصرا للخليفتين أبي بكر وعمر.. وفي سياقات أخرى للإمام علي.
- ويتجلى الإمام علي ذاته منتصرا تارة للخليفتين، ولذاته الكريمة تارة أخرى.

ولا شكّ أن ذلك يعكس انتقائية واضحة تخدم توجه الجامع للنص أو واضعه، مما يعني أن اقتراح كون المنامات مؤدلجة يتزايد بتواتر، وتتسع دائرة الاعتقاد فيه كلما وقعنا على مزيد نصوص. ويشكل التنوخي المعروف بتشيعه مثالا دالا على الظاهرة، حيث حشد المنامات التي تنتصر للإمام علي، حتى على صعيد تزكية الأخبار، والأسناد المتعلقة بالتشيع.

ثم عرضت لنقد السلطة في منامات عديدة، حيث رفض الرواة أداة القمع والتسلط التي بادأت به القوى الرسمية في تعاملها مع الآخر المعارض، وحاولت المنامات عوض ذلك أن تستبطن أداة أكثر إيجابية، يكون فيها الحوار، والسماح بطرح الرأي والرأي الآخر الأداة الأكثر فاعلية في تسيير الشؤون السياسية! ولذا كثفت ملامح درامية عالية المستوى في توصيف القمع السلطوي، الذي أفضى لاهتراء إنساني مُنع فيه الناس حتى النياحة على موتاهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

⌘⌘ ثم ناقشت المنامات الأسطورة الذاتية التي أراد الشاعر العربي تحقيقها بعد أن انزاح عن فكرة الشاعر القبلي، ورسمت الشاعر في مركزيته أداة للخنق/ الإقصاء والتهميش، وكأن الذات لا تستعلن إلا بتحطيم الآخر. وانفرزت هنا صور: جرير، والفرزدق، وأبو نواس أمثلةً دالةً.

لذا طوَّرت المنامات رفضها لهذه الصورة بآليات عديدة، حيث رسمت فضاءات دلالية انتصرت فيها للشاعر الفكرة، والشاعر الموقف، وكللت هذه الترسيمة بوجود الرسول الكريم الذي أضفى شرعية إضافية على أولئك الشعراء، ولذا يُغفر للفرزدق بتكبيرة، وللكميت بتشيعه لآل النبي، وليس لذاته، وللسيد الحميري كذلك.

⌘⌘ وانساقت المنامات في مواضع عدة لصورة المرأة السالبة المختزنة في الثقافة العربية ذكورية الرؤية والتوجه، التي استطاعت في مرويات عديدة اختزال المرأة بمفردات سالبة، تؤسس كما عرضت لتراتبية اجتماعية يتفوق فيها الرجل دائما. وقد حضرت هنا الصورة الجنسية الشبقية للمرأة، والحمقاء، والشريرة، وهي كذلك صور تستعلن بامتلاك الرجل ضديتها ليظهر أكثر إشراقا وتحضرا، ولذلك لم تتعرض مثل هذه المنامات لعقاب الرجل قدر ما أفاضت فيه بحق المرأة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفَصْـــــلُ الثَّالِـــــثُ

المَنَامَاتُ.. النَّصُّ الثَّقَافِيُّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنامات.. النص الثقافي

لا تنغلق نصوص المنامات على ذاتها، ولا تظهر أحادية الرؤية، فقيرة الأبعاد، بل إنها تنفتح بشكل جليّ على خطابات معرفية متعددة، وتنسجم مع تشكلات نوعية سردية وشعرية متباينة. تدخل نصوص المنامات بذلك في علاقات حميمة مع فضاءات سردية، الأمر الذي يسمح بتولد أبعاد معرفية، ودلالات غنية تثري النص، وتعلي من قيمته الفكرية والفنية على حد سواء. وتحكي بالضرورة عن إمكانات الكاتب الثقافية، وقدرته على التفاعل مع النصوص الأخرى بذكاء، بغية إنتاج نصّ ثقافي معرفي واسع الدلالة، وذلك لا يتأتى "إلا بامتلاء خلفيته النصية بما تراكم قبله من تجارب نصية، وقدرته على تحويل تلك الخلفية إلى تجربة جديدة قابلة لأن تسهم في التراكم النصي القابل للتحويل والاستمرار بشكل دائم"[١]. ويقر كليطو بأنه لا يمكن اعتبار أي نص مغلقا أو مصوغا من كتلة واحدة، إذ ينفتح على نصوص أخرى، ومعرفيات متعددة فيدمجها في بنيته لتمنحه مظهرا مختلفا وشاملا[٢].

وللإشارة لذلك، تنفرز العنوانات الآتية:

❋❋ النص المقدس.. الاستدعاء وتوليد الدلالة[٣]

---

(١) الرواية والتراث السردي، سعيد يقطين، ص١١.

(٢) المقامات: السرد والأنساق الثقافية، عبدالفتاح كيليطو، ص٨. وقد اختزل بول ريكور هذا الانفتاح النصي بقوله: "فليس النص بالشيء المغلق على ذاته". الوجود والزمان والسرد، ص٤٧.

(٣) العلاقة أو العلاقات القائمة بين نص ما والنصوص التي يتضمنها أو (intertextuality) في دلالة التناص يعيد كتابتها، حيث تشي تلك العلاقات بالتوالد، أي: توالد النص من نصوص أخرى، والتداخل، والتعالق. ومجمل آراء النقاد تحيل لكون النص محكوما بالتناص ضمن مفهومي: الاستدعاء والتحويل، وهذا يعني أن النص القديم المستدعى لم يكن يمارس هيمنة وسطوة على النص الحديث، إذ إن الأخير يتحرر من النص القديم بمقدار ارتباطه به، ليمتلك كل منهما خصوصية الفكر والأداء. ويعتبر النقاد أن التناص فرضية منحدرة من الفكر الباختيني، فهو الذي أكد على مسألة نظر النص في النصوص الأخرى ضمن إطار مراجعة الصياغة والتحويل، بغية تركيب الدلالة أي ابتناء دلالات جديدة لم تكن لتتخلق لولا عمليتا الاستدعاء والتحويل. انظر في ذلك:

- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص١١٧.
- المفاهيم معالم: نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح، ص٤٢.
- المتخيل السردي، عبدالله إبراهيم، ص٥٨-٥٩.
- من إشكاليات النقد العربي الجديد، شكري ماضي، ص١٥٩-١٦٠.
- القراءة وتوليد الدلالة، حميد لحميداني، ص٢١.
- فضاء المتخيل : مقاربات في الرواية، حسين خمري، ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن المنامات بما تحمله من إشارات دينية، ومرجعية إسلامية منساقةً بذلك لإطار الثقافة العام الذي تنضوي تحته، استدعت في مرات عديدة النص المقدس: القرآن الكريم، والحديث الشريف، فأكدت بذلك انتماء خطابها للمرجعية الدينية، وسمحت فكريا بتوالد دلالات جديدة للنص المستدعى الذي أدخلته ببراعة في بنية النص الحلمي. المنامات على ضوء ذلك بصدد عملية إعادة إنتاج للنص الذي عزلته من سياقه الأصلي، وأدخلته دون إقحام غير مبرر في بنية نصوصها، ليستعلن بدلالة جديدة تخدم سياق النص الحلمي الجديد.

ولم يكن استدعاؤها للنص الديني واحدا في أداءاته الفنية، بل قدمته للمتلقي بطرق متعددة، تفرز رؤى أسلوبية متنوعة، وإن كانت تحيل في نهاية المطاف لتأكيد الأبعاد الدينية الكامنة في النص المقدس المستدعى. من ذلك أنها تقدم نص القرآن الكريم بإطار علامتي التنصيص، أي تشير إلى قائل النص دون مواربة، وتكشف بذلك الدلالة الدينية المختزنة في الذاكرة الثقافية، لتسقطها على بنية النص الجديد. ولا شكّ أن الاستدعاء الواضح لنص القرآن الكريم أدعى لفهم دلالته، وأقرب في إدراك إيحاءاته، وذلك لأنها تتقاطع كما ذكرت مع تفسير مسبق مختزن في ذاكرة المتلقي.

يُروى أن إبراهيم بن المهدي رأى الإمام عليا في المنام فادّعى عليه عدم أحقيته بالخلافة، وهنا يولّد السياق استدعاء النص القرآني مرتين بآليتين متباينتين، تلتبس في طرح الإمام، وتستعلن بوضوح في طرح المأمون الذي سمع المنام. يرد الإمام قائلا: سلاما! "ما زادني على أن قال سلاما سلاما"[١]. ويظهر إبراهيم هنا بوصفه متلقيا جاهلا كما يسمه بذلك المأمون إثر ادّعائه عدم بلاغة الإمام، الذي لم يزد في الردّ على ادّعاء سياسي خطير على قوله: سلاما!. تستدعي إذن هذه الكلمة أبعادا عديدة يكشفها المأمون، حيث يقرّ بلاغة الإمام العارف بالنص المقدس ودلالاته، وجهلَ المتلقي/ إبراهيم، المنسحب بالضرورة على كل من اعتقد ذات الفكرة في حقّ الإمام! الذي استطاع بتوظيف مفردة قرآنية أن يستعلي بإيمان وفكر على مناوئيه، قال المأمون: "قد والله أجابك أبلغ جواب.. عرّفك أنك جاهل لا يجاوب مثلك. قال الله عز وجلّ: "**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**" "[٢].

---

[١]) الأغاني، الأصفهاني، ج١٠، ص ١٠٢-١٠٣(

[٢]) المصدر السابق، ج١٠، ص١٠٢-١٠٣. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه في النشوار رواية محمد بن هارون عن صاحب كان ينظر في كتاب التشريح لجالينوس، إذ قرأ له هاتف في المنام: "**ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا**"[١]. وقد أفرز الاستدعاء هذا دلالة جديدة للنص القرآني تنبي عن رفض مؤلّف جالينوس، والاعتراض على بنيته الفكرية، الأمر الذي أفضى بصاحب المنام إلى تمزيق الكتاب.

وفي المنامات يوظف الراوي آية كريمة بشكل صريح، فإذ تستعظم الملائكة حساب كمال الدين الشهرزوري، يرد الله سبحانه عليها: "**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**"[٢]. والتوظيف هنا مركب الدلالة حيث خدم السياق الذي عرض الحساب في فضاء القيامة، وأشار إلى منتج عارف/ الوهراني بالنص المقدس وتداعياته، مما سمح بتوظيفه في هذا السياق.

في ذات الإطار تؤكد الأميرة ذات الهمة على نص الحديث الشريف: "من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي" في مواضع عديدة جدا، أذكر منها استدعاء الأمير عبد الوهاب للنص وهو يوصي بألا يقتل عقبة إلا صلبا: "حتى يصحّ المنام عن النبي –صلى الله عليه وسلم– لأنه قال: "من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي"[٣]. وعلى لسان مانع وعقبة يتهدده: "يا شيخ اصنع ما شئت، فوالله لا كفرت بالرحمن ونسيت قول خير الخلق ومجيئه إليّ في المنام، وقد قال –عليه أفضل الصلاة والسلام–: "من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي"[٤]. وفي تحوير نصي طفيف، يؤكد منام الصلب، والدعوة لتخفيف عذاب عقبة حتى لا يموت فلا يصحّ المنام: "ابطحوه واضربوه، ولا تزيدوا عليه تقتلوه؛ لأن الرسول الصادق الأمين قال: "من رآني فقد رآني حقا لأن الشياطين لا تتمثل بي"[٥]. وفي موضع آخر

---

[١] النشوار، ج٣، ص١٠. والآية الكريمة من سورة الكهف، رقم٥١.

[٢] المنامات، الوهراني، ص٢٨. والآية الكريمة من سورة لقمان، رقم ٢٨.

[٣] الأميرة ذات الهمة، مج٣، ص٥٠١.

[٤] الأميرة ذات الهمة، مج٦، ص٢٧.

[٥] المصدر السابق، مج٧، ص١١٤. ورد الحديث الشريف بألفاظ عدة: "**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي**"، البخاري ج٩، ص٤٢، ومسلم ورقمه ١٧٧٥، وسنن أبي داوود ورقمه ٥٠٢٣. وبلفظ: "من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتخيل بي"، وبآخر "فإن الشيطان لا يتشبه بي"، و "فإن الشيطان لا يتمثل بي"، انظر الشمائل ص٢١٨–٢٢٠، بحسب موسوعة أطراف الحديث، محمد السعيد زغلول.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يغيَّب النص، وتكتفي الرواية بالإشارة: "فلا بدّ لي من صلبه على باب الذهب، فإن المصطفى صادق لا يكذب"[١].

تنفرد سيرة الأميرة بالتأكيد على نص حديث شريف بذاته في سياقات متعددة، ممتدة على أجزاء واسعة، إلا أن النظرة الكلية للعمل تجلّي السبب بينا: فقد عرضت لدى الحديث عن الخطاب الديني، تشكُّل شخص الرسول الكريم فاعلا سرديا هاما، لا تتم بنية العمل الفكرية والفنية دونه، وإذ ذا كانت منامات ونبوءات، وتحفيزات سردية عديدة مؤسسة من قِبل الرسول الكريم، أطَّرها الراوي بإطار الشرعية الدينية الصادقة كونها تنضوي لرؤية منامية تصحّ يقينا، لإخبار الرسول الكريم بكون الشيطان لا يتمثل به، فخلق بذلك سردا متحققا بالضرورة، ولم يكن بتحققه صادما للمتلقي الذي أدرك احترام السيرة أدبيات المنام، حيث جعلت كلّ منام يتجلى فيه الرسول متنبئا متحققا، انسياقا مع الحديث المذكور.

من جانب آخر، كادت هذه الاستدعاءات تتوحد في عقبة ومنام صلبه، وغايَرَ استدعاء واحد هذا السياق، وهو الذي جاء على لسان مانع كما عرضت له، وقد لعب هذا المنام والتأكيد عليه نصيا دفعا للأحداث، وحيلا عديدة تترسم تعاضد أبطال العمل، لتتوحد آلية قتل عقبة في الصلب على باب الذهب فحسب، الأمر الذي أفضى إلى نجاته في مواضع كثيرة، واستبعاد المتلقي أي إيحاء بموت عقبة يغاير صلبه. وفي المقابل طوّرت معرفة عقبة بالحديث الشريف أداة دفاعية خطيرة، وظفها بذكاء ليدفع قتله بشكل يخالف ما خبر به الرسول الكريم، الأمر الذي أدى إلى مدّ عمره، ومدّ حيله على امتداد زماني مكاني واسع، حتى تحقق الصلب في الجزء الأخير، ممثلا كما عرضت لذلك صلب الآخر بقيمه الإشراكية، ومؤكدا على ضرورة انتصار الإسلام أخيرا.

في آلية أخرى، تعمد المنامات إلى تناصّ يذيب أية علامة تحجز بين النص الحلمي والمستدعى، ليأتلفا في نسيج واحد، دون إيحاء شكلي بتوظيف نص خارجي، وهنا يكون الاتكاء على ثقافة المتلقي التي ستكون المسؤولة الوحيدة في فرز النصوص المستدعاة والتقاطها.

---

[١] المصدر السابق، مج٤، ص٤٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُرى عمر بن عبد العزيز في المنام، في روضة خضراء، وأنهار تحيل إلى فضاء الجنة، ودلالة المغفرة، فأقبل على مسلمة بن عبد الملك/ صاحب المنام قائلا: "يا مسلمة، لمثل هذا فليعمل العاملون"[١]. والإحالة هنا للآية الكريمة: " **لمثل هذا فليعمل العاملون** "، وتكشف المقايسة عدم تحوير النص الذي بدا وكأنه لعمر بن عبد العزيز!.

ومن ذلك جواب النبي الكريم لعبد الوهاب الذي سأل عن زمانية صلب عقبة: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه"[٢]، والسياق يعرض الجواب وكأنه للنبي الكريم، وليس استدعاء للآية الكريمة: "**أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ". ومنه كذلك قول الهاتف للمطرون الذي كان يمايز بين الكتب السماوية: "وإن القرآن هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.." [٣]، الذي استدعى قوله تعالى: "**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**"[٤].

في المقابل، تمت استدعاءات عمدت إلى شيء من التحوير، ولكنها أبقت سياقا يعرّف بمرجعيته لسياق نصي آخر، من ذلك ما قاله الوهراني بعد أن أيس من حسنات له على ابن النقاش تساوي عشرة دنانير: "فلم يبق إذا إلا أن أحط من سيئاتي على سيئاته بقيمة عشرة دنانير"[٥]، وهو منطق ينسجم مع المنطق النبوي الكريم الذي أسَّس لركائز الحساب في فضاء القيامة، حيث العدالة الإلهية المطلقة، فهو يقول: "أتدرون ما المفلس؟ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة وقد شتم هذا، وضرب هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناتهم، طرح من سيئاتهم عليهم ثم طرحوا في النار"[٦].

---

[١] الأغاني، الأصفهاني، ج٩، ص١٩٦. والآية من سورة الصافات، رقم٦١.

[٢] الأميرة ذات الهمة، مج٥، ص٢٥٧. والآية الكريمة من سورة النحل، رقم١.

[٣] المصدر السابق، مج٥، ص٥٦٧.

[٤] سورة فصلت، رقم الآية ٤٢.

[٥] المنامات، الوهراني، ص٣٩-٤٠.

[٦] انظره في صحيح مسلم البر والصلة، رقم ٩٥، وسنن الترمذي ٢٤١٨، والسلسلة الصحيحة للألباني ص٨٤٧، بحسب موسوعة أطراف الحديث، محمد سعيد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه ما ورد على لسان عيسى –عليه السلام– وهو يرد تهمة الألوهية وادّعاء النصارى: "ويلك كفرت بالواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد"[١]، وهو اتكاء على قوله تعالى في تقرير الوحدانية في سورة الصمد: "قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفوا أحد". ومنه قول الملكة زنانير بعد رؤية النبي –عليه الصلاة والسلام– ووهبه إياها الدرة: "وقد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا"، وهو استدعاء جميل للدعاء الكريم الوارد بلفظه[٢].

في سيرة أحمد بن طولون يمثل الراوي حديث الرسول الكريم: "ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح" تمثيلا جميلا، إذ يشخص الجهاد والصدقات في امرأتين تذودان النار عن أحمد بن طولون[٣]، ويتضح هنا كذلك تشكّل النص علامة دالة على سيرة كريمة تُدخلنا في إطار الترجمة لهذه الشخصية الذي جمع راويها دلائل عديدة تثبت خيريته، وانتماءه الحقيقي لمعاني الإسلام، الأمر الذي أفضى إلى تصوير جزائه الكريم في القيامة.

وتعرض السيرة تطويرا جميلا في عرض التناص يكمن في المماهاة بين النص السردي والشعري، حيث عُرض حديث الرسول الكريم:

ممثلا بقول الشاعر:

متى كنتَ في الأحلامِ للهِ صادقا فتصدقُ رؤياكَ إذ وضحَ الصّبحُ [٤]

❋❋ الإسناد والخبر

---

[١] الأميرة ذات الهمة، مج٣، ص٥٠٣.

[٢] انظره في إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٥: ١٩، ومجمع الزوائد للهيثمي ١٠: ١١٦، وتحت عنوان عمل اليوم والليلة لابن السني، ٦٦، و٩٥.

[٣] أحمد بن طولون، البلوي، ص٣٥٢–٣٥٣.

[٤] المصدر السابق، ص١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتقدم المنامات المنتمية لكتب تاريخ الأدب والتراجم أسناد، تتغيا إثبات النص، والإشارة لصحة المتن. وتأكيد السند في هذه المؤلفات منهجية علمية لا تختص بالنصوص التي تحتوي مشهدا حلميا، بل تنسحب على جلّ الأخبار الواردة فيها، معتبرة بذلك آلية التأليف في كتب تواريخ الأدب والتراجم.

ويسوق رواة هذه الأخبار أفعالا متعددة تنبي عن بداية القص، مثل: "حدثني، وأخبرنا، وأنبأنا.. " مدعومة بما من شأنه أن يقوي رواية الخبر، ويوحي بصوابيته[١]، ومن ذلك إحقاق صفات إيجابية للراوي تؤهل لقبول روايته، مذكرة بذلك بعلمي الجرح والتعديل اللذين اتكأ عليهما علماء الحديث لتأسيس قبول رواية الراوي أو ردّها. يروي ابن إسحاق منام عاتكة بنت عبدالمطلب في وقعة بدر، مقدما: "وحدثني من لا أتهم عن عكرمة.." [٢]، وفي رواية حلم جميلة عندما قررت اعتزال الغناء، رُوي: "أخبرني من يفهم الغناء، قال.." [٣].

ويعمد التنوخي لذات الآلية، وإن اتكأ على سياق مدحي للراوي أشد وأبين، فإذ ينقل حلم طاهر العلوي بالرسول الكريم، يجعل لأبي القاسم علي بن الأخزر الراوي فضلا كبيرا، فهو "المشهور بعلم النحو، وكان نبيلا، جليلا، ثقة، مرتفعا عن الكذب، قال.." [٤]. ولدى قصِّه المنام المدعى الذي اتخذه الحلاج أداة للتضليل الفكري الديني، يجعل التنوخي الرواية عن "غير واحد من الثقات من أصحابنا"[٥]. ولا شكّ أن انتقاء السند والانتصار لثقاته في مثل هذه الرواية تعكس موقف التنوخي ذاته، الذي حشد في مواضع عدة من نشواره حكايات ترفض الفكر الصوفي وتناهضه.

---

١) ترى مي أحمد في تحليلها لحكاية سابور بن هرمز وقيصر الروم، أن الراوي حتى وإن كان مجهولا فإنه يوهم بواقعية ما يُحكى وجديته، حيث حيث استلزم الأمر وجود رواة يتناقلون أخبارا وحكايات من الضرورة بمكان أن تُروى وتتناقلها الأجيال. الحكائية ودلالة السرد في كتاب سلوان المطاع، دراسات، ملحق كانون١، ١٩٩٩، ص٨٧٦.

٢) الأغاني، الأصفهاني، ج٤، ص١٢٧.

٣) المصدر السابق، ج٨، ص١٦٠.

٤) النشوار، التنوخي، ج٢، ص٢٨٦.

٥) المصدر السابق، ج٦، ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي موضع آخر يطوّر صفات متوالية لراوي حلم يظهر فيه الإمام علي -كرم الله وجهه-، وهو كذلك تطوير مقصود فيه انتقائية بيّنة تنساق مع تشيّع التنوخي، واعتنائه برسم صورة إشراقية للإمام، ولعلّ من تمام ذلك الإيحاء للمتلقي بصوابية المتن الحلمي؛ لخلوّ سنده من رجال عُرف عنهم التكذيب والتدليس. في سياق السند، قال: "حدثني أبو الحسن قال: حدثني أبو زكريا بن سعيد السوسي المعروف بخلف، ومحله في اليسار، والجلالة، والمكنة من السلطان، والاشتهار بالدين، والثقة، والصدق، والأمانة، وصحة الرأي مشهور.." [١].

بذات المنطق، ينقل البلوي سندا يشهد له بالصلاح، الأمر الذي سيفضي لتقرير صلاح المنام المُشاهَد، الشاهِد بخيرية أحمد بن طولون، الذي رسم له المنام ظهورا في فضاء القيامة، وقد غُفر له وتنعم، وهو مشهد سيتكرر كثيرا لدى الحديث عن رجال مترجَم لهم. قال: "حدثنا محمد بن الحسن اليماني، وكان من الصالحين، شديد التقشف، وقد جرى ذكر أحمد بن طولون بعد وفاته.." [٢]. ويتقاطع معه صلاح راوٍ آخر وهو العبَّاداني، الذي رأى ابن طولون في منامه كذلك، وقد أُقرت له مغفرة الله بعينٍ بناها، ظهر العباداني في سياق السند: "وهو من أهل التعبد، والزهد، والورع.." [٣]. وكذا أحمد بن دعيم الذي حدَّث برؤية أحمد بن طولون وقد غُفر له: "وحدث أحمد بن دعيم وكان من قواد أحمد بن طولون، وترك الديوان، وحسنت طريقته في الخير، قال.." [٤].

ومن آليات تقوية الخبر المدعوم بالسند، أن يعمد الراوي لطرح مشهد حلمي يتقاطع في بنيته الفكرية مع مشهد حلمي سابق، ويؤسَّس لكليهما بسند، ومن ذلك المشهدان الحلميان المرويان عن إبراهيم بن المهدي، حيث رأى الإمام علي بن أبي طالب، وحاوره في إكثار الناس الحديث عنه وعن الخليفتين أبي بكر وعمر في الحلم الأول، الذي رواه أحمد بن الربيع نقلا عن رواة آخرين مذكورين، وإذ ينتهي قصّ الحلم، يأتي الأصفهاني برواية أخرى تشفّ عن ذات الفضاء الدلالي.. حيث يقول: "وأخبرني الكوكبي بهذا الخبر، عن الفضل بن الربيع

---

١) النشوار، التنوخي، ج٨، ص١٠٨.

٢) أحمد بن طولون، البلوي، ص٣٥٢.

٣) المصدر السابق، ص٣٥٣.

٤) المصدر السابق، ص٣٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أبيه..." ويذكر المشهد الحلمي الثاني، وفيه حوار إبراهيم للإمام عن أحقية الإمرة والخلافة[١].

وتقترب منه رواية ميمون بن هارون لرؤية علية بنت المهدي والسؤال عن أغانيها، يحكي الأصفهاني دعما للرواية: "وقد أخبرني بنحو هذا الخبر عبدالله بن الربيع الربيعي.." [٢]، ومثله أسناد ثلاثة بأخبار متقاربة، يُرى فيها الرسول الكريم يستعلن بانتصاره للكميت، ويشهد بمغفرة الله له[٣]، ومثله روايتان حلميتان عن زوال بني أمية، تُرى في الأولى عاتكة بنت عبدالله بن يزيد وهي تنشد شعرا ينبي بالزوال، والمنام من رواية الحرمي عن الزبير عن محمد بن محمد العمري، ويدعمه الأصفهاني بالرواية الثانية، ويجعل عبارة: "أخبرني بهذا الخبر..." صلة بينهما، وفي المشهد الثاني يغيب اسم عاتكة لتكون المرأة التي تنبأت بزوال بني أمية امرأة من ولد عثمان بن عفان، تُرى على دار عثمان وهي تنشد ذات السياق الشعري الحاكي بالزوال، والرواية هنا للحسن بن علي.. [٤].

في المقابل، قد تتكرر رواية الحلم بذات البنية السياقية، مع اختلاف في السند، ومنه ما رُوي عن سبب عمى المؤمل، فتجمع الروايات أنه عمي تحقيقا لأمنية ضمنها بيته الشعري

شفَّ المؤمّلَ يومَ الحيرةِ النّظرُ ليتَ المؤمّلَ لم يُخلقْ له بصرُ

فأتاه آتٍ في المنام وأدخل إصبعيه في عينيه فعمي!. وقد روى الحكاية الحسن بن علي في السند الأول، وحبيب بن نصر في سند آخر[٥].

كما يشهد لموثوقية السند، وصحة إخباره، ما يشير إليه الراوي من التحقيب الزمني، الذي يؤكد تمدد النص في فضاء حقيقي، ومن ذلك ما رواه التنوخي عن عضد الدولة والحلم الذي تنبأ بمجريات حياته تامة، فتحت عنوان "عضد الدولة وإيمانه بالمنامات"، ينقل حديث

---

(١) الأغاني، الأصفهاني، ج١٠، ص١٠٢.

(٢) الأغاني، ج١٠، ص١٣٨.

(٣) المصدر السابق، ج١٧، ص٢٣-٢٤.

(٤) المصدر السابق، ج٢١، ص٨٤.

(٥) المصدر السابق، ج٢٢، ص١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عضد الدولة الذي جرى عام ٣٧٠هـ[١]، والمنام فضاء مشحون بقصّ متنبئ يستبصر الغيب، ويقع كله، الأمر الذي يجعل تلقي المتلقي له محفوفا بشيء من الشك والتوجس، ولذا يجيء السند، مؤطرا ببعد زماني حقيقي، يوقّع لمصداقية تُستثار في ذات القارئ. ومثله ما ورد في حديث العلوية الزمنة التي روى لها التنوخي روايتين، تحكي الأولى عن آخر معرفة المؤلف بها عام ٣٧٣هـ، والثانية أنه رآها سنة سبع وسبعين وثلاثمئة، وهو عند أبي الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم. بل إنه يسألها في نهاية اللقاء/ فضاء مكاني حقيقي مدعوم بتحقيب زمني واقعي، عن نسبها فتسرده، ولا يُصدم القارئ عندما يدرك امتداد نسبها للإمام علي بن أبي طالب: "أنا فاطمة بنت علي بن الحسن بن القاسم بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب"![٢]. إذ إن توجه التنوخي المتشيع يتمظهر في انتقاءاته وتخيراته للأخبار المنامية التي يسردها، وقد عرضت لذلك في مواضع عديدة.

ويقترب من ذلك روايته لحلم ابن بنت يزيد بن هارون، الذي رأى فيه جده يزيد وقد عاتبه الله سبحانه في موالاته لمن يبغض الإمام علي بن أبي طالب. وقد نقل رواية السند إملاءً في سنة ثمان وثلاثمئة[٣].

يشف المقال عن اعتناء مجلدات تاريخ الأدب بالسند، الذي دعمته بآليات متعددة، يُراد منها إثبات صوابية المتن بتحقق مصداقية الرواة، ولا شكّ أن هذه المنهجية العلمية لم تكن بريئةً في سياق تناولها للأحلام، بل لقد تغيَّت أبعادا أخرى لعل من أهمها الإيحاء بواقعية المنام الذي ينتمي للنوع العجائبي، ففضاؤه مشحون بالعجيب، والتنبؤ بما قد يضطر المحقق العالم لرفض الرواية والتشكيك فيها. كما أن هذه الأسناد بما احتفل بعضها من صفات إيجابية موقَّع له بشكل انتقائي، استطاعت أن تخدم توجه المؤلف الديني والفكري، وقد بيّنا مثالا لذلك الأسناد التي تخيرها التنوخي، وأحاطها بهالة من الثقة والصوابية السامية، لتحكي رفضه هو للتوجه الصوفي من جانب، والمناوئ للتشيع من جانب آخر.

---

[١]) النشوار، التنوخي، ج٤، ص١١٨.(

[٢]) النشوار، التنوخي، ج٤، ص١٦١-١٦٢. (

[٣]) المصدر السابق، ج٨، ص١٠٩. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذ علمنا أن نصوصا عديدة للمنامات قد اضطلعت بمهمة الترجمة لرجالات عديدين، وهو ما سأشير إليه في نقطة لاحقة من هذا الفصل، كان السند ضروريا في إثبات صحة المروي عن أولئك الرجال وأخبارهم. ويلحظ في هذا السياق عناية الأصفهاني بالسند من حيث الرواية لا التحقيق بشكل أبين من صاحبيه ابن عبد ربه والتنوخي، اللذين قد يغيبان بعض الأسناد في بعض الروايات الحلمية، ولعل ذلك عائد إلى ثقافته التي اهتمت بالخبر وإسناده في مؤلفات عديدة مشهورة عنه، ذكر منها أحمد بو حسن في هامش تعليقه على عناية الأصفهاني بالخبر، الذي يشكل القطب الثالث في كتابه إلى جانب قطبي اللحن والشعر: الأخبار والنوادر، وأخبار الطفيليين، ومجموع الآثار والأخبار، وأيام العرب، نقلا عن الفهرست، وهو أمر يشفّ عن دراية حقيقية بفن الخبر، وتقنية عرضه وتقديمه[١].

❋❋ الترجمة

نهضت منامات بوصفها علامات دالة في سياق الترجمة للشخوص، إذ ساهمت في إكمال بنية المشهد السيري المقترح للمترجَم له، منسجمةً بذلك مع رؤية المؤلف/ الجامع لأخبار السيرة، وكأنها بذلك تؤسس دليلا وبرهانا على صوابية ما يُقال في حق المترجَم له، الأمر الذي يطرح التساؤل جليا عمَّا إذا كانت نصوص المنامات هذه موضوعة لتخدم الأيدلوجية التي رسمت صورة الترجمة بأبعادها العامة؟! فالنصوص الحلمية شاركت في تخليق صورة فكرية ودينية وسياسية، ولم تقبع في إطار التوليد النصي العجائبي المجرد، ولعل الحديث عن الأنساق المضمرة في هذه النصيات كما عرضت له في فصل سابق، يسلط الضوء على عدم براءة الأحلام من كونها سياقات موجِّهة لرؤية انتقائية يصنعها المؤلف.

في هذا الصدد يقرّ كليطو أن كلّ ترجمة ذاتية مبنية على انتقاء بالضرورة، وأن مسألة اختيار أخبار الترجمة/ وهنا الأحلام، محكومة بدوافع شخصية، وثقافية، ونوعية! [٢]. وقد

---

[١]) العرب وتاريخ الأدب، نموذج كتاب الأغاني، أحمد بو حسن، ص٨٨-٨٩.

[٢]) الحكاية والتأويل.. دراسة في السرد العربي، عبد الفتاح كليطو، ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكدت دوغلاس على هذه الانتقائية، عندما قررت كون "الحلم بأكمله يخضع للمؤثرات الثقافية، والثقافة الإسلامية ليست بالثقافة المستثناة من هذا"[١].

سأحيل مذكرة إلى الشخصيتين الكبريين اللتين تواتر ذكرهما في المنامات، وكانتا مجالا خصبا لحشد الرؤى المجتمعية عنها، حيث تقاطعت مع النصوص التي اعتنت بالترجمة لهـا.. الحديث عن شخص الرسول الكريم، وشخص الإمام علي بن أبـي طالـب، اللـذين جـسدت نصوص المنامات صفات عديدة لهما، وحكت عن مواقف مختلفة، تحمل ظلال الصورة التـي تركتها التراجم لهما. وإذ عرضت لهما بشيء من التفصيل، سأكتفي بمجرد الإشارة لضرورة العودة للنصوص التي جلّت صفاتهما، ورسمت أبعادهما لدى الحديث عن النسق الديني والبعد السياسي اللذين أكدت عليهما منامات عديدة في مواضع ومؤلفات متباينة[٢].

والحديث عن شخوص حلمية كبرى، لا يحدّ من قدرة المنامات علـى توليـد صـفات لشخوص آخرين ورد ذكرهم في سياقات أخر، لتكون المنامات بمثابة الـنص الـذي يتـرجم للشخوص من حيث السمات الشخصية، وذكر الحوادث التي مروا بها لتتخـذ منهـا موقفـا، وتفسره من زاويتها المستعلنة برؤية المؤلف/ الجامع، كما اضطلعت بعض النصوص بتعليـل ظواهر أدبية وإن بدت مغايرة للوجهة العقلانية في ذلك التفسير.

من المنامات التي سيقت لتُحسن ترجمة الشخوص المنام الذي رأته أم عضد الدولة وهي حامل به، حيث بشرها الإمام علي بأنها ستلد "ذكرا، سويا، نجيبا، ذكيا، عاقلا، فاضلا، جليـل القدر، سائر الذكر، عظيم الصولة، شديد السطوة، يملك بـلاد فـارس، وكرمـان، والبحـر، وعُمان، والعراق، والجزيرة إلى حلب، ويسوس الناس كافة، ويقودهم إلى طاعتـه بالرغبـة والرهبة، ويجمع الأعمال الكثيرة، ويقهر الأعداء..." [٣]. ومما يشهد بصلاحية كـون المنـام

---

[١]) بناء النص التراثي، فدوى دوغلاس، ص١٥٥.

[٢]) من ذلك أن صورة الرسول الكريم تجلت بأبعاد مختلفة رافقت كما ذكرت إرهاصات النبوة، ثـم حكـت بشيء من التفصيل عن دوره الدعوي، لقد ظهر الرسول الكريم في نصوص المنامات مبشرا بـه، وداعيـا، وشافيا، وقاضيا الحوائج، وهي بذلك تتماهى مع دوائر عريضة أرّخت لها السير الرسمية.. انظـر الفـصل الثاني من هذا البحث.

[٣]) النشوار، التنوخي، ج٤، ص١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نصا سيريا، قول عضد الدولة ذاته: "وكلما ذكرت هذا المنام، وتأملت أمري، وجدته موافقا له حرفا بحرف.."[٢].

ويولد النص مناما آخر إثر اعتلال عضد الدولة، يحمل ذات الفضاء الدلالي، حيث يظهر الإمام علي مذكرا بمعالم المنام الأول الذي تنبَّأ فيه عن أحوال عضد الدولة وهو لما يزل جنينا، ليحمل المنام بذلك علامتين دالتين: الأولى في حق عضد الدولة وسيرته التاريخية، التي تحققت كما أشار المنام، والثانية في حق الإمام علي، لترتسم صورته صادقا مستبصرا، قال لأبي حسين الصوفي الذي بدا وجلا لحال عضد الدولة: "امضِ إليه غدا، وقل له: أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذي رأته وهي حامل بك؟. ألم أخبرها مدة عمرك، وأنك ستعتل إذا بلغت كذا وكذا سنة، علة ييأس فيها منها أهلك، وطبك، ثم تبرأ منها؟ وفي غد يبتدئ برؤك، ويتزايد إلى أن تركب وتعود إلى عاداتك كلها في كذا وكذا يوما، ولا قاطع على أجلك إلى الوقت الذي أخبرتك به أمك عني..."! [١]. وقد تعمدت إيراد النص تاما؛ لما يحمله من مفردات تنم عن آلية الترجمة، بل وتعرض بدقة تفاصيل حياتية تحتضنها مؤلفات السير والتراجم عادة.

في أحيان أخرى تعمد المنامات لتفكيك الصورة الكلية كما بدت في حلم أم عضد الدولة، وتشظيها إلى منامات جزئية تغطي سياقات زمنية متباعدة، من ذلك ما أورده الأصفهاني في حق جرير، فقد تمثل الحلم الأول، وسأرتبه هنا بحسب المنطق الزمني للحدث لا الترتيب الذي اختاره المؤلف في مصنفه، بنبوءة الميلاد: تظهر أم جرير وكأنها تلد حبلا من شعر أسود، يخنق رجالا عديدين، ليكون التأويل ميلاد الشاعر الهجَّاء[٢]، وترافق المنامات حياة الشاعر، وتصوره منشدا الشعر، بل ومورثا إياه في دلالة بينة على اعتبارية مكانته الشعرية: ورد عن إسحاق الموصلي: "رأيت في منامي كأن جريرا جالس ينشد شعره، وأنا أسمع منه، فلما فرغ أخذ بيده كبة شعر فألقاها في فمي، فابتلعتها، فأوَّل ذلك بعض من ذكرته له أنه ورثني الشعر"[٣]. وأخيرا تمدّ المنامات بُعد الترجمة لفضاء القيامة، حيث يظهر جرير معلقا مقابل

---

[١] الأغاني، الأصفهاني، ج٤، ص١٢١.

[٢] المصدر السابق، ج٨، ص٣٦.

[٣] المصدر السابق، ج٥، ص٧٧. وورد ذكره في النشوار، ج٦، ص٣٠-٣١، وفي ذيل الأمالي، للقالي، ص٦٥٤-٦٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرزدق الذي يبدو بخير، ولا شكّ أن ذلك يحمل إشارة تحيل للفضاء الدنيوي الذي لم يعتنق فيه جرير الإسلام، ولذا شكله الراوي المعتقد بالثقافة الإسلامية معلقا لم يقضَ في أمره بخير[١].

ومن طريف ما طرحته المنامات، تعليلها لبعض الظواهر الكامنة في حياة المترجم لهم، وإن بدا التعليل غير منسجم مع الأداة العقلية التحليلية، فالمؤمل كما ذكرنا سابقا يصاب بالعمى لبيت تمنى فيه أنه لم يُخلق له بصر، فأتاه آت ووضع إصبعيه في عينيه فعمي!! وأما أبو نواس فشاعر صادمٌ لثقافة المجتمع وأعرافه، لعهدٍ قطعه إبليس على نفسه بأن يفتن به الثقلين، ويغري به أهل المشرق والمغرب، ويعلل لذلك بعقدة الذنب التي تَقَرَّر أن يسقطها على الآخرين، وهنا على أبي نواس: "عصيت ربي في سجدة فأهلكني، ولو أمرني أن أسجد له ألفا لسجدت"[٢].

وقد تتجلى مفردات الترجمة كما يظهرها المشهد الحلمي في كتب التراجم ذاتها، وسأتخذ نموذجا لذلك سيرة أحمد بن طولون، حيث تشكلت الأحلام أداة دالة على السياق النصي الذي يكشف حيثيات حياته، فكأن المنام يُساق ليكون شاهدا دالا على البعد المذكور في ثنايا المؤلَّف، فإذ يحكي النص بعدَ النظر وحسن القياس: "اعلم أنه إذا كان العقل صحيحا قلّ ما يخطئ، وإلا فما منزلتي منزلة من يوحى إليه، ولكني أزكن وأستدل، فقلَّ ما أخطئ!" [٣]. يأتي المنام ليؤكد الصفة المذكورة، ويوضح ذلك كشف ابن طولون خبر جاسوس بمنام أحسن تأويله: "رأيت البارحة في النوم هذا الشخص بعينه، وكأنه يروم الدخول إليّ فيمنع من ذلك، فكأنه يتسلق إلى طاق في مجلسي ليرى ما أعمل، فكانت عبارة هذه الرؤيا تدل على أنه صاحب خبر لتسلقه عليّ، وتجسسه، وكان ما قدرته"[٤].

في موضع لاحق تشف المنامات عن قدرة ابن طولون إحكام السيطرة على مناوئيه، وإخضاعهم لحكمه ومشيئته، فإذ يهرب منه رجلٌ أطلعه ابن طولون على كثير من أسراره،

---

١) الأغاني، الأصفهاني، ج٢١، ص٢٧٤.

٢) الأغاني، الأصفهاني، ج١٨، ص٧٧.

٣) أحمد بن طولون، البلوي، ص١٢٥.

٤) المصدر السابق، ص١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعينه المنام على القبض عليه، حيث يرى قبرا حُفر واستخرج منه ثعبانا.. يصدق المنام لاحقا عندما يرى ابن طولون جنازة امرأة يتبعها نحوٌ من عشرة أنفس، فيستريب بها، ويكشف عنها، ليجد الجنازةَ الرجلَ الهارب فيقبض عليه[١].

ثم تسرد منامات عديدة حال ابن طولون يوم القيامة، وهي بذلك تعكس رؤيتين: فأما الأولى فرغبة الراوي بتحقيق هذا المآل للمترجَم له، وأما الثانية فرؤية تتضح فيها الإحالة لأحوال الدنيا، وسياقات حوادثها، تجعل المنامات ابن طولون مغفورا له، وهذا كما قلت يجلّي رغبة الراوي الحالم بهذا المآل، ثم تفسر السبب في إحالة ذكية تستعرض منجزات ابن طولون التي جعلته مستأهلا لهذا المآل، حيث تحجز عنه امرأتان النار، تستعلن الأولى بكونها أم الجهاد بطرسوس، والثانية بكونها الصدقات!. وفي منام آخر يؤكد صدقات ابن طولون، يومئ بذاته إلى عينٍ بناها، ويخبر بكونها من حجزته عن أكل النار إياه!. وتتظاهر منامات عدة بتبرئة ساحة ابن طولون من الظلم والتعدي، يقول صراحة عندما سُئل: بم غفر له؟ كنت عقوبة بعثها الله على من أسأت إليه، وإنما البلاء ظلم من لا ذنب له ولا ناصر!. بل تطور المنامات تبرئة الساحة على يد الرسول الكريم لتضيف إليه شرعية معتبرة، يحكي المنام أن رجلا تعلق بأحمد واستعان عليه بالرسول الكريم، وهو ينادي: يا رسول الله! أعني على ابن طولون، فقد قتلني، واصطفى مالي، واستباح أهلي وولدي، ليردّ عليه الرسول: يا سيما! كذبت. ما قتلك أحمد بن طولون، قتلك عجيج سهل التاجر[٢].

وتعكس المنامات الأخيرة لابن طولون احتفال هذه النصوص بفضاء القيامة، الذي يصف أحوال المترجَم لهم، ويظهر حسن طويتهم أو ضديتها، ويبرر لها، وستكون الإحالة هنا إلى المنام الكبير للوهراني الذي شرَّح فيه أحوال رجالات الدولة، واستعرض آراءه في قضايا دينية كالصوفية، وبعض من القوامين عليها، وقضايا سياسية كالفتن التي اشتعلت في صفوف المسلمين.

إن الوهراني يستغلّ كون القيامة فضاء كبيرا صالحا للحساب وكشف الحقائق، ليعري المجتمع ويفضح سقطاته، متوسلا لذلك باستعراض عدد كبير من رجالات الدولة، حيث يترجم

---

[١]) المصدر السابق، ص١٢٩.

[٢]) انظر المنامات عموما: أحمد بن طولون، البلوي، ص٣٥٢-٣٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهم، وينكر عليهم: فالحافظ العليمي يقتني الغلمان، وهو متَّهم أخلاقيا، وينوء كمال الدين بن الشهرزوري بمعاصٍ عظيمة شقّ على الملائكة الإلمام بها وحصرها، ويظهر المؤيد بن العميد جاهلا بصناعة الكتابة، ظاهر التكلف، ناقص الأداة، ويستظهر على هذا الرأي برأي طلائع بن رزيك فيه الذي قال عنه: إنه رجل مهين، جاهل، توصل للدولة بلعب البنات، وزخارف الصبيان، ويظهر طلائع ذاته في موضع آخر سخيف العقل، سكيرا من خمر الولاية.. وهكذا[١]. لقد استطاع الوهراني أن يوسِّع دائرة نقده لأدوات السلطة، عبر تشريح دقيق ساخر لمواقف عديدة، تنمّ عن تشكيل سطور بيِّنة لهم في صفحات تراجمهم وسيرهم، مما يعني أن نصّ المنام يسهم بالضرورة في نص السيرة وبنائه.

وفي فضاءات القيامة تتولد المغفرة غالبا، التي تقترن بما يبررها، مما يكون صالحا لإثبات سيرة زكية للمترجم له، آلت به للمغفرة والرحمة، يُغفر ليزيد الذي طمأنه منكر ونكير بأن ينام نومة العروس فلا بؤسى عليه، بعد أن سألاه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأجاب: إلي يقال هذا؟ وأنا أعلمه الناس منذ ثمانين سنة؟[٢].

ويُغفر للفرزدق بتكبيرة كبّرها في مقبرة تارة، وبالشهادة الإسلامية تارة أخرى، وبإخلاصه يوم الحسن ثالثة[٣]. ويُغفر للكميت بأبيات شعر يستعلن فيها بحبه آل النبي الكريم[٤] وهكذا، فإن مفردة المغفرة تستفحل في التراجم، إلى الحد الذي لا تجد فيه بعضها مبررا مسوغا، وقد يحمل ذلك دلالة رحمة الله المطلقة دون استئهال العبد المغفرة بعمله، ليكون المبرر الوحيد أن الله سبحانه آلى على نفسه ألا يعذب أصحاب الثمانين، وفي رواية من تجاوز الثمانين[٥].

وقد وعت النصوص الشعبية قيمة المغفرة المتولدة في فضاء القيامة، حيث تكون شاهدا مؤثرا على حسن السيرة الدنيوية، فرسمتها في نصوصها كذلك، فالأميرة ذات الهمة تسأل

---

١) المنامات، الوهراني، المنام الكبير ص٢٣-٦٠. ولم أفصل في ذكر الصفحات لإيرادي هذه النقاط لدى الحديث عن نقد السلطة.

٢) النشوار، التنوخي ج٨، ص١٠٩.

٣) الأغاني، الأصفهاني، ج٢١، ص٢٧٤.

٤) المصدر السابق، ج١٧، ص٢٣-٢٤.

٥) النشوار، التنوخي، ج٤، ص٢٣٧، و٢٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكندرونة عن مصيرها في القيامة، فأقرت المغفرة والرحمة، بل وتجاوزتها إلى إذن الله – سبحانه– لها بالشفاعة لمدركة الذي كان سبب إسلامها[١]. ويسأل البطالُ الراهبَ بحرونَ عن مآله، فيجيب مفككا المغفرة إلى صورها: "أوقفني الله بين يديه، وقد قال لي: يا عبدي! طب نفسا وقرّ عينا، هذا وجهي فانظر إليه، وهذه جنتي فاسكن فيها، وكل من أثمارها، واشرب من أنهارها، وأنا الغفور الرحيم"[٢]. والإشارة للمغفرة آخر السياق واضحة، فالله غفور رحيم، وقد أوجب بتلك المغفرة المآل الذي صوره الراوي لبحرون الراهب الذي عدل عن النصرانية للإسلام.

ولا تنسى السيرة أن ترسم ذلك المآل لصاحبتها، التي تبشَّر مرتين بالمغفرة والرضى، وأنها تُحشر مع السيدة فاطمة الزهراء؛ ليكون ذلك دليلا بيّنا على الرحمة التي استأهلتها بجهادها في الدنيا، ولذلك يناديها الرسول الكريم بـ "أم المجاهدين": "يا فاطمة! أبشري بالجنة العليا، وتكوني في جوار بنتي فاطمة الزهراء، وهي الساعة في انتظارك يا أم المجاهدين"[٣].

على ضوء ذلك، يتضح إسهام المنامات في بناء سياقات السيرة والترجمة للشخوص، سواء في كتب خاصة بالتراجم، أو في مؤلفات تاريخ الأدب وغيرها، وأرى بعد هذا الطرح أن المنامات سيقت لتكون إشارة دالة على النص المكتوب ابتداء في حق المترجَم لهم، فكأنها موضوعة للتدليل والبرهان على التوجه العام الذي تبناه المؤلف لصاحب الترجمة. ووصولا لفرز السمات والحديث عن المواقف التي اختير الوقوف عندها، امتدت المنامات لتشمل الفضاءين الدنيوي والأخروي، محملة إياها دلالات عديدة تشهد لأصحاب الترجمة، وتُنبي عن أحوالهم. وهذا يفضي للقول إن نصّ المنام المحمل بكل هذه السياقات والدلالات الرمزية، يسهم في بناء السيرة إسهاما رئيسيا! بل أزعم أنها تعمد لتوظيف نص المنام متأثرة بوضعه الاعتباري الذي كفلته له الثقافة العالمة والشعبية، لاعتبار النص المقدس له في ظلّ الثقافة الإسلامية التي رأته/ المنام جزءا من النبوة.

---

١) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٢١٣.

٢) المصدر السابق، مج٢، ص٣٩٦.

٣) الأميرة ذات الهمة، مج٧، ص٩٢٣-٩٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❋❋ الرحلة

امتدت فضاءات الرحلة على مساحة واسعة من بنية السرد في السير الشعبية، والحكايات الخرافية، محققة بذلك وظائف خاصة تنتمي للفكرة العامة التي يقترحها النص. بل إن توليد منامات مشحونة بفعل السفر، تعمل في بعض النصوص على تحقيق المنام الرئيس الذي يعرضه الراوي في ابتداء النص، فكأننا بإزاء وحدات حكائية مجتزأة تنضم لبعضها، مشكلةً بذلك الإطار الفاعل المحتضن للمشهد المنامي الرئيس والمحقق له.

جلّ المنامات كانت محفزة للرحلة، ولم تكن مخلقة لها في إطار حكاية الحلم، بمعنى أن المنام ينبني على حدث يدعو لارتياد الأفق الذي يتم خارج فضاء المنام، وهنا قد يخلق المنام حدثا رئيسا يكون المسيّر الشرعي لأحداث العمل برمته، والداعي لارتياد بقاع عديدة، ولعلّ منام فيروز شاه الذي رأى فيه عين الحياة نصّ صالح للتدليل والتمثيل.

يرى فيروز شاه عين الحياة مرات ثلاثة متكررة متجردة من أدنى إحالة لبعد مكاني محدد، إلا أنها بحضورها المتكرر توحي بصوابية الرؤية التي يقرها فيروز من "الأمور الربانية"، ويفرز هذا التغييب للمكان فضاء واسعا صالحا للبحث فيه: "يا ترى أقدر أن أجد هذه الفتاة؟ وفي أي مكان؟ هل هي في عالم الأرض أم في عالم السموات"؟[١]. إن هذا التغييب المتقصد من الراوي، المقترن بإرادة فيروز، يفضي بنا لتغريبة يبتدئها فيروز لليمن، وفي ظل توليد السرد، والحيل العديدة التي تحول بين فيروز وعين الحياة، يمتدّ فضاء السفر للطائف، والنمسا، والصين، ودمشق، وأنطاكية.. لتنغلق الدائرة أخيرا بالوصول لإيران، البؤرة التي انطلق منها البطل لارتياد كلّ تلك الآفاق.

ويقترب من ذلك حلم الملك الصالح بالضباع، والسباع التي تخلصه منها، وإذ يُحيل التأويل العارف لضرورة شراء جلبة مماليك من مال السلطنة، تتولد فضاءات الرحلة، وبذات النسق الذي رأيناه في فيروز شاه، حيث يغيب الفضاء المحدد، الأمر الذي يوسّع من دائرة الأفق الصالح المحقق للغاية المرجوة. إن الملك الآن يطلب جلبة مماليك مؤطرين بشروط

---

(١) فيروز شاه، مج١، ص٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تضيق مساحة الاختيار، فهم: خمسة وسبعون مملوكا، ومن ثلاثة أجناس: سركسية، وأباظية، وجرجية، من أولاد الملوك!.. ولذا ينكشف السرد عن فضاءات مكانية توسع احتمالية العثور على المماليك في تلك الدائرة الضيقة، المنغلقة على شروط قاسية: "يا وزير الزمان! هذا شيء لا يكون أبدا، ولم يتوفق مثل الذي تذكره على بال إنسان، ولو قعدنا ندور عليهم ثمانين عاما في البراري والآكام"(١).

المكان المجهول يحضر بشكل واسع، وإن لم يكن قادرا على تحريك أحداث واسعة جدا كما كان في فيروز شاه، إلا أنه كان قادرا على تشكيل بعد حكائي منضو تحت مظلة السرد الكبرى، التي تظلّ تولّد من الأحداث ما يحقق غايتها الرئيسة، وليس النصّ المنامي بإيحاءاته ودلالاته ببعيد عن ذلك. ويشير خليل أحمد – وإن كان فيه شيء من التعميم– لعموم التغريب الزماني والمكاني في القصص الشعبي: "فلا أهمية للمكان ولا للزمان في الفكر الطوباوي والعقل السحري/المسحور"(٢): يرى سيف خادمه عيروض في جماعة من جبابرة الجان يعذبونه، وهو يستغيث به، فيقرر سيف إجابته: "أنا أقول إن خادمي عيروض وقع في ذلك العذاب بلا محالة، وأنا لا بد لي من المسير إليه، وأنقذه مما هو فيه"(٣)، وفي كلا السياقين: رواية الحلم، ثم إنفاذه تغيب حدود المكان، فينطلق البطل لمجهولٍ يدرك المتلقي أنه سيؤول به إلى هدفه نهاية! ويرى حمزة البهلوان طيرا تأكل أحشاءه، فيوجهه الوزير للبحث عن ابنه بديع الذي يتهدده عدو: "والصواب عندي أن ترسل أخاك عمر يفتش عليه، ولا يرجع إلا بعد أن يأخذ لنا أخباره في أي أرض هو"(٤).

وفي موضع آخر، إثر خلافه مع عياره عمر يرى جوهرة عظيمة يفقدها، فيوجهه الوزير للبحث عنه: "من الواجب أن نرسل إليه من يترضاه، ولا بد من السؤال ليعرف مكان وجوده"(٥). ودلالات التنكير في المنامين واضحة، فهناك أرض اختفى فيها بديع، ومكان غاب فيه عمر.. هكذا دون إحالة لهوية المكان.

---

١) الظاهر بيبرس، مج١، ص٩٨–١٠١.

٢) نقد العقل السحري، خليل أحمد، ص٦٨.

٣) سيف بن ذي يزن، مج٢، ص٣٤٦.

٤) الأمير حمزة البهلوان، مج٤، ص١٩–٢٠.

٥) المصدر السابق، مج٤، ص١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في سياقات أخرى تتقلص مجهولية المكان بوصفه دون تحديد علميته، فالمقدم معروف مسجون في "سجن مظلم، تحت قاع البحر المالح، في بلد كبيرة واسعة، وبها ثلاث ملوك، وهي على البحر، ولها مينتين، واحدة خراب، والثانية عمار.." [١]. وفي تعالق نصي مع فيروز شاه، يرى الملك أحمد فتاة يتيه بها في المنام، وإذا كان فيروز لم يدر أعين الحياة في الأرض أم في السماء؟ فإن الملك هنا يوصِّف أبعاد معينة يوظفها دليلا صالحا للاهتداء به: "بستان ما له حائط ولا جدار، فمشيت فيه سبعة أيام حتى عبرت على باب مدينة، وعلى باب المدينة برج من حجر الرخام، فدخلت في تلك المدينة، وسكنت في خان.. لقيت بجنب الخان حماما..."، وعلى ضوء هذا التوصيف طاف بلاد الشام بلدا بلدا، في محاولة لمطابقة الواقع الجغرافي المتعين أمامه بما رأى في المنام، وإذ لم يتوفق في تلك المطابقة، ارتحل لبلاد الروم بحثا عن طيف المحبوبة، وإذ يلتقي بالملكة تيجان، يسألها: "هل سمعت في بلاد العجم أو غيرهم مدينة لها سوق، فيه خان، وجنب الخان حمام...؟؟" [٢].

لا شكّ أن تغريب المكان[٣] حيلة ذكية يتكئ عليها السرد لتوليد إثارة المتلقي، الذي سينطلق في مغامرة مجهولة الهوية، الأمر الذي يسمح كذلك بتوليد أحداث وسياقات كان يمكن اختزالها ببساطة لو ان الراوي جعل للمكان هوية خاصة، وهو ما شكّله في نصوص أخرى، حيث وهب الرحلة فضاء محددا، فحضرت علميّة المكان، وتعلق المتلقي بمغامرة الحدث المرتبط بالرحلة، وبالرحلة ذاتها حيث تشوبها مفاجأة السرد. يحكي بزرجمهر تأويلا غير صائب لحلم كسرى، ويجعل الأسد الذي يستنقذ الوزة ويعيدها لكسرى الفارس الذي سيخلص ملكه من الأعادي. وينهض بزرجمهر بتحديد هوية الفارس المكانية حيث يجعله حجازيا، الأمر الذي يودي لرحلة إلى الحجاز تتغيا احتضان الفارس وتنشئته في رعاية الفرس: "فأمر كسرى في الحال أن تحضر الهدايا الثمينة من جواهر وذهب وأمتعة فارسية.. وقال له –

---

[١]) الظاهر بيبرس، مج٣، ص١٥٠٥.

[٢]) الظاهر بيبرس، مج٣، ص٢٠١٣-٢٠١٥.

[٣]) التغريب/ خرق المألوف: "جعل المألوف غريبا عن طريق إعاقة الطرق المألوفة التلقائية للإدراك..". المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بزرجمهر- أريد منك أن تذهب إلى مكة منذ اليوم، وتنظر لي مقر هذا الفارس، وممن يولد..؟" [١].

أما الأميرة ذات الهمة، فتعمد إلى توسيع دائرة المكان بشكل جليّ، يشير لاتساع فعل المواجهة مع الأعداء، والانتصار للإسلام: فالرسول الكريم يدعو البطال للتوجه إلى خرشنة، وعقاب الملعون برهويص الذي صنع صورة للرسول الكريم من النحاس، ويعمد إلى إهانتها – تعالى عن ذلك- في قيامه وقعوده[٢]! ويوجه مالط لملطية في سياق آخر ليخبر عبد الوهاب بانتهاك ستر عقبة ووصوله الكنيسة، حيث يأكل لحم الخنزير، ويشرب الخمر، ويكون ذلك سببا لصلبه[٣]، وتحكي السعيدة عن مأساتها مستحضرة أماكن رومية عديدة تكشف عبرها الصراع بين الإسلام والكفر، وتحكي على ضوء ذلك عن الأماكن بوصفها مصائب لا أماكن:

واقصدْ إلى روبيسَ فهي مصيبتي واقصدْ جزيرة معدن الأصدافِ
وادخلْ بلادَ الرّومِ فهي مصيبتي واستقصِ عن خبري فليس بخافي

وفي إشارة لذلك الصراع الذي تحتضنه الأماكن، تروي سبب السجن والعذاب:

قالوا: تقولينَ ابنُ مريمَ خالقا؟ فأجبتُهم بجوابِ صادقِ شافي
ما كانَ إلا مرسلا من ربِّهِ وبذاكَ أخبرَ ابنُ عبدِ منافِ[٤]

بل ويطور المنام رحلة غير مسبوقة للملك ميلاص بن منفلوص، حيث يدعوه فيه "خيال" لتخليص القسطنطينية من أيدي المسلمين، ويستبق السرد بتوصيف يلقي الضوء على خطورة المنام الذي شكّل انزياحا خطيرا في حياتية الملك الذي لم يمارس فعل الرحلة سابقا:

---

[١]) حمزة البهلوان، مج١، ص٣-٦.(
[٢]) الأميرة ذات الهمة، مج٤، ص٥٤٥-٥٤٦. (
[٣]) المصدر السابق، مج٤، ص٤٦٧. (
[٤]) الأميرة ذات الهمة، مج٦، ص٤٩٩-٥٠٠. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وهو من أجلّ ملوكهم، ولم يخرج قط من بلده أبدا، والملوك الذين يخرجون من بلاده أخوة هذا الملك، وكان هذا الملعون من المعمرين، وقيل إنه بلغ مئة وستة وعشرين..." [١].

ذات الأمر يتكرر في سيرة الظاهر، حيث ينبي فضاء الرحلة في سياقات عديدة عن الصراع بين الإسلام والكفر، ويحكي بطريقة شفيفة أداء الظاهر في الحفاظ على الإسلام، فالسيدة زينب تسأل المرأة المظلومة أن تشكو الشيخ تمران شيخ كفر الجاموس للظاهر بيبرس، حيث سيخلص لها حقها، ورسمت لها خط الرحلة: اطلعي من كفر الجاموس، إلى أن تصلي لمصر، فإذا وصلت إلى الخليج وقابلك صور مصر، هنالك اطلعي من الخليج تجدي باب البوابة انفتح... [٢]. وفي كشف آخر لأهمية الظاهر يدعو جوان الأمير زهير أن يسير إلى أرض الشام، حيث يسرق بيبرس، ثم يسير به بين حلب والشام حتى يتوسط البلدين وصولا لـ "فم الزمانة" حيث يقطع رأسه! وذلك بحسب ما أخبره المسيح في منامه المدعى[٣]. وفي منام يراه جميع الأمراء تُرى فاطمة بنت قبطان الإسلام في قلعة "كوتيه" عند عبد الصليب، ويكون هذا المنام المتكرر دعوة لإنقاذها، إحقاقا للإسلام، وإذلالا للكفر[٤].

في حكاية الحالمَيْن[٥] التي تقصها شهرزاد، يحضر المكان، ويكون فاعلا قادرا على إحداث تغيير جذري في حياة البغدادي الذي افتقر، والمكان مستعلن الملامح في هذه الحكاية

---

١) المصدر السابق، مج٧، ص١٥.

٢) الظاهر بيبرس، مج١، ص٥٩٢.

٣) المصدر السابق، مج٢، ص٧٩٩.

٤) الظاهر بيبرس، مج٤، ص٢٣٤١-٢٣٤٢.

٥) ألف ليلة وليلة، ج٣، ص٥٩٤. وانظر قراءة سعيد الغانمي لها في: الكنز والتأويل، ص٧٧. وفي عوالم الحلم، يرد ذكر جون شابمان السمكري والبائع المتجول الفقير معادلا لحكاية الحالم البغدادي بالتفصيل ، فقد عاش شابمان في سوافهام في انجلترا في القرن ١٥، وحلم أنه يستدعى إلى جسر لندن ليقابل رجلا ينبئه عن أخبار ثروة طائلة! مشى شابمان مسافة ١٠٠ ميل حتى وصل للجسر، وعندما أيس من قدوم أحد وهمّ بالرجوع إلى سوافهام خرج إليه صاحب دكان شاهده ينتظر المدة السابقة، وعندما سأله عن سبب انتظاره وعلم حكاية المنام، ضحك قائلا/ والتقاطع هنا مع الوالي كبير شطرح التساؤل عن مدى تأثر إحدى القصتين بالأخرى!!: "إذا أصغيت للأحلام كنت أثبت بأني غبي مثلك، إذ إني حلمت قبل فترة وجيزة بأن بائعا متجولا يدعى شابمان يقطن في مكان يسمى سوق سوافهام في نور فورك، لديه شجرة في الباحة الخلفية من منزله،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منذ البدايات، فالرجل من بغداد، ويُدعى في المنام للسفر إلى مصر "إن رزقك بمصر، فاتبعه وتوجه إليه". وإذ يصل إليها، ويُعاقب على جرم لم يقترفه، يسأله الوالي عن المكان ليس إلا:

- من أي البلاد أنت؟.
- بغداد.

فيسأل ثانية:

- وما حاجتك التي هي سبب في مجيئك إلى مصر؟.

فيقص عليه حكاية المنام التي دعته بعد أن افتقر للسفر إلى مصر، فيضحك الوالي ساخرا، وهو لا يدرك أنه يشكل بسخريته من رؤيا البغدادي سخرية المتلقي منه نهاية الحكاية التي لا تأتي إلا بتوصيف آخر للمكان، حيث يقصّ الوالي حكاية منامه الذي يبدو فيه هاتف يدعوه للسفر إلى بغداد لتحصيل مال عظيم!.

طرافة الحكاية متأتية من هذه العملية التبادلية التي يشترك فيها الحالم والوالي اللذان يدوران في ذات الدائرة وصولا للنقطة التي كان منها ابتداء الانطلاق: ينطلق البغدادي من بغداد، وتحديدا من بيته الذي فيه جنينة –كما سندرك ذلك أخيرا– إلى مصر، وفي مصر يلتقي بالوالي الذي رأى من يدعوه للسفر إلى بغداد، وتحديدا لبيت بخط كذا، ووصفه كذا، بحوشه جنينة.. تحتها فسقية بها مال عظيم!. لا ينكشف للمتلقي عند هذا الحد صدق رؤيا البغدادي لأنه لما يعلم بعد أن الوالي وصَّف بيته بدقة، ولكن الأمر ينكشف للحالم الفقير الذي ابتدأ بالسخرية الكامنة من الوالي إذ لم يحترم أدبية الرؤيا، ولم يؤمن بنبوتها! فيعود لبيته، وتكشف شهرزاد في الليلة التالية وقوعه على الكنز، فيشترك المتلقي مع البغدادي بالسخرية من الوالي الذي بدت نواجذه ضحكا من رحلةٍ.. شكّل امتدادها لمصر، ثم إلى بغداد ثروة عظيمة، لم يكن ليحلم بامتلاكها ذلك الحالم البغدادي الفقير!!.

وحلمت بأن جرة من النقود مدفونة أسفل الشجرة! لو افترضنا بأني سافرت إلى هناك لأبحث عن تلك النقود بدعوى ذلك الحلم، فكم سأكون غبيا"!! وتحكي القصة أن شابمان عاد فعلا لسوافهام، وعثر على ثروة طائلة من لانقود الذهبية والفضية مدفونة أسفل شجرة الكمثرى في الباحة الخلفية لمنزله. انظر ص٨–١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعكس هذه الإضاءة إذن، تركز فضاء الرحلة في سرد السير الشعبية، والحكاية الخرافية دون التراجم وتاريخ الأدب، وقد احتضنت تلك الفضاءات منامات احتفلت بالرمز تارة، وشفّ تأويلها عن ضرورة السفر تحقيقا لغاية، ومنامات أخرى شكلت سياقاتها أمكنة حددت هويتها في أحيان كثيرة، وغربتها في أخرى. وفي كلٍّ: التحديد والتغريب، تقصد الراوي غايات سعى لتحقيقها، امتدت بين التشويق، وترسيم تلقٍ محفوف بالإثارة، وبين تشكيل سياقات تشهد لأبطالها، وحسن بلائهم في الغاية الإسلامية الكبرى التي نهضت نصوص عدة لإثارتها، حيث ازدهت صورة حمزة البهلوان، والأميرة ذات الهمة وأبطالها، والظاهر بيبرس ورجالاته.. في فضاءات عديدة، شهدت بامتدادها جميل صنعهم وحسن إسلامهم.

❋❋ الشعر

ينقاد الشعر في هذه النصوص لسلطة السرد، ممثلا العلاقة الجدلية التي تربط بين هذين النوعين، فالشعر لا يشكل عنصرا طارئا دخيلا على البنية السردية، كما أن السرد يتجسد فضاء دلاليا هاما يمهد للنص الشعري وخطاباته! الأمر الذي يفضي لطرح مصطلح "الشعر السردي"[١]، حيث يبني الشعر سياق السرد، ويسهم معه في توليد الدلالات وإثراء النص.

يصنف حسن النعمي في إثبات لجدلية العلاقة بين السرد والشعر، الامتزاج بين هذين النوعين في مستويات ثلاثة:

⌘⌘ المستوى الأول: ما يشكل مادة التراث الأدبي من حكايات ونوادر.. تتمحور حول السياقات العامة للتجربة الشعرية، أو ظاهرة أدبية معينة.

⌘⌘ المستوى الثاني: يتمثل في مرويات سردية سيطرت على الشعر، وقدمت نفسها على نحو مستقل، رغم ما تتضمنه من مادة شعرية، ويمثل لذلك بكتب الأذكياء، وأخبار الحمقى...

---

[١]) أثار المصطلح سعيد يقطين إذ قال: "ويمسي الشعر السردي جنسا مختلطا يشترك فيه جنسا الشعر والسرد" (الكلام والخبر، ص٢١٩. وحول جدلية العلاقة انظر فصل: شعرية السرد وسردية الشعر من كتاب فتنة السرد والنقد، نبيل سليمان، ص٩٤ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

⌘⌘ المستوى الثالث: يظهر في السياق العام لتجربة شعرية، كالمعلقات، أو الشعراء الصعاليك، أو العذريين..[١]

وفي بحثنا شفّ الحضور الشعري عن علاقات متنوعة مع السرد/ نصّ المنام، لعلّ أميزها تمثيل النصّ المحكي سردا بإطار النظم، وتجلى ذلك في نصوص السير بشكل غالب، مستهدفا التأكيد، وتنويع القيمة الجمالية المرتدية حلتي النثر والشعر، ومن ذلك رواية ذي يزن للمنام الذي قال هاتفه: "يا ذا يزن! بقي عليك حلاوة إسلامك، وهو أن تكسو البيت الشريف، فأنت في بركته، وبركة الطائفين به من مشارق الأرض إلى مغاربها"[٢]:

وقدْ جاءَني من بعدِ ذلك هاتفٌ وقد كنتُ أسلمتُ على رغمِ مَنْ كفر
وقال اكسُ هذا البيتَ يا ذا بكسوةٍ فجعلتُه خزًّا وديباجًا اشتهر[٣]

وتعمد السيرة إلى استحضاره في النص الشعري الأخير الذي جسّد وقائعها:

وجاءَ له هاتفٌ مرارا عديدةً ويأمرُه يوفي بوعدٍ وإنذار
فطاوَعَه حتّى كسا البيتَ عامدًا بخزٍّ وديباجٍ غلا فوقَ أسعار[٤]

ويُلحظ أن النص الشعري كان أمينا على نقل السرد بشكل مجرد، دون أدنى إحالة لتزيُّد أو تأويل.

ومثله نظم الرباب زوجة الحارث في سيرة ذات الهمة منامَ التبشير بميلاد جندبة، حيث عمدت السيرة إلى قصّ المنام سردا، وكذا تعبيره، ثم أعادت إنتاج النص نظما في سياق قصّ الرباب المنامَ على الشيخ المعبر، الذي عمد بدوره لذات الآلية، فأعاد إنتاج التعبير الذي تمثل سابقا سردا لنص شعري[٥]. ويلحظ المتلقي قوة الشبه بين النصين اللذين أحالا لذات المنام،

---

١) قراءة في هيمنة الخطاب السردي، حسن النعمي، ص١٤٢.
٢) سيف بن ذي يزن، مج١، ص١٤.
٣) سيف بن ذي يزن، مج١، ص١٧.
٤) المصدر السابق، مج٤، ص٤٤٧.
٥) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٧-٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى في استعارة النظم ذات التركيب، والسياقات الظاهرة ابتداء في القص النثري. ومن طريف ما يُروى في هذا المقام، المنام المتنبئ بسقوط البرامكة، وهو يسير بذات النسق السابق، الذي يستعرض المنام قصًّا، ثم يحوّل نظما: "فهتف بي هاتف –الحديث لجعفر البرمكي–، وقال هذه الكلمات: يا ابن يحيى! تأهب للنقمة، وزوال النعمة، فقد انطمست كواكب السعود، ومضى الملك المعهود، وتقدمت نحوكم الأهوال، وزال حكمكم إلى الزوال، وتمثل يقول هذه الأبيات:

بني برمكَ ولّتْ نجومُ سعودِكم فأيّ زمانٍ لم يعود يطيبُ

بني برمكَ إنّ القلوبَ تقلّبتْ وما الدّهرُ إلا مخطئٌ ومصيبُ"[١]

وترتسم ذات الأبعاد في منام تالٍ، يُختزل فيه السرد، ويتجلى النظم ليؤكد على نبوءة الزوال:

بني برمكَ حلَّ الفناءُ بجمعِكُم ومضى زمانُ العزِّ فهو قصيرُ

ستخلو ديارُ العزِّ من بعدِ جعفر وتندبُكم أطلالُكم وقصورُ[٢]

في تجلٍّ آخر، يُحكى المنام نظما دون قصّ سردي سابق له، بمعنى أن النظم هو الذي يكشف نصّ المنام، وإن تقدمه تمهيد سردي إلا أنه التمهيد الذي يخلو من القصّ وذكر الحكاية، وهذا يمنح النظم دورا أعلى من مجرد تشكله إعادة لحكاية، وتنويعا جماليا!! إن النظم الآن هو الذي يفجأ ذهن المتلقي، ويحفزه لتلقٍ أرقى لأن أبعاده –النظم– لم تتكشف بسرد سابق.

يروي ابن عبد ربه عن البطين الشاعر قدومه على عليّ بن يحيى، قائلا:

---

[١]) المصدر السابق، مج٢، ص١٣١. وانظر في ذات السياق: منام عبد الودود الذي يحكي تنبؤ ابنته بشهادته، مج٤، ص٣٢٧، ومنام ذات الهمة التي تهدد ميمونة بالقتل، مج٦، ص٣٤٥. وفي الظاهر بيبرس: انظر شكوى الأمير التي تحولت نظما، مج ١، ص٥٧٢، وشكوى المقدم معروف وهو في السجن حيث ارتسمت كذلك نثرا وشعرا، مج٣، ص١٥٠٥، وفي ألف ليلة وليلة يظهر النظم منام العابد الذي دُعي للارتحال للملك بغية دعوة ترد له كرامة السحابة التي تظله، ج٣، ص٧٢٥، وفي موضع آخر يظهر طيف زين المواصف نثرا وشعرا، ج٥، = = ص٤٢٩، وفي الحكايات العجيبة، يرى المحب طيف الشمول، ويروي ذلك أيضا نثرا وشعرا دون مغايرة، ص١٨٦.

[٢]) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيتُ في النّومِ أنّي راكبٌ فرسًا ولي وصيفٌ وفي كفي دنانيرُ
فقالَ قومٌ لهم حذقٌ ومعرفـــةٌ رأيتَ خيرًا وللأحلامِ تعبيـــرُ
رؤياكَ فسرٌ غدا عند الأميرِ تجدْ تعبيرَ ذاك وفي الفألِ التباشيرُ"[١]

ويعرض الأغاني روايات عديدة، يتصدر فيها النظم نبوءة الزوال، المتحققة بالضرورة، وكأن الراوي عدل عن ذكر الواقعة خبرا إلى ذكرها ممثلة بحكاية منامية: يرى أحـدهم مـن يهتف في المنام:

ماتَ الحسانُ ابنُ الحسا ن وماتَ إحسانُ الزّمانِ

ليتلقاه في الغد "خبر" وفاة إسحاق الموصلي[٢].

ويصيح صائح بيحيى بن خالد:

كأنْ لم يكنْ بينَ الحَجونِ إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسمرْ بمكّةَ سامـــرُ

فيجيبه:

بلى نحن كنّا أهلَها فأبادَنـــــــا صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ

وتتحقق النبوءة إذ يعلق الراوي على يحيى إذ قال: "فانصرفت إلـى الرشـيد فغنيتـه الصوتَ وخبرته "الخبر"، فعجب منه، وما مضت الأيام حتى أوقع بهم"[٣].

ويرى وهب بن جرير من يقول:

ما يلقى أبو حرب تعالى الله من كرب

ليأخذه المنصور بعد حين فيحبسه[٤].

وتظهر امرأة من ولد عثمان بن عفان بذات النسق، لتتنبأ بسقوط بني أمية:

---

١) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج١، ص٢٠٥.(
٢) الأغاني، الأصفهاني، ج٥، ص٢٨٣.(
٣) الأغاني، التنوخي، ج١٥، ص١٩.(
٤) المصدر السابق، ج٢٠، ص٣٠.(

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أين الشّبابُ وعيشُنا اللذُّ الذي كنّا به يوما نُسرُّ ونجــذلُ
ذهبت بشاشتُه وأصبحَ ذكرُه حزنا يُعلّ به الفؤادُ وينهلُ

ويخرج الأمر عن بني مروان حقا، وقد قدم الأصفهاني للحكاية: "أخبرني بهذا "الخبر" الحسن بن يحيى.." [١].

وقد استعرضت منامات عديدة وإن حكت ذات البعد، لما تحوي من إشــارة مركزيــة، تشير لكون هذه المنامات بما تحمله من نبوءة "خبرا"، الأمر الذي يؤهل أو يجرئ على القــول بأسبقية الخبر/الواقعة التي انبنى عليها نصّ حلمي قد يُحكم عليه بالوضع، وأن نسجه لم يكــن إلا لتجسيد الخبر والخوض فيه.

ومن النظم الذي يحكي النصّ الحلمي، ويُعرَض بوصــفه تحفيــزا للــسرد وتوجيهــا للأحداث، ويكشف مالا يحكيه النثر، فيغدو بذلك نسيجا ملتحما بالعمل لا يمكن الاستغناء عنه، ما روته السعيدة وهي تحكي لأبيها عن أحوالها، وتشرح له طريقة استنقاذها:

أين السّرورُ وأين عيشي الصّافي أو من يخلصُ ابنةَ الحجــــــافِ
في الجانبِ الأقصى تُقادُ بشعرها عريانةً تمشي كمشي الحافـــــي
قد أوعدوني أنهم في عيدِهـــم يسعون في قتلي وفي إتلافـــــي
فأنجزْ وإلا قد أصيرُ شقيـــــةً من بعدِ اسمِ سعيدةِ الإسعــــافِ
واسألْ عن الأقصى ورهبانِ لهــم في لحفِ كلِّ ساطعِ الأطــــرافِ
واقصدْ إلى روبيسَ فهي مصيبتي واقصدْ جزيرةَ معدنِ الأصــــدافِ
وادخلْ إلى بلادِ الرومِ فهي مصيبتي واستقصِ عن خبري فليس بخافي[٢]..

والنظم بلا شكّ محمل بالدلالات، والأبعاد المستقبلية المشحونة بتوتر القتل والإرهــاب، وموجه لفضاء الرحلة التي سيحملها النص عبر سياقات قادمة، ليتم فعل الإنقاذ، ولــذا نقــول بتشكل النظم هنا حافزا سرديا، لم تكن السياقات اللاحقة لتتولد بدونه.

---

[١]) المصدر السابق، ج٢١، ص٨٤.(

[٢]) الأميرة ذات الهمة، مج٦، ص٤٩٩-٥٠٠.(

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقترب من ذلك الحلم المركزي الذي احتضنه الجزء الأول من سيرة الظاهر، حيث يرى الملك الصالح نفسه في وادٍ امتلأ ضباعا وليس له من معين، وإذا بالفضاء يتكشف لاحقا عن خمسة وسبعين سبعا، يتقدمهم سبع يستعلي عليهم بالجمال والقوة، وقد افترسوا الضباع وخلصوا الملك من أزمته التي كان يعانيها! ليكون تأويل ذلك شراء المماليك، وعلى رأسهم الظاهر بيبرس.

يتضح التحفيز في هذا المنام في النظم الذي يلقيه الملك ذاته، وهو ما يزال في فضاء الحلم:

قد جعلناكَ للإسلامِ سـدّ فامشِ إلى نصرةِ الإسلامِ
واعددْ إلى الحزمِ جيشًا تبيدُ به الكفارَ يومَ الصدامِ
واسمعْ واسعَ لتحصيلِ جيشٍ تهدمْ به ركنَ الظلامِ[١]

وينهض هذا النظم بكشف بيِّن يفضح التأويل قبل أن يبدأ المعبِّرون بسرده، فيبدو التعبير لذلك باهتا معروفا للمتلقي الذي أدرك نظم الملك الصالح: "أما الضباع التي رأيتها فهذه أهل الكفر والضلالة.. وهؤلاء السباع هم أهل الإسلام والانتفاع.. وسيأتي مع هؤلاء سبع كبير وهو كبير القوم.. فينبغي أنك يا مولانا تشتري لنا جلبة مماليك من مال السلطنة"[٢].

وينبئ عليه السلام مغفرة الله للكميت بقوله:

فما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مشعب الحق مشعب[٣]

وتشف المنامات بحضور هذه الأبيات المركزية بشكل واضح عن موقف سياسي منحاز للتشيع، ويستحضر وجود الرسول الكريم لإسباغ شرعية دينية على هذا التوجه.

وإذا كانت هذه الأبيات داعية للمغفرة والرحمة، وقادرة على تفسير رضى الرسول الكريم عن ناظميها، فإن بيت المؤمل الذي يتمنى فيه العمى بما يعضده من تألٍّ على الله

---

(١) الظاهر بيبرس، مج١، ص٩٨-٩٩.
(٢) الظاهر بيبرس، مج١، ص٩٩-١٠٠.
(٣) الأغاني، الأصفهاني، ج١٧، ص٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبحانه بألا يعذب المحبين، سيكونان كافيين لتفسير الغضب الرباني الذي استلزم العمى، كما زعمت لذلك الرواية الحلمية، حيث وضع الآتي إصبعيه في عيني المؤمل فعمي! قارنا الفعل بسرد يضيء ويعلل: "أنت المتألي على الله ألا يعذب المحبين!! .. هذا ما تمنيت!" [١].

في المنام الكبير يحضر النظم مستعرضا ثقافة الكاتب الذي يحسن استدعاء النص، وتركيبه وفق الحدث الذي يبنيه سردا، ولا يتجرد الاستعراض الثقافي هنا من البعد الفكري، بل إن الكاتب يضع على كاهل النظم المستدعى مسؤوليات مشابهة للسابقة حيث التأكيد على المعنى، ورسم أبعاد جمالية.. إلا أن ما يميز النص هنا انفساح مساحة المنام، وانضواء النظم فيها باعتباره جزءا لا مقابلا، ففي النصوص السابقة كان المنام يُستعرض بوصفه نصا قصيرا يقابله نظم مواز أو مقارب، وهذا مستبعد في المنام الكبير حيث تنفسح مساحة السرد، التي توظف ببراعة خطابات معرفية متعددة، يظهر النظم جزءا منها[٢].

في افتتاح النص، يتمنى الوهراني أن يخفف فخر الدين بن هلال عنه وطأة القيامة إذ يغنيه:

يا أهلَ نعمانَ إلى وجناتِكم تُعزى الشّقائقُ لا إلى النّعمانِ[٣]

والإشارة واضحة إلى ثقافة الكاتب، واعتداده بالشاعر الذي يميز له شعرا طريفا يُستدعى في مثل هذا الموقف المأزوم.

وفي توصيف رقص الصراط الذي ناء بحمله ولم يثبت، يقارب الوهراني صورته باستدعاء:

رقصَ القلوصِ براكبٍ مستعجلِ[٤]

---

[١]) المصدر السابق، ج٢٢، ص١٧٦.

[٢]) الدارس للمنام يدرك توظيف الكاتب لمعرفيات متنوعة كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والأمثال، والنظم، والتاريخ.. مما يجعله نصا مناميا ثقافيا مستأهلا للدراسة والتحليل.

[٣]) المنامات، الوهراني، ص٢٤.

[٤]) المنامات، الوهراني، ص٢٦. وصدر البيت:

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوس براكب مستعجل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي صورة جمالية قادرة على إحداث مقاربة بين واقع محسوس مُدْرَك برقص القلوص، وواقع الصراط الذي عاينه هو ذاته دون المتلقي.

ويعمد إلى تكثيف رفض الأعور البغدادي وعدم الإيمان بقدرته، وهو موقف منسجم مع رجالات عديدين وضعهم الوهراني على محك المساءلة الذي فضح طوياتهم، يعمد لرفضه أن يكون دليلا لهم:

إذا كانَ الغرابُ دليلَ قومٍ فلا يعدو بهم طرقَ الخرابِ

والنص مستدعى على لسان صاحبه، ويؤكده هو باستدعاء آخر:

لا تعجبنَّ لخيرٍ إن أتاكَ به فالكوكبُ النّحسُ يسقي الأرضَ أحيانا[١]

ومفردات: الغراب، والخراب، والنحس... تلقي ظلالا واضحة كئيبة على شخصية الأعور، الذي وجه له الوهراني نقده اللاذع.

وهو لحسان، وقال الزمخشري شارحا: "والنبيذ إذا جاش رقص". فهو بذلك يشير للحركة والعجلة. أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق محمد باسل، ج١، جذر رقص، ص٣٧٥.

١) المنامات، الوهراني، ص٥٢.(

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكثيف

المنامات نص ثقافي cultural text منفتح على خطابات معرفية متعددة، تستقي من السرد والنظم على حد سواء، وهو انفتاح ذكي من شأنه أن يولّد دلالات جديدة غنية تثري نص المنام، وتدفع بقيمته الفكرية والفنية. وقد أظهر الفصل السابق انفتاح النص المنامي على:

⌘⌘ النص المقدس الإسلامي: القرآن والحديث، مذكرا بانضوائه تحت المرجعية الدينية التي أسست الثقافة المركزية في المجتمع الإسلامي، وبان بشيء من التفصيل وجود أشكال عدة لاستدعاء النص الديني، الذي انحصر بين علامتي تنصيص أحيانا، فاستعلن بهويته وتقاطع بوضوح مع الذاكرة الثقافية التي تختزن النص وتسلّم به، وتحرر منها في أحيان أخرى، فشكّل تناصا اتكأ على ثقافة المتلقي في كشف اللثام عنه، وإيضاح سياقه الديني، والدلالات الفكرية الجديدة التي استدعاها.

⌘⌘ الإسناد والخبر: فقد احتفلت كتب تاريخ الأدب بإسناد أخبار المنامات، احتراما منها لمنهجيتها العلمية، مما يعني أن ذلك لم يكن معتبرا في حق النص المنامي فحسب.

تقدمت الأسناد عبارات مألوفة تحكي فعل القصّ، مثل: حدّث، وأخبر، وأنبأ.. وقد دعمها الرواة بآليات عديدة، تقويةً لها، وإثباتا لصوابيتها. ومن وسائل الدعم التي تحدثت عنها: تقوية الرواة بإثبات صفات إيجابية لهم، وقد برز في هذا السياق التنوخي صاحب النشوار، الذي كثيرا ما عمد لتقوية الرواة لا سيما عند نقله أخبار الإمام علي –كرم الله وجهه– والصوفية؛ لينتصر في الأخبار الأولى لتشيعه، ويظهر مناوأته للصوفية في الثانية.

وعمد الرواة إلى تقوية السند بطرح سند آخر يتقدم ذات الحكاية المسرودة، ويوصل بينهما بعبارات من مثل: وأخبرني بهذا الخبر.. ويقترب منه أن تتكرر ذات الحكاية بذات التفاصيل مع اختلاف بنية السند، كما في الإخبار عن سبب عمى المؤمل الشاعر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوردت بعض الأخبار التحقيب الزمني، تقويةً لصحة المروي المتقدَّم بالسند، وإيحاء بوقوعه حقيقة، وقد عللت لذلك بأن نص المنام نص عجائبي مشحون بما قد يرفضه المدقق العالم، ولذا احتيج إلى آلية معتبرة منهجيا لإثبات النص والاحتفال به، فكان السند، والتحقيب، وتزكية الرواة.

⌘⌘ الترجمة: وتحت هذا العنوان تبين أن المنامات تساهم بشكل بيّن في إتمام المشهد السيري للرجال المترجَم لهم، فهي على هذا الاعتبار علامات دالة، تتقاطع مع ما أثر تاريخيا عن أولئك الرجال أصحاب التراجم.

عرضت بعض المنامات الترجمة بشكل متكامل في نص واحد، كما في حلم أم عضد الدولة، حيث ساق المنام نبوءة الميلاد، والتبشير بالمنجزات حتى لحظة الموت، بينما قامت منامات أخرى بتشظية هذا السياق، وعرض الوحدات الحكائية في منامات مستقلة، كما في منام التبشير بميلاد جرير، ثم المنام الذي يدلّ على اعتبارية مكانته الشعرية، ثم المنام الذي يحكي عن تعلقه في فضاء القيامة، حيث لم يقضَ في أمره بخير.

واضطلعت منامات بتفسير بعض الظواهر الواقعية بصورة عجائبية كما في تعليل عمى المؤمل.. وقد اتخذت فضاء الدنيا والآخرة مساحة واسعة تحركت فيها لإثبات ما تريد من صفات زكية أو ضدية للمترجم لهم.

⌘⌘ الرحلة: وقد انكشف تركزها في سرد السير الشعبية، وحكايات ألف ليلة وليلة دون كتب تاريخ الأدب والتراجم، لتساهم في بناء البنية الحكائية العامة في ذلك السرد.

ظهرت جلّ المنامات محفزة للرحلة لا خالقة لها في ذات الفضاء الحلمي، ضمن الأبعاد التالية:

◆◆ تشكيل تحفيز للرحلة ضمن نصّ منامي رئيس يحتضن جلّ أحداث النص لاحقا، وتمثل ذلك بسيرة فيروز شاه ابن الملك ضاراب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ حضور المكان المجهول بشكل واسع، وقد حمّله الرواة إضافة لعب السرد وإتمام قص الحكاية، بعد التشويق الذي يثير في المتلقي حماسة القيام برحلة تؤطرها المغامرة والمجهول.

◆◆ في مقابل تغريب المكان ظهر تحديده، ولم يكن مركزيا، بل امتد ليشمل فضاءات واسعة في بلاد الشام والعراق والروم.. وهذا يعكس بنية الحدث الممتدة، التي تشير بذكاء لامتداد عمل الأبطال في تلك الفضاءات، لترتدي شخصياتهم لبوس المنافحين عن الدعوة الإسلامية ضد الآخر المشرك. والحديث هنا عن حمزة البهلوان، والأميرة وأبطالها، والظاهر ورجالاته.

⌘⌘ الشعر: وقد انقاد لسلطة السرد، مساهما في تجسيد دلالاته، وتأكيد إيحاءاته.

وتمثل النظم بصور متعددة، لعل من أبرزها: أن يأتي ممثلا لذات السرد، ليكون مؤكدا على ذات المعنى، ومنوعا للقيمة الجمالية المحتفلة بالنوعين: السردي والنظمي والنوعي.

في تجلٍّ آخر، يُحكى المنام نظما دون سرد سابق يكشف أبعاد النص، وهذا منح النظم دورا أعلى من مجرد تشكله إعادة للسرد وتأكيدا عليه. وقد ظهرت مثل هذه الأشعار في روايات عديدة "تخبر" عن قضايا معينة، لا سيما الموت، وانتهاء زمانية حركات سياسية معينة.

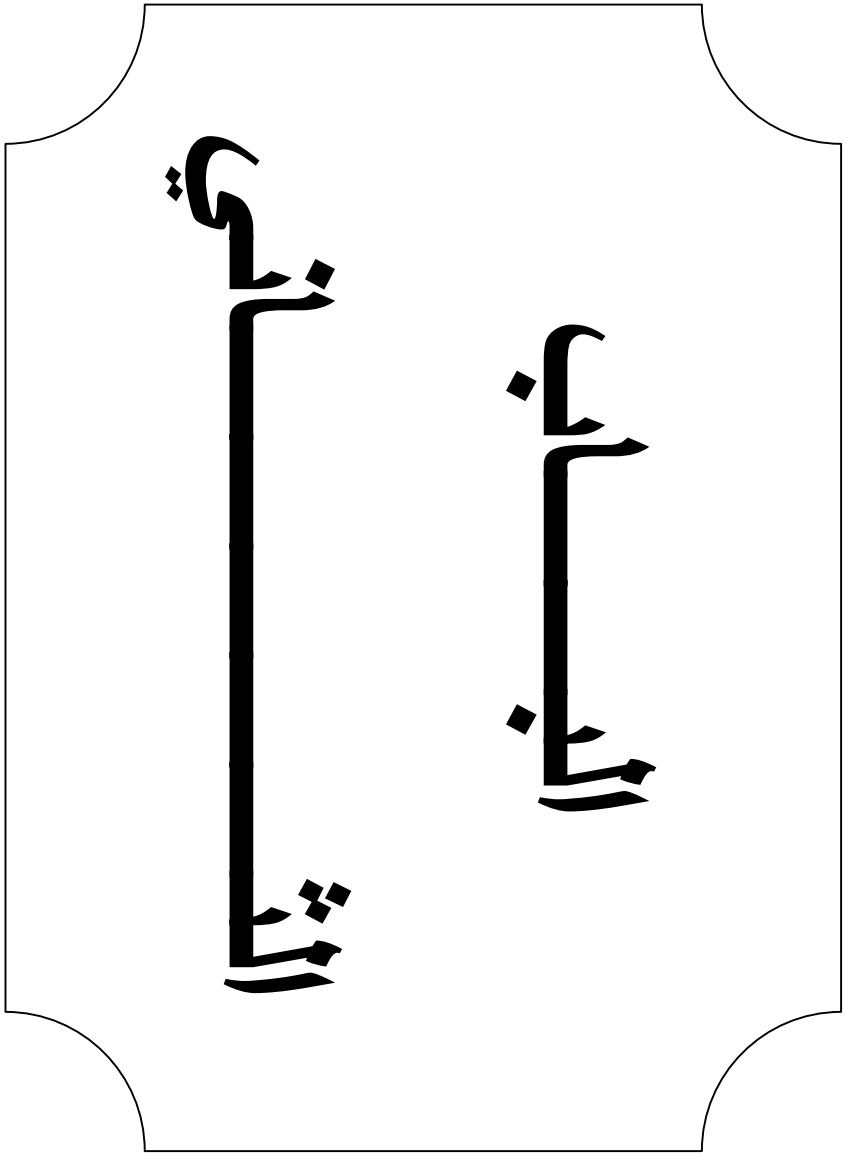
ومن النظم ما يشكل تحفيزا للسرد، وتوجيها للأحداث، حيث يكشف ما لا يحكيه النثر، ومثلت لذلك بخبر السعيدة، حيث نقلت لأبيها كل أحوالها نظما لا سردا، ووجهته للآلية التي يمكن إنقاذها بها، وقد احتفل شعرها بالفضاء المكاني، وذكر الصراع بين الإسلام والكفر، حيث كان السبب الأوحد لمعاناتها في أسر الروم.

كما شفّ نظمٌ عن تعليل ظواهر منامية، اتُّخذت فيها مواقف خاصة تجاه أشخاص معينين، كما في النظم الذي يفسر رضى الرسول الكريم عن الكميت والسيد الحميري، في مقابل الأبيات التي فسرت ضدية الرضى، وتكسب السخط الإلهي، حيث تأله ناظمها على الله

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

–سبحانه– وكان تنبؤ بغيب لا يقطع فيه إلا الله، والحديث هنا عن المؤمل وادعاء عدم تعذيب المحبين بسقر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



دِرَاسَـــــــــــــةٌ

فِـــــــــــي

البِـــنْيَـــةِ الحِـــكَائِيـــَـــةِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البنية الحكائية في منامات الأخبار[١]

تنضوي منامات هذه المؤلفات تحت مظلة الخبر بحكم المادة التي تقدمها، والبناء العام الذي تحتكم إليه، بل إنني أزعم على ضوء دراستي لنصيات المنامات أنها في بنيتها العميقة أخبار صيغت محتفلة بفكرة المنام؛ لتكون تقنية جمالية قادرة على تنويع أسلوب السرد في هذه المؤلفات.

وهي أخبار لم تتوحد في حمولتها المعرفية، بل انسربت لتحمل أبعادا سياسية، ودينية، وأدبية... إلخ. ويجدر التركيز هنا على أن انضواء المنامات تحت مظلة "الخبر"، لا ينفي كونها سردا يحتفل بنظام خاصّ يؤطر آلية عرضها، إذ "لا أحد بوسعه أن يؤلف –ينتج– سردا دون الإحالة على نسق ضمني من الوحدات والقواعد"[٢]، بل إن ايكو يوسّع إمكانية حضور النسق في كل النصوص، حتى تلك التي خرجت عن بنية الحكاية: "فإنه يسعنا أن نفعّل حكاية، أو توالية من الأعمال، حتى في نصوص غير حكائية، وحتى في الأعمال اللسانية المحضة الأكثر أولية، شأن الأسئلة، والأوامر، والعهود، أو مقاطع من أحاديث..." [٣]. هذا يعني أن النسق حاضر في هذه المنامات، وأن بمكنتنا أن نقف على متواليات فعلية تُحكم بناءه العام، وهو ما ستوضحه العنوانات التالية:

❋❋ السـنـد:

تؤطر هذه الأخبار أسناد , اعتبرت آلية التأليف المنهجي , واحترمت علمية هذا البناء, وإذ عرضت لمحتوى هذه الأخبار، واحتفالها بالسند لدى الحديث عن الأنساق، ثم النص الثقافي، فإنني أشير لذلك دون تفصيل خشية التكرار، وما يهمني في هذا السياق هو التأكيد على كون هذه المنامات:

---

١) المبنى الحكائي: نظام ظهور الأحداث التي تشكل متن النص "مادته الخام" في الحكي ذاته، وهو عند تودوروف: "نظام الخطاب". ويرى عبدالله إبراهيم أنه يحيل على النظام الذي يتخذه ظهور الأحداث في سياق البنية السردية. انظر:

- الشعرية، تودوروف، ص٤٧.
- بنية النص السردي، حميد لحميداني، ص٢١.
- السردية العربية، عبدالله إبراهيم، ص٢٠.

٢) طرائق تحليل السرد الأدبي، "التحليل البنيوي للسرد"، رولان بارت، ص١٠.

٣) القارئ في الحكاية، امبرتو ايكو، ص١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أخبارا.
- تتقدمها أسناد.

فما الذي يحكيه السند؟.

في مثل التقدمة الآتية: "أنبأنا علي بن أبي علي المعدل، عن أبي الحسين أحمد بن يوسف الأزرق، قال: حدثني غير واحد من الثقات من أصحابنا: أن الحسين بن منصور الحلاج كان..."[١]، يدرك المتلقي تواطؤا على رواية حكاية الحلاج، التي تناقلها فلان عن فلان عن فلان.. ومع إدراك تكرار الرواية، يتنبه لصدقها وصائبية وقوعها، إذ إنها رُويت من قِبل الثقات وليس المدلسين، ومسألة التأكيد على صحة السند متكررة، وقد أشرت إلى آلياتها سابقا. إن هذا التأكيد موظّف إذا، يتغيا التمهيد لقبول الرواية لدى المتلقي، والاقتناع بصحتها كذلك. على ضوء ذلك، يحكي السند:

- أن هناك قصة تختص بالحلاج.
- وأن هذه القصة قد حُكيت مرارا وتكرارا.
- وأن من حكاها توخى الصدق فيها.
- وأنه سيحكيها الآن ثانية.
- ولذا.. على المتلقي أن يستعد للاستماع للحكاية.

سأعتبر بناء على ذلك، أن السند استهلال، وهو استهلال حكائي موثّق، غايته التمهيد، والايحاء بالصوابية[٢].

---

١) نشوار المحاضرة، التنوخي، ج٦، ص٧٦.

٢) يرى عبدالله السمطي أن الأصفهاني منشئ نص لا مجرد راو، وهو على ضوء ذلك يصوغ الأخبار والحكايات صياغة فنية لا تسجيلية، فيغير من الحوادث التي ينقلها، ويتدخل في أسلوب الحكاية بالحذف، والإضافة، والتعديل. وبخصوص **السند** فهو يختار أسماء الرواة تبعا لأهمية الخبر، ويعمد لإيهام القارئ بصحة هذه الأسناد، وصحة ما روته!. ولا شكّ أن قبول مثل هذا الرأي أو عدمه يحتاج لدراسة الأسناد دراسة مستفيضة، وما يعنينا هنا هو احتفال منامات الأخبار بالسند، واستحالة تحللها منه. انظر: جماليات الصورة السردية في أخبار الأغاني وحكاياته: أبو الفرج الأصفهاني قاصا، عبدالله السمطي، فصول، مج١٢، ع٣، خريف ١٩٩٣، ص١٠٩.

وعن علاقة التاريخ الحاضن للإبداع في مؤلف الأصفهاني "الأغاني" يرى لحميداني أن تلك الاحتضانة ميزة في كتب القدماء عموما، حيث تقدم الأعمال الإبداعية في سياقها الحيّ مما يسهل فهم القارئ لها. النقد التاريخي في الأدب، حميد لحميداني، ص٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❋❋ الترجـــمة وتجلياتهـــا:

تُعدّ الترجمة من أكبر المقاصد الوظيفية التي تحكيها هذه المنامـــات، فقـــد ســـيقت أو وُضعت وضعا لتكون علامة دالة في المشهد السيري للمترجَم له، وهي بـــذلك تنـــسجم مـــع الإطار العام للمؤلَّف الذي تنتمي إليه "الأخبار". ولا شكّ أن هـــذه الترجمـــة ســـتتأثر بمـــنهج واضعها وأيدلوجيته التي ينطلق منها، ولعلّ في الحديث عن جدلية السنة والشيعة ما يُغني عن الإعادة والتفصيل، إلا أنني سقت الحديث للتأكيد على مقصد هذه المنامات التي يعنونها بشكل رئيس، ولتحقيق أبعاد هذه الترجمة فقد احتفلت بـــ:

● حضور شخصيات اعتبارية، تمثل القيم الإيجابية والسالبة على حد سواء، وذلـــك لإثراء الترجمة، وإسباغ الشرعية المقصودة لصاحبها، ومن ذلك حضور شـــخص الرســـول الكريم، والإمام علي بن أبي طالب[١] بشكل رئيس، والخليفتين أبي بكر وعمر، وفي المقابـــل حضور إبليس الذي شهد لأبي نواس في منام مذكور سابق، وعقد لمخارق صنعة الغناء ليكون ما عاشَ رئيس أهلها[٢]. والاستعانة بإبليس هنا لا يُحيل لإنكار الهجاء والغناء، بقدر ما يوقّـــع لعلو شأن المذكورين، وقدرتهما المستمدة من القدرة الإبليسية، وإن كانت سالبة التوجه والقيمة.

● ترسيم الفضاء الأخروي: الذي اضطلع بإتمام مهمة الكشف، وتجلية أخبار المترجَم لهم، وهو بذلك يتساوق مع ما أثر عنهم في الحياة الدنيا، إلا أن مدَّ المنـــام لفـــضاء القيامـــة، يضيف إيحاء أكبر بالصدق حيث لا تتوارى الحقيقة في ظلال العدالة المطلقة، والحساب الذي يتناول دقائق الأمور وتفاصيلها، وغالبا ما تظهر السمات الإيجابية لا السلبية، إلا في محـــيط الوهراني، حيث فضح المنام الكبير مساوئ الدولة، وعبثية رجالاتها، وهو أمـــر قـــصد إليـــه المؤلف وتغيا كشفه: يُرى الفرزدق بخير مغفورا له لتكبيرة، وإخلاص يوم الحسن[٣]، وعمـــر بن عبد العزيز وقد غُفر له وأُدخل الجنة، فهو "في روضة خضراء، فيحاء، وأنهار مطـــردة، وعليه ثياب بيض"[٤]، ويغفر النشوار ليزيد بن هارون الذي ظلَّ يعلم النـــاس الخيـــر ثمـــانين

---

١) تواتر حضور شخص الرسول الكريم، والإمام علي في مواضع عديدة جدا، أحيل للفصل الثاني من هـــذا البحث.

٢) الأغاني، الأصفهاني، ج١٨، ص٢٥٤.

٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٧٤-٢٨٧.

٤) المصدر السابق، ج٩، ص١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

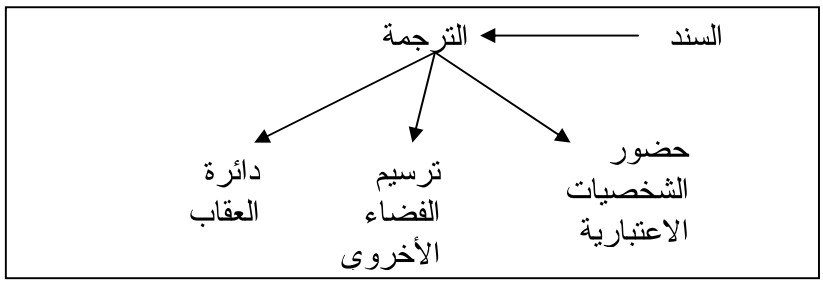
سنة[١], ويغفر لعمر برحمة الله: "ولقد كاد عرشي يهوي بي, لولا أني وجدت ربا رحيمـــا"[٢]، ولأحمد بن طولون لصدقاته, وجهاده، وعدالته, وعينٍ بناها[٣].

● العقاب: تكتمل دائرة الجزاء بحلقة العقاب , الذي يستزل لتفريط المترجم لهم بمـــا يستوجب المغفرة, فالعلاقة هنا ضدية توحي بمغايرة الفعل الذي رسم مغايرة الجزاء, فنُفقأ عينا المؤمل لتألّيه على الله سبحانه بألا يعذب المحبين[٤], ويصاب أبو الحسن بن الغزيـــة بـــالعمى لعدم إنكاره على من ذكر الشيخين بسوء, في حين يقتل جبة , ويذبح رجـــل بـــأمر الرســـول الكريم لشتمهما أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما–[٥].

تتضمن هذه المنامات وظائف غير الترجمة, كالتفسيرالذي يحلل ظاهرة ما كالعمى, إلا أنها في نهاية الأمر تصب في المقصد الكبير/ النرجمة, وهي بذلك تأتلف مع الغاية الرئيـــسة لمثل هذه المؤلفات.

ترسم عناية هذه المؤلفات بالسند والترجمة الخطاطةُ الآتية:

منامات الأخبار



❋❋ **النبـــــوءة:**

ومما يلحظ على كثرة كاثرة من هذه الأخبار, أنها تتضمن نبوءة واجبة التحقق دائمـــا, ويدرك المتلقي الحذِر أن نبوءة هذه الأخبار صدقت أولا متحققةً في إطار واقعـــي, ثـــم تـــم

---

[١]) النشوار، التنوخي، ج٨، ص١٠٩.
[٢]) المناقب، ابن الجوزي، ص٢٦٢.
[٣]) أحمد بن طولون، البلوي، ص٣٥٢–٣٥٦.
[٤]) الأغاني، ج٢، ص١٧٢–١٧٦.
[٥]) المناقب، ابن الجوزي، ص٢٨٤–٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سردها, بعكس ما سيلحظه في السيرة الشعبية مثلا, حيث تُلقى مفاجأة النبوءة, ويترك المتلقي مع سرديات تطول أحيانا وتقصر أخرى, حتى يدرك تحققها! سنضطر في هذه الحالة أن نتكئ على القراءة العالمة التي "تجعلنا نعيد صياغة الحكاية بعد تفكيك مكوناتها! هذه القراءة تتم من النهاية إلى البداية, من اليسار إلى اليمين"[١].

في السيرة: النبوءة ← التحقق "في الحكي والواقع السردي"

في الأخبار" التحقق ← النبوءة "في الواقع"

النبوءة ← التحقق "في الحكي"

ولعلَّ هذا البناء الذي يطرح نبوءة تتحقق دوما, وينكشف وقوعها بعد عبارات قصيرة عاجلة, ولا يطرأ عليها ما يكسر خطيتها مطلقا يُفقد المتلقي سحر النبوءة, التي تتكشف أخيرا عن كونها مجرد خبر عارٍ عن التشويق وعنصر المفاجأة:

◆◆ في منام الأعشى الذي يختار الشعير على الحنطة, يؤوّل الرمز/ النبوءة بترك القرآن وقول الشعر, ويثبت ذلك بقول الراوي: "فكان كما قال"[٢].

◆◆ وقريب منه تأويل ابن سيرين لغرس النخل في أرض السيد الحميري: "أتقول الشعر؟ قلت:لا! قال: أما إنك ستقول شعرا مثل شعر امرئ القيس, إلا أنك تقوله في قوم بررة أطهار"! ويكون التصديق: "فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر"[٣].

◆◆ وتصدق نبوءة الهاتف بمستقبل عمرو بن كلثوم, ويكون قول الراوي الذي يصادق فيه على النبوءة ترجمةً تكاد تكون حرفية لها: "فكان كما قال: ساد وهو ابن خمسة عشر, ومات وله مئة وخمسون سنة"[٤].!

◆◆ وإذ تسقط سنان رمح الشمردل, يأتيه نعي أخيه وائل[١].

---

١) الأدب والغرابة، عبد الفتاح كيليطو، ص٣٥.

٢) الأغاني، الأصفهاني، ج٦، ص٢٧.

٣) المصدر السابق ، ج٧، ص٨٣.

٤) المصدر السابق ، ج١١، ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ وإذ تُرى امرأة من ولد عثمان تبكي شبابا وعيشا كان يسر ويجذل, لا يلبث الناس إلا يسيرا حتى يخرج الأمر عن يد بني مروان[٢].

◆◆ في النشوار, يعد الرسول الكريم طاهر بن الحسين بالحفظ ما دام حافظا لآله –عليه السلام– , فلم يتعرض لعلوي قط, فَحُفِظَ من نوائب الدهر"نبوءة" التي فجعت آل طاهر بعد قتل يحيى بن عمر العلوي: " مات محمد, ونكبنا بأسرنا أقبح نكبة, وصرفنا عن ولاياتنا, ولم يزل أمرنا يخمل حتى لم يبق لنا اسم على منبر, ولا علم في جيش, ولا إمارة"[٣].

◆◆ وفي المناقب, يروي عمر على المنبر رؤيا: " لا أراها إلا بحضور أجلي: رأيت كأن ديكا نقرني نقرتين " ! وتحقق باغتياله – رضي الله عنه–[٤].

فإذا كانت النبوءة تشكل لحظة استباق وكشف, من شأنه أن يبني أفق توقع يأسر المتلقي, حتى يقف على النهايات! فإن كل ذلك ينكسر في مثل هذه المنامات التي تعرض النبوءة حال وقوعها فحسب, وتعرضها – كما أثبت لذلك– بعد سياقات سردية عاجلة قصيرة, ولعلَّ ذلك متأتٍ لكون هذه الأخبار قصيرة في بنائها العام, وأن سياقاتها لا تنفسح فيها مساحات السرد, بحيث تكون قادرة على توليد نصوص مفعمة بالإثارة والتشويق, وعرض تحقق النبوءة بعد توالي سرود طويلة تمتد على أجزاء بل مجلدات واسعة, وسأمثل لذلك بأمثلة عديدة لدى الحديث عن نبوءة السيرة الشعبية في المنام!

❋❋ التأويل

المنامات كما عرضت لذلك سابقا نصوص رمزية مشبعة بالدلالات, وتعرض لفكّ رمزيتها على مؤول عارف يمتلك أدواته المعرفية التي تؤهله لإدراك مرامي تلك الرموز, ودلالاتها!. وتعكس المنامات المذكورة تأويلات عدة, لا تتخذ ذات البنية النصية, وإنما تتمظهر بتجليات مختلفة, منها:

---

[١]) المصدر السابق ، ج١٣، ص٢٥١.
[٢]) الأغاني، ج٢١، ص٨٤.
[٣]) النشوار، ج٢، ص٢٤٠–٢٤٢.
[٤]) مناقب عمر، ص٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

● التأكيد على صدق المنام بوقوعه, فتتحول بذلك رمزيات المنام لمشاهد مساوية للواقع الذي تأولت فيه, وأمثل على ذلك بالآتي: " قال موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس: رأيت في المنام كأني دخلت بستانا, فلم آخذ منه إلا عنقودا واحدا, عليه من الحب المرصف ما الله به عليم, فولد لي عيسى بن موسى, ثم ولد لعيسى من قد رأيت"!(١).

يحمل النص رموزا ثلاثة هي على التوالي: البستان, والعنقود الواحد, ثم الحب المرصف على العنقود, ويشف تعليق الرائي عن التأويل, بحيث:

- يكون العنقود الواحد مساويا للولد الذي ولد له: "عيسى بن موسى ".
- ويكون الحب المرصف مساويا للأحفاد: " ثم ولد لعيسى من قد رأيت" !.
- ويسكت الرائي عن تأويل البستان الذي غدا معروفا بالضرورة, فالبستان المرأة التي أنجبت له عيسى, ويصدق ذلك ابن سيرين: " البستان دال على المرأة, لأنه يُسقى بالماء فيحمل, ويلد, وإن كان البستان امرأة, كان شجره قومها وأهلها وولدها ومالها, وكذلك ثماره"(٢)!.

◆◆ ويرى أحمد بن طولون كأنه يكنس قصره داخله وخارجه بمكنسة في يده, فلما انتبه طلب محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ ليبدأ به(٣).

يحمل النص رمزين واضحين هما : * الكنس, وأداته المكنسة.

* والقصر

وبطلب أحمد بن طولون كاتب لؤلؤ ليتخلص منه, يكون التأويل!!

فالقصر هو أحمد ذاته، والكنس هو التخلص من الشوائب والنواقص.

وهذا منام, يحيل تأويله لشهادة البلوي لحسن طوية أحمد بن طولون, إذ جَمع من الروايات ما يدعم ذلك. ويصدق النابلسي التأويل الذي تناوله ابن طولون:

فالقصر كما يرى: " رجل مستور صاحب ديانة وورع"(٤)

والكنس : " للأغنياء فقر, ونقص في أموالهم "(١).

---

١) الأغاني، ج١٦، ص١٦٢.
٢) تفسير الأحلام الكبير، ص٣٣٠.
٣) أحمد بن طولون، ص٢٨٧.
٤) تفسير الأحلام، ص٥٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو ما فهمه أحمد بن طولون, فارتأى أن يخلص نفسه بجامع الإزالة والنقص, ممن يسيء بهم الظن لسوء أحوالهم وسيرتهم.

وتعرض منامات أخرى سياقا تأويليا واضحا, يحكيه العارف المؤول:

◆◆ في منام أم جرير وهي حامل به, تقول: " فانتبهت فزعة فأوّلت الرؤيا, فقيل لها...".

وعبارة " أوّلت الرؤيا" تعني طلبت تأويلها, ويكون صريحا من قبل المؤول: " تلدين غلاما شاعرا ذا شر وشدة شكيمة, وبلاء على الناس"[٢].

◆◆ وفي رؤيا عمر بن الخطاب: "رأيت رؤيا لا أراها إلا بحضور أجلي: رأيت كأن ديكا نقرني نقرتين. فقصصتهما على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر, فقالت: يقتلك رجل من العجم"[٣] , فالديك كما يؤول ابن سيرين: "عبد مملوك أعجمي, أو من نسل مملوك"[٤].

❋❋ **التعليق:**

تحتفل جل المنامات بالتعليق الختامي على النص, وهو تعليق يتخذ أشكالا عدة, من أهمها:

● تصديق نبوءة النص الذي يحمل نبوءة:

◆◆ " رأيت قائلا يقول:

ماتَ الحسانُ ابنُ الحسا ن وماتَ إحسانُ الزّمان

فأصبحت من غدٍ, فركبت, فتلقاني خبر وفاة إسحاق الموصلي"[٥] .

◆◆ ويرى إسحاق أن جريرا يلقي في فمه كبة من الشعر في دلالة رمزية على توريث الشعر, ويكون التعليق: " وكذلك كان! لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه"[٦].

---

١) المصدر السابق ، ص٥٢٩.
٢) الأغاني، ج٨، ص٣٦.
٣) المناقب، ص٢٣٥.
٤) تفسير الأحلام، ص٢٧٤.
٥) الأغاني، ج٥، ص٢٨٣.
٦) المصدر السابق ، ج٥، ص١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ وفي النشوار تكون نبوءة سيادة بني بويه, ويكون التعليق: " ومضت السنون, وأُنسيت المنام, حتى خرج بويه إلى خراسان, وخرج علي بن بويه, فبلغنا حديثه, وأنه قد ملك أرجان, ثم ملك فارس كلها"[١] .

● وقد يعلق الراوي على المنام تعليقا يشف عن اعتباره للرؤيا, وتصديقه إياها: يأمر الرسول دعبل أن ينتهيَ عن التعرض للكميت إذ غفر الله له: " قال: فانتهيت عن الكميت بعدها "[٢]. ويعلق أبو جعفر البغدادي على جارٍ ماتت جاريته, فأتته في المنام منشدة شعرا: " فانتبه وقد حفظها/ القصيدة, وكان يحدث الناس بذلك وينشدهم, فما بقي بعدها إلا أياما يسيرة, حتى لحق بها"[٣]. وترى لؤلؤة جارية لآل منقذ من يبشرها بألا يصيبها القولنج ثانية, ويعلق الراوي: "فعاشت بعد ذلك المدة الطويلة لم يلحقها قولنج"[٤] . ويحكي محمد بن الحسن اليماني إذ يرى أحمد بن طولون وقد غُفر له : " فانتبهت من نومي, وأنا أترحم عليه, ولكأنه بين يدي يخاطبني لما شاهدته منه, وما تداخل قلبي من خطابه"[٥].

تحمل هذه التعليقات رؤى إيجابية تحتفل بالمنامات، وتنسجم مع أدبياتها التي تدعو المسلم للاعتقاد بصوابيتها إن تشكّلت نصًّا رؤيا لا أضغاث أحلام. وفي المقابل تعكس هذه التعليقات أبعادا واقعية للمترجَم لهم إن قصد المؤلف وضعها ونسجها بما يخدم الحقيقة أو رؤيته الخاصة لأولئك الذين تناولهم بأخباره, وصاغ المنامات لتكون تنويعا جماليا آسرا يحكي ذات الفكرة المتبناة تجاههم!.

تشف العنوانات السابقة عن ترتيب كاد يكون لازما للمنامات الواردة في كتب الأخبار, وهو ترتيب يحيل للعلمية في طرح السند, والترجمة, والتأويل, وتناول التعليق, وكل ذلك أدوات تحتاج إليها مثل مؤلفات الأخبار, وتوردها حتى لو خلا النص من إيحاء المنام, مما يعني أن هذه الأدوات تنسجم كليا مع آليه التأليف المنهجي العامة ولا تخترقها, وأرى أن هذا يفضي كما طرحت سابقا لكون هذه المنامات مؤدلجة, وهي في حقيقتها أخبار ارتدت حلة

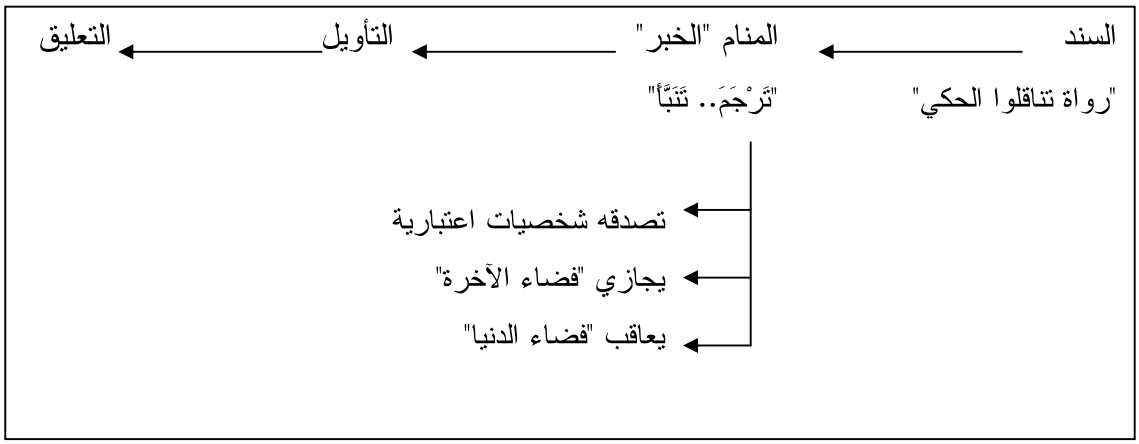
---

١) النشوار، ج٤، ص١٩٣.
٢) الأغاني، ج١٧، ص٢٣.
٣) العقد الفريد، ج٣، ص٢٢٣.
٤) الاعتبار، ص١٨٦.
٥) أحمد بن طولون، ص٣٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنام, تنويعا للسرد, وطرحا لجمالياته... ولعلَّ الترسيمة الآتية تختزل توالي أحداث المنامات في كتب الأخبار:

منامات الأخبار



All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البنية الحكائية في منامات السير الشعبية

يستطيع الدارس أن يتلمس سلوكا نصيا منضبطا لجل منامات السير الشعبية, حيث تحتكم لسلسلة وحدات بنائية محددة في أطرها العامة, وإن كانت قادرة على توليد عدد غير نهائي من الأفعال والحوادث التي تزخر بها تلك المؤلفات!.

وفي سبيل ضبط هذا البناء المقترح لمنامات السيرة, سأعمد لتأصيل البنى العامة الكلية ابتداء, ثم سأنهض بالتمثيل والتدليل عليها لا العكس, إذ أرى أن الانطلاق من الجزء على تباينه وتنوع أشكاله سيعقد التأصيل, ويفرّعه, الأمر الذي قد يفضي لانفلات المادة من بين يدي البحث. على ضوء ذلك سأبتدئ بالبنى الكلية التي رأيت تواترها في هذه المنامات, محاولة تصنيفها وترتيبها بحسب ورودها, ورتبتها في السلسلة العامة للأحداث:

❋❋ <u>الفعل المركزي.. المنام المركزي:</u>

تحتضن السير نبوءات مركزية, ستكون المسؤولة عن تحريك السرد اللاحق, بغية تحقيقها, ونقلها من البعد المتخيّل, للواقعي المدرك. وقد تجلّت تلك النبوءات في جزء كبير منها على هيئة المنام, ليكون مناما مركزيا يظهر في الأجزاء الأولى, ويبدأ بفتح أفق توقع للمتلقي يمتد بامتداد السرود الآتية, حيث يظل المنام مختزنا في الذاكرة حتى تكشف الأحداث تحققه, وتتثبت صدق النبوءة التي لا تخيب, إذ يرسمها الراوي دائما واجبة التحقق، وبناء على تأصيل بارت تغدو الأفعال التي ستحقق النبوءة روح النبوءة وبذرتها التي سيترقب المتلقي نموها: "إن روح كلّ وظيفة هي –إذا جاز القول– بذرتها، وهي ما يتيح لها أن تبذر في السرد عنصرا سينضج فيما بعد على الصعيد نفسه، أو بعيدا على صعيد آخر..."[١].

---

[١]) طرائق تحليل السرد الأدبي، التحليل البنيوي للسرد، رولان بارت، ص١٤. وفي فلسفة بول ريكور تأكيد (على أهمية الحدث "الفعل/ الوظيفة" فهو: "ليس مجرد شيء عابر، أعني أنه أكثر من مجرد شيء يحدث وكفى، بل هو ما يسهم في مجرى عملية السرد، مثلما يسهم في بدايتها ونهايتها...". الوجود والزمان والسرد، ص٤١. وفي إشارة طريفة ترى كاثرين ريزمان أن التموضع الصحيح للحدث في القصة، هو الذي يعطيه النجاح في توليد الأفعال اللاحقة. على ضوء ذلك فإن وجود المنام المركزي في بدايات القص بما سيولد من منامات فرعية تحققه، وتعمل على إنفاذه سيكون ترتيبا موفقا سرديا. Narrative analysis, Cathrine Riessman, p١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ في سيرة حمزة البهلوان يبدأ المتلقي رحلة القراءة بمشهد منامي, يعكس تأويله التبشير بميلاد البطل الأمير حمزة, إذ يرى كسرى نفسه جالسا على سرير الملك جائعا فتُقدّم له مائدة عليها صحن من العاج داخله إوزة, وعندما ينهض لأكلها يفجؤه كلب شرس يأخذها من فمه, وكسرى لا يستطيع تخليصها! وإذا بأسد عظيم يصدم الكلب فيقتله ويرجع بالأوزة لصاحبها كسرى.

يحيل التأويل الصائب الذي طرحه بزرجمهر لهذا المنام لظهور الفارس الذي يخرج من الحجاز، ويرفع نير الفرس عن العرب، حيث يهدم معابد النيران، وينشر دين الله –سبحانه– وعبادته دون الأوثان. وجدير بالذكر أن نسجل اقتران التأويل المبشِّر بالميلاد بنقطة أخرى جوهرية، وهي الهدف الرئيس من الميلاد، وهو هنا "رفع نير الفرس عن العرب، ونشر دين الله"[١]، وهو هدف مركزي ستنهض لتحقيقه السرود الآتية بما في ذلك نصيات المنام.

◆◆ تولّد سيرة الأميرة ذات الهمة متوالية من المنامات تبشر بميلاد أبطالها:

= ترى الرباب زوجة الحارث وهي حامل "كأنها في صحرة من الصحرات، وحولها نسيج البراري المقفرات، وأنها تقدمت إلى تلٍّ عالٍ، وقد انكشف ذيلها، وخرج من تحتها نار متأججة، ولها ألوان متوهجة، فخرجت إلى الأرض، فحرقت جميع ما عليها..". ويكون التأويل أنها تلد مولودا له شأن عظيم، وينذر بخطر يقع على الرباب، ويتحقق ميلاد جندبة[٢] مجردا عن الهدف من الميلاد كما كان في الأمير حمزة، فالسيرة تختزن ذلك لبطلها الرئيس.

= يرى جندبة من يبشره بميلاد الولد الذي يخلفه "ويملك البلاد وتطيعه العباد"[٣] ويكون ميلاد الصحصاح, مجردا كذلك عن الهدف من الميلاد.

= ترى ليلى من ينذرها بحال وليدها الذميم العاقبة! الميشوم الناصية! حيث يفسد في الأرض, ويشعل الفتن والعداوات, ويأمرها أن تسميه ظالما نسبة لفعله![٤].

---

١) حمزة البهلوان، مج١، ص٣–٥.
٢) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٧–٩.
٣) المصدر السابق ، مج١، ص٩٧.
٤) المصدر السابق ، مج١، ص٤٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= وترى غالية زوج مصعب بن الوليد, الشيطان ينذرها بميلاد عقبة شيخ الضلال, ويوالي بسرد صفاته الإشراكية التي ستكون وبالا على المسلمين, فهو الذي "تقرّ به عين إبليس عند قدومه ويفرح الكفر بحضوره... وهو ولد مفتون ملعون إبليس زمانه, شيطان وقته وأوانه.."[١] ويتضح هنا إفراز المنام الهدف المتوخى من ميلاد عقبة, حيث سيكون فاعلا في ترسيخ أركان الكفر, وأعمدة الضلال, الأمر الذي سيولّد كمّا هائلا من الأحداث المضادة للفعل الإسلامي الذي يتبناه فاعلو السيرة الإسلاميون وعلى رأسهم الأميرة ذات الهمة، وابنها عبد الوهاب.

إن هذه العناية الخاصة التي تظلّ تؤسس لوجود البطل وتبشر بقدومه، هي التي جعلت طلال حرب يقارب بين بطولة القصص الشعبي والنبوي: "فقصة البطل الشعبي تشابه إلى حد ما قصص الأنبياء؛ فهو منتَظر كما كان الأنبياء منتظرين.. فالبطل الشعبي إنسان غير عادي يولّد ليؤدي مهمة معينة، وتعده لها العناية الإلهية.."[٢].

= لا تبشر السيرة بميلاد عبد الوهاب , ولكنها تبشر بنبوءة مشرقة يحتضنها الرسول الكريم, إذ يستعلن بكون عبد الوهاب المنافح الأول عن دينه في الأرض، ويجعل هذه النبوءة بين يدي الخليفة الذي يطلب إليه تبرئة الأميرة من الخطيئة، وابنها من فراش الفاحشة، ويكون إعلان البراءة على ملأ من الحاشية والعامة، فكأن لحظة الميلاد الحقيقية تشكلت في هذا الأوان، والرسول يعلن: "هذا غلام مظلوم، متهوم بالزور، والبهتان، والعدوان، وقد نظر الله –تعالى– إلى كسر قلبه، فعوَّضه من شقاء الدنيا بنعيم الآخرة، وهو من يطلب نصرتي، وبه تسير في الدنيا كلمتي، ويبذل نفسه في طاعة الله وطاعتي..."[٣].

وليس خافيا على المتلقي توليد السياقات لهدفي ميلاد متضادين:

عقبة المفسد الضال =/= عبد الوهاب الناصر للدين، الطائع لله والرسول.

وهو ما سيتكئ عليه الراوي في تخليق متواليات لا تنتهي من الحيل التي سيعمد كلا البطلين لإبطالها؛ إنفاذا لغاية وجودهما. وبذا تنغلق دائرة المنامات التي أوكل إليها التبشير بأبطال العمل، إذ تصل إلى الفاعل المركزي مبشرة بميلاد الأمير، ومنذرة بميلاد عقبة.

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٤٠٥.
[٢]) بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، طلال حرب، ص١١٧-١١٩.
[٣]) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٦٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ في سيرة الظاهر بيبرس منامات عديدة تحكي التمهيد لاحتضان البطل، وتظلّ تذكّر بمهمته الرئيسة التي سينهض لإتمامها:

= يرى الملك الصالح نفسه في وادٍ يمتلأ ضباعا، وإذ يطلب النجاةَ من الله، يرسل له خمسة وسبعين سبعا، يتقدمهم أسدٌ مليح قادر يقود حملة يفترس فيها الضباع، ويحيل التأويل العارف لكون الضباع أهل الكفر، والسباع أهل الإسلام، والأسد قائد المسلمين. ويبدأ هنا التوقيع الأول لوجود الظاهر الذي سيناهض الكفرة، وينتصر للإسلام[١].

= ويرى المقادم الذين أساؤوا لمحمود العجمي "الظاهر بيبرس" الملكَ الصالحَ يتوعدهم، ويبشر بمُلك المملوك الضعيف، وسلطنته: "يا أولاد إسماعيل، وحقّ الملك الجليل إن لم تكرموا علي لأجل خاطري، ولأجل هذا الضعيف، لأشتتكم في جميع البلاد بالتعنيف، وإني أعلمكم أن هذا الغلام هو الذي قد شاع ذكره عندكم في حفظ الزمام، وهو الذي يصير ملكا وسلطان على ممر الليالي والأزمان، وإنكم تكونوا أهل دولته، وأصحاب عزه ومملكته، وحبايبه ورفقته... ومن خالف منكم أمري صار خصمي، وشكيته يوم القيامة لجدي.."[٢].

= وترى غزية التي تبنت الظاهر السيدةَ نفيسة وهي تبشر بسلطنة السلطان: "هذا بيبرس محمود العجمي، وسوف يكون ملكا وسلطانا، ويبقى له كلمة تُسمع، وحرمة تُرفع، وهو صاحب العزّ والوقار، والمجد والافتخار، وينصر دين النبي المختار، ويهلك جيوش الكفار..."[٣].

= ويرى الشيخ يحيى الشماع وزوجته ذاتَ المنام الذي تظهر فيه السيدة نفيسة، وتعلن: "هذا محمود المكنى بيبرس، وهو الذي تُفتح على يديه بلاد الكفار، ومداين أهل الأشرار... هذا الأمير بيبرس أبو الفتوحات والنصر، ويُسمّى الظاهر، وسوف يكون ملكا وسلطان، وتذلّ له رقاب الإنس والجان..."[٤].

---

١) الظاهر بيبرس، مج١، ص٩٨-١٠١.
٢) المصدر السابق ، مج١، ص١٣٤-١٣٥.
٣) المصدر السابق ، مج١، ص٣١٦.
٤) المصدر السابق ، مج١، ص ٢٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= وتحكي سيرة الملك سيف بن ذي يزن نبوءة ميلاد ولدٍ من صلبه/ ذي يزن "يظهر دين الإسلام، ويأمر الناس بعبادة الملك العلام، ويكون جميع الحبشة والسودان غلمانا وخدام لأولاد سام بن نوح –عليه السلام–"[١]. وبالرغم من أن هذه النبوءة لم تُسرد منامات إلا أن الراوي، ولّد عشرات المنامات التي تتكفل بتحقيقها وإنفاذها، فهي نبوءة مركزية خلّقت أفعالا أساسية عديدة لإثباتها وإحقاقها.

= وكذا سيرة فيروز شاه، فقد تنبأ الحكيم طيطلوس بحديث عظيم يذكر جيلا بعد جيل لفيروز شاه، إلا أنه : "يُغرم بحب فتاة فيلاقي لأجلها صعوبات كثيرة"[٢]. وتتحقق النبوءة عبر حلم يتكرر ليال ثلاث، يدعوه للتغريبة واقتحام الأهوال تحقيقا له.

على ضوء ذلك، نستطيع تمييز نبوءة مركزية، عرضها الراوي –في جلّ السياقات– بحلّة المنام، فهي نبوءات منامية، وتُشير بجلاء للهدف الرئيسي من ترسيمها:

– سيولد حمزة البهلوان	و**يرفع** نير الفرس عن العرب.
– ويولد عقبة شيخ الضلال	و**يفسد** في الأرض.
– ويبرَّأ عبد الوهاب	و**يبذل** نفسه في طاعة الله وطاعة رسوله.
– ويُستقدم الظاهر بيبرس	و**ينصر** دين النبي المختار، ويهلك جيوش الكفار
– ويولد سيف	و**يظهر** الإسلام، ويُخدم الحبشة والسودان لأولاد سام
– ويولد فيروز	و**يغرم** بحب فتاة فيلاقي لأجلها صعوبات كثيرة

هذه النبوءات بما تحمل من أهداف رئيسة، ستكون المسؤولة عن تخليق السرود الممتدة عبر آلاف الصفحات، وستولد عشرات المنامات الأساسية التي ستنهض لتحقيقها. إن العلاقة جدّ جدلية بين هذه النبوءات والمنامات الوليدة، حيث ستكون النبوءة سببا أساسيا في تخليقها، وستكون المنامات القادمة سببا رئيسا في تحقيق النبوءة وإنفاذها.

❋❋ المنامات الفرعية:

---

[١]) الملك سيف، مج١، ص٢٤.

[٢]) فيروز شاه، مج١، ص١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفرزت جلّ منامات السيرة الوحدات الفعلية التالية بانتظام وتوال، يفصح عن قصديتها وانضباطها، مما يعني أنها تخضع لمنطق خاص: "يبدو واضحا ألا يكون تتالي الأفعال اعتباطيا في سرد ما، إنما يخضع لمنطق ما.."[١] :

- تظهر المشكلة التي يطرحها النص أولا، بغض النظر عن مستوى أهميتها.
- إزاء الإشكالية المطروحة، سيتم ظهور الفاعل السردي سواء أكان رئيسيا أم فرعيا في المنام.
- يفرز هذا الظهور دعوةَ صاحب المنام لأمر ما، يحمل في طياته بذور الحل وانفكاك العقدة.
- ثم تفرز تلك الدعوة إجابة حتمية لازمة، تشكل الحلّ النهائي للأزمة.

وبمكنتي ترسيم ذلك كالآتي:

المشكلة ← ظهور الفاعل السردي "في المنام" ← الدعوة ← الإجابة

وستولي السطور التالية أهمية كبيرة لضبط الأفعال الثابتة، ثم ما ينضوي تحتها من أفعال متغيرة، وكيفية ظهورها العام في السيرة. هذا يعني أنني سأتناول:

المتن الحكائي: "وهو مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي تكون مادة أولية للحكاية".

المبنى الحكائي: الخاص "بنظام ظهور هذه الأفعال في الحكي ذاته"[٢].

وسأمثل على ذلك، ضمن العنوانات الآتية:

"**بحسب تحقيق الهدف**":

السيرة	المشكلة	ظهور الفاعل	الدعوة	الإجابة
الملك سيف	الكهين يصلب الملك سيف على الهيكل "في رحلة الحصول على الذخائر اللازمة لإجراء النيل،	يظهر الشيخ جياد	يأمر وزير الملك الزاهر: = "قم من منامك = وادخل على الملك سيف	= أفقت من منامي وحلاوة الإسلام في قلبي وعلى لساني ...

[١] طرائق تحليل السرد الأدبي، مقولات السرد الأدبي، تزفيتان تودوروف، ت الحسين سحبان وفؤاد صفا، ص٤٧. وانظر في الحديث عن توالي الأحداث وخضوعها لمنطق خاص خفي: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، ص٣٠.

[٢] بنية النص السردي، حميد لحميداني، ص٢١. وانظر في تعريف المتن والمبنى:
- الشعرية، تودوروف، ص٤٧.
- السردية العربية، عبدالله إبراهيم، ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	وهي هنا سيف آصف، توصلا لإنفاذ دعوة نوح عليه السلام[١].		= وجدد إسلامك .. = فأعطه سيف آصف = وقل له: إنه لا يجرد إلا على الكفار.."	= فأخذ منه سيف آصف، وجرده قدامه فثبت عنده إسلامه
فيروز شاه	شغل فيروز بحب عين الحياة "وتاه عقله، وتجدد هواه"	مرت به عين الحياة ثلاث ليال متواليات	= دعته وهي تنظر إليه نظر المودع = ثم دعته وهي تنظر نظر المحب المفارق = ثم دعته وهي تعلن عن هويتها الاسمية	يقرر التغريبة لتعزاء اليمن بحثا عن عين الحياة، إثر مقال شياغوس [٢]
حمزة البهلوان	يمرض حمزة "ولا يكون شفاؤه إلا بعجيبة منه تعالى"	"وإذا بالخضر –عليه السلام– زاره"	يشفي رجله، ويطلب إليه: لا تخف يا حمزة، فهي صحيحة كالثانية، فامددها"	"فمدها.. فشعر الأمير بأنها رجعت كما كانت.. فصار من اللازم أن أباشر الأمر بنفسي"/القتال
وقد قال إثر هذا الاعتلال موقّعا تأكيده على ضرورة رفع نير الفرس عن العرب/ الهدف الرئيس: "لا ريب أن الله –سبحانه وتعالى– يقصد إذلال العجم، وهلاكهم، وانقراض دولتهم، وقد استعملني أنا الحقير واسطة ذلك، فلما رآني قد عدلت عن خدمته اقتصّ وجازاني على فعلي.."[٣].				
الأميرة ذات الهمة	حسرة الأمير من تنصر عقبة وكيده بالمسلمين	يظهر الرسول الكريم	= طب نفسا وقرّ عينا = وخذ أصحابك لوادي السنديان فإنك ترى العجب	ثم إن الأمير أمر الناس بالرحيل، فلم يزالوا سائرين حتى وصلوا لوادي السنديان [٤]
=	=	ظهور	قل لأصحابك يقطعوني، فعليّ	سمع أنين الشجرة في اليقظة

---

[١] الملك سيف، مج٢، ص٣٨٢–٣٨٣.
[٢] فيروز شاه، مج١، ص٢٥ وما بعدها، وقرار التغريبة ص٣٧.
[٣] حمزة البهلوان، مج٣، ص١٤١–١٤٣.
[٤] الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٨٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

		الشجرة تئن كأنين الثكلى	يكون صلب عقبة الملعون على باب الذهب	كما سمعه في المنام، وقال: فدونكم وقطع هذه الشجرة، فقُطعت
الظاهر بيبرس	حبس السلطان والأمراء على يد غرطال	ظهور الملك الصالح	= قم من منامك = واجتهد في إصلاح ما فات من أيامك = اشهد أن لا إله إلا الله = ولولا علمي بأنك من أهل الإيمان لقتلتك.. تقبض ولدي مرتين!! "دعوة التحرير"	= أسلم = ونزل فكّ السلطان والخمسين أميرا [١]

"**بحسب الفواعل**"

ذات البنية الفعلية المتسلسلة تتكرر بانتظام مع فواعل السرد الرئيسيين والفرعيين، الذين أوكلت إليهم مهام الظهور لدفع الأحداث المسؤولة عن تحقيق النبوءة المركزية، وفي نسيج النص بعمومه، وهذا يعني أن اختلاف مسميات الفواعل ودرجة أهميتهم تنصهر آخرا في ذات البوتقة العاملة لتحقيق النبوءة، وضمن ذات الترسيمة الفعلية:

السيرة	المشكلة	ظهور الفاعل	الدعوة	الإجابة
الملك سيف	"في رحلة تخليص عيروض، وفي القصر الذي كان على طريق الكنوز، يكون سيف غريما لصاحبات القصر الموكلات بالقبض عليه"[٢]	يظهر الخضر –عليه السلام– لتكرور الملكة "فاعل رئيسي"	= امضي إلى قصرك = اشهدي بالوحدانية = وجددي إيمانك بين يدي سيف = وأنت من نسائه وهو من رجالك = وأعطيه سيف آصف يقاتل به	= أقول على يديك "السيف" لا إله إلا الله وإبراهيم خليل الله = وأريد أن أملكك هذا الحسام الذي ما حازه ملك ولا سلطان

[١] الظاهر بيبرس، مج ٤ ، ص ٢٤٣٣ .

[٢] الملك سيف، مج٢، ص٢٥٢–٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

			الجانّ ويمحو الكفر	
فيروز شاه	الملك الأبشع يريد تزويج عين الحياة بالشاه روز ابن الملك كندهار	ظهور عين الحياة "فاعل رئيسي"	راكعة.. باكية.. حزينة.. شاكية .. كأنها تعاتبه على تركها وتهامله بأمرها	يلبس ثيابه ويتعدد بعدته: نويت أن أسبقكم، فإن قلبي يدلني بوقوع مصائب على إيران..[١]
=	الملك ضاراب لا يعرف مكان فيروز شاه	طائران خرجا من إيران يقصدان تعزاء اليمن ، رامزة لـــ: بهروز وشياغوس "فاعل ثانوي"	"يمدان بأعناقهما إليّ –عين الحياة– ... وكأنهما يطلبان إلي أن أخبرهما عن أمر فيروز شاه.."	"عزمت أن أخرج إلى خارج المدينة... عساي أجد مخبرا أو أرى أحدا يقصد إيران فأبلغه الخبر".[٢]
حمزة البهلوان	اختفاء عمر العيار إثر مشادة مع الأمير حمزة	يظهر الأمير إبراهيم والد حمزة البهلوان "فاعل ثانوي.. وذكرته إذ لم يتواتر حضور فاعل أساسي في هذه السيرة"	يوصي بالحفاظ على جوهرة ثمينة "لا أظن يوجد مثلها في هذا العالم" رامزة لعمر الذي هو "جوهرة من أثمن الجواهر يحتاج إليها جيش العرب، وأن الله خلقه في العرب ليقوم بخدمتك، ويكون على يده كلّ نجاح، فلم تكن أمينا عليها.." على لسان بزرجمهر بتصرف	"من الواجب أن نرسل إليه من يترضاه، ولا بدّ من السؤال ليعرف مكان وجوده".
الأميرة ذات الهمة	الأميرة وابنها وجماعة من المسلمين في حبس الفرنج بتدبير عقبة	يظهر الرسول الكريم للكندفرون + المسيح "فاعلان رئيسيان"	= آمرك أن تكون عونا لعبد الوهاب. = وتعمل على خلاصه = وتمضي به إلى بلاد الإسلام وهذا سبب نجاتك من النار = "المسيح": لم لا تسمع من هذا النبي؟ = قل أشهد أن لا إله إلا الله ...	= وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله = ولما عاد لأهله: أريد أن أطلق سبيلهم = ودعا أهله للإسلام وعاون الأمير [٣]

[١] فيروز شاه، مج٤، ص٣٥٧–٣٦٣.
[٢] فيروز شاه، مج١، ص١٣٧–١٣٨.
[٣] الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٧١٠–٧١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

=	كرفناس يطلب إلى ميمونة أن تضرب عنق الأمير حجاف	تظهر طيور تنقضّ عليها وتكلمها "فاعل فرعي"	"إن رجعت اعترضت إليه لينزلن عليك سخط من السماء..."	"نذرت أيها الملك ألا أعود أتعرض له بسوء..."(١)
الملك الظاهر	الظاهر يدعو شجرة الدر للزواج من أبيك فترفض	يظهر الملك الصالح "فاعل رئيسي"	= أخبرتك قبل موتي: إذا دُعيت للزواج فتزوجي = وإذا لم تطيعي بيبرس غضبت عليك يوم القيامة	= يا بيبرس... قل ما عندك من الكلام ولا تخف! فما عليك من باس = فقد قبلنا سياقك (٢)
الملك الظاهر	جمال الدين شيحة لا يستطيع دخول عسقلان فتتكر بزي حكيم لدخولها	المغاوري إنسان له اتصال بمن يعرف السر والحال. يظهر لابنة الملك عبد الصليب المصابة بالسرطان "فاعل ثانوي"	= أرسلي للحكيم الذي أتى عسقلان؛ فدواك لا يكون إلا على يده = أطيعيه وأسلمي = وبه تزوجي	= ما أفاقت حتى أقرت بالشهادة لربها = ثم أمرت بإحضار الحكيم ، فدخل عسقلان(٣)
=	الملك عرنوس وحيد غريب في بلاد الكفر	المقدم معروف يظهر للمقدم إسماعيل "فاعل ثانوي"	"دوِّر على ابن أخيك عرنوس الذي غاب في بلاد الكفر غريب وحيد ماله نصير ولا معين"	= "ما صدقت بالصباح حتى أتيت إليك... = وأنا يا ملكنا أريد أن أتجرد إلى السفر، وأفتش على ابن أخي"(٤).

وقد تظهر ذات السلسلة الحكائية شعرا لا نثرا:

يروي المارين الذي يُخفي إسلامه، وما يزال يسكن بلاد الكفر، فإن أمكنه إطلاق أسير أطلقه، أو هلاك عدو أهلكه... "وأنا هناك عون للإسلام، والقلوب يعلم بها الملك العلام.." (١)

---

(١) المصدر السابق ، مج٦، ص٢٣٥.
(٢) الظاهر بيبرس، مج٢، ص١٠٠٣.
(٣) المصدر السابق، مج٢، ص١٠٩٨
(٤) المصدر السابق، مج٣، ص١٧٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشكلة : أنا كنت في أوائل أمـــري من جملة من يعبد الصلـبـــان

⇩

الظهور: وأقبل سيد الخلق طـــرا وإلى الحوض سار بالتيجـــان

وقلت أغثني أغثني أغثني يا سيد الكونين والثقـــــــلان

⇩

الدعوة : فقال لي إن أردتَ النور حقا اترك عبادة الكفر والطغـيـــان

⇩

الإجابة: فأسلمت في الحال جهرا على المصطفى الهادي إلى الثقلان

وأفقت من نومي لنفسي وفي قلبي حلاوة الإيمـــــان

تنساق الأحلام المدعاة التي ابتغى ساردوها تضليل متلقيها لذات المنطق الحكائي، وهذا يعكس إدراك المنتج لهذه المنامات نجاعة الأثر الذي تضفيه في محيطٍ يعتبرها، ويحترم قداستها المتولدة من مشكاة النبوة الكريمة، ومن هنا كـــان المنام المضلّل يعمد أحيانا لتخليق وجود شخصيات اعتبارية كـــ: سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم–، ويزعم توجيهـــه السرد بغية تحقيق هدف سالب يتغيا رمي البطل في شرك الهاوية، ويجدر ذكر أن هذه المنامات تمّ إنتاجها بآلة الآخـــر المشرك الذي لم يفقه التحذير النبوي: "من تحلم بحلم لم يره، كلّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل"، إلا في القليل النادر الأمر الذي يعكس تلقيا عاليا للمنامات في ظل المحيطين الإسلامي والآخر الإشراكي:

السيرة	المشكلة	ظهور الفاعل	الدعوة	الإجابة
الأميـــــرة ذات الهمة	الصراع بين الملك كوجار والأميرة وأبطالها	يُدَّعى ظهور الرسول الكريم للملك كوجار	= لا تكفر بالله = ولا تخرج عن ملة نبيه = ارجع عن قتـــال ولـــي الله، والمجاهد في سبيله/ الأمير عبد الوهاب = ولئن أشركت ليحبطن عملك = فإن رأيتم أن تأتوا إليه فتكون	قالوا : حبا وألف كرامة، فنأتي إليه ويجدد إسلامه على يدينا

(١) المصدر السابق، مج٢، ص١٢٦٣-١٢٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

			لكم المنة عليه، ليجدد إسلامه على يديكم/ الخادم للملك	
ولما ذهبوا دخلوا الخيمة "ما استقر بهم القرار حتى انخسفت بهم الأرض، ووقعوا في حفيرة عميقة، فوقعوا جميعا ولا بقي منهم أحد"[١]				
وفي الظاهر بيبرس	الصراع بين جوان والظاهر	ظهور المسيح لجوان شيخ الأراجيس وفي الأرض خليفة إبليس	= قل لزهير الرابض في قلعته: سر إلى أرض الشام = اسرق بيبرس وسر به إلى موضع بين حلب والشام = صل "فم الزمانة" = واقطع رأسه هناك	= شكرا للمسيح = إني فاعل كل ما أمرني به [٢]
ونجد ذلك في المقامة الأصفهانية للهمذاني[٣]:				
المقامات	فقر أبي الفتح ورفضه المجتمع	ظهور الرسول الكريم "قد جئتكم ببشارة من نبيكم..."	= علمني دعاء = أوصاني أن أعلم ذلك أمته	= فكتبته على هذه الأوراق بخلوق، ومسك، وزعفران = فمن استوهبه مني وهبته ومن ردّ علي ثمن القرطاس أخذته .. "فلقد انثالت عليه الدراهم حتى حيرته!"[٤].
وفي تعالق نصي بيِّن يستثمر الحريري الدعاء، ويجعله وسيلة الحيلة والكيد، وهو وإن كان مجملا عند الهمذاني، إلا أنه ينكشف ويطول في سياقات متوالية لدى الحريري. والتعالق أسلوبية واضحة اعتمد عليها الحريري الذي انفتح نصه المقامي على المقامة الهمذانية بشكل واضح[٥]، وقد أشار عمر عبدالواحد لآليات عديدة أنفذها الحريري متعالقا مع				

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج٣، ص٦٦٦-٦٦٨.
[٢]) الظاهر بيبرس، مج٢، ص٧٩٩.
[٣]) يحكي العنوان عن انتظام هذه الأفعال في السيرة، إلا أن تقاطع المقامات معها برر ذكرها هنا.
[٤]) مقامات الهمذاني، ص٦٤-٦٥.
[٥]) شعرية النص النثري: مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري، أبلاغ محمد، ص٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهمذاني، حيث إن "مقامات الحريري قد تضمّن نصها تحقيق النوايا المستكنة في نصوص مقامات بديع الزمان، فقد وردت فيها إشارات إلى تيمات وعناصر متعددة تلقفها الحريري وقام بتوسيعها، وبنى عليها أو أدار حولها بعض مقاماته..."[١].				
مقامات الحريري	احتياج الخفارة في طريق الأوبة من الشام للعراق	= معلم الكلمات/ الدعاء وقد يكون الرسول الكريم كما في الهمذاني, وقد يكون سواه. = فلقن الكلمات في المنام ليحترس بها من كيد الأنام	= وهي من أيمن العُوَذ وأغنى من لابسي الخود = ليقرأ كلٌّ منكم أمَّ القرآن = ثم ليقل: ... ويسرد الدعاء المزعوم	= فتلقفناها حتى أتقناها = وتدارسناها لكي لا ننساها [٢]
ثم وُهب الحلي والذهب والفضة، وسار إلى الخمارة محققا التحول الذي "يجب أن ننتظره باستمرار"[٣] في الفضاء الدلالي لشخص البطل، وفضائه المكاني المشحون دوما بفعل السفر.				

توضح الأمثلة التي سيقت للتمثيل لا الحصر طبيعة الأفعال التي شكلت المادة الأولية للمنامات، ثم طبيعة ظهورها في المبنى الحكائي، والغاية من ذلك، وتختزل الترسيمة الآتية ذلك العرض:

المنام المركزي "حامل النبوءة المركزية"

⇩

المنامات الثانوية "محققة النبوءة/ الهدف"

المشكلة ←

الظهور ←

الدعوة ←

الإجابة ←

---

[١]) التعلق النصي، عمر عبدالواحد، ص١٠٣، وانظر ص١٣٠ حيث أشار التعالق النصي بين المقامة البرقعدية والمقامة الأصفهانية للهمذاني التي ادعى فيها رؤية الرسول الكريم في المنام معلما إياه الدعاء.

[٢]) مقامات الحريري، ص١١٨-١٢٣.

[٣]) شعرية النص النثري، أبلاغ محمد، ص٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البنية الحكائية لمنامات الحكايات

توظَّف المنامات في بعض الحكايات لتكون وحدة فعلية سينبني عليها القصّ الآتي، فهي على هذا الاعتبار مكوِّن أساسي في سلسلة الأحداث، يتشكل في نسيج النص ليشكّل بدوره المكونات الفعلية القادمة التي ترسم المسار الكلي للحكاية، وبعد أن يُفضي المنام للحدث اللاحق, يغيب ذكره أو يهمش قصدا لأن دوره الوظيفي قد انتهى[١].

في حكاية نور الدين مع أخيه شمس الدين, يرسم الراوي الحلقة التي ستجمع بين حسن وابنة عمه مناما: يذهب حسن إلى المقبرة لزيارة أبيه : "إني كنت نائما في هذه الساعة, فرأيت أبي يعاتبني على عدم زيارتي قبره, فقمت وأنا مرعوب وخفت أن يفوت النهار ولم أزره, فيصعب علي الأمر"[٢].

ينحصر دور المنام في العبارات السابقة فحسب, ولكنَّ هذا الحدث كان قادرا على توليد سلسلة متوالية من الأحداث لم تكن لترتسم لولا ذلك المنام الذي دفع للمقبرة, وسأعبر عنه بالاختزال التالي:

سلسلة "١":

المنام يُولّد أن ← يزور المقبرة ← ينام فيها يتدحرج رأسه عن القبر ← يلمع وجهه في القمر

سلسلة "٢":

تراه الجنية ← تطير في الجو ← تلتقي عفريتا ← تدعوه لرؤية حسن

سلسلة "٣":

يحدثها عن بنت الوزير التي تشبهه ← الخ.

---

١) "إن الحكاية مجموعة من الأحداث أو من الأفعال السردية تتوق إلى نهاية، أي أنها موجهة نحو غاية هذه الأفعال السردية تنتظم في إطار سلاسل تكثر أو تقل حسب طول أو قصر الحكاية، كل سلسلة ← يشد أفعالها رباط زمني ومنطقي". الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي، عبدالفتاح sequence كيليطو، ص٣٢. وانظر في كون التسلسل إمكانية من إمكانيات التوليف، وحضوره بوصفه متتاليات من الأفعال لا تداخل بينها. الشعرية، تودوروف، ص٧٠.

٢) ألف ليلة وليلة، ج١، ص٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يزخر النص بعد ذلك بسلسلة عجائبية طويلة جدا من الأحداث ما كان لها أن تتم لــولا المنام, ولو أردت أن أتتبع الأحداث بصورة متعاكسة :

سلسلة "٣": حدَّث العفريـــــت ←——— لدعوة الجنية

سلسلة "٢": دعت الجنية بسبب لقاء العفريت←——— التقته لأنها كانت طــائرة فــي الجو

←——— طارت بعد رؤية وجه حسن

سلسلة "١":لمع وجهه بسبب نومــه فــي المقبــرة← ذهــب للمقبــرة بــسبب المنام

وهذا يؤكد على كون المنام وحدة, ولكنها وحدة بنائية هامة للنسيج النصي اللاحق!.

ومثل ذلك تماما يُقال في حكاية أنس الوجود والورد في الأكمام.

إن الورد في الأكمام لا تنتوي البوح للداية إلا بعد اختبارها, ولكنها بمجرد أن تقول لها: "يا سيدتي, إني رأيت في منامي كأن رجلا جاءني وقال لي: إن سيدتك وأنس الوجود متحابان فمارسي أمرهما، واحملي رسائلهما، واقضي حوائجهما.. يحصل لك خير كثير"[١] حتى تبوح لدايتها بكل شيء, وهذا سيولد الآتي:

سلسلة "١": المنام يولّد أن ←——— تخرج الورد في الأكمام ورقة تكتب فيها شعرا ←——— ترسل لأنس الوجود

وهذا يستتبع الرد:

سلسلة "٢": أخذت الداية المكتوب←——— قرأته الورد

ردّت عليه شعرا ←——— أعطته للداية

سلسلة "٣": صادفت الحاجب←——— انزعجت ←——— سقطت الورقة

سلسلة "٤": أخذها الحاجب ←——— سلمها للوزير أبي الورد

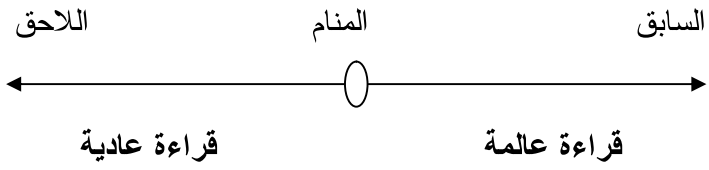
---

[١] ألف ليلة وليلة، ج٣، ص٦١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولحظة التسليم توقّع لأفق جديد في الحكاية، حيث تتولد سلسلة أفعال يتمّ فيها تغريب الورد في الأكمام لجبل الثكلى، ويتغرب على إثرها أنس الوجود بحثا عنها... وتترسم الحكاية أبعادا عجائبية عديدة حتى يتمّ اللقاء الحاصل بعد الفراق الذي لم يتم لولا اكتشاف الوزير حكاية حبهما، ولم يستعلن الراوي بهذا الكشف إلا على ضوء الورقة "المراسلة" التي لم تتحصل لولا المنام!..

وهذا يعني أن وحدة المنام تؤثر بالضرورة في السلسلة السابقة واللاحقة على حد سواء:



تطوِّر بعض الحكايات دور المنام عندما تضفي عليه وظيفة النبوءة، ويجدر هنا التأكيد على:

- إن ذلك لا يُفقد المنام كونه وحدة هامة سيتعلق بها بناء قصصي لاحق.
- إن هذه النبوءة ستفتح أفق توقّع للمتلقي، لا ينغلق مشهده إلا حين تتحقق الرؤيا/ النبوءة، إذ لم يتعرض المتلقي لمشهد حلمي فيه نبوءة إلا ووقعت لاحقا.

تتصدر حكاية "عجيب وغريب" الرؤيا التالية، والقصّ هنا لعجيب: "رأيت كأن والدي قدامي، وانكشف إحليله، وخرج منه شيء قدر النحلة، فكبر حتى صار كالسبع العظيم بمخالب... همَّ علي وضربني بمخالبه، فشقَّ بطني"[١].

لا يتعلق بالمنام ردّ فعل إلا على ضوء تعبيره، ولا يعبّره إلا عارف، وفي لحظة التعبير نستجلي فحسب انفتاح المشاهد اللاحقة. إن ذلك يعني أن التأويل له دور وظيفي لا يقلّ أهمية عن الدور الذي يولده المنام، وفي هذا المشهد التأويلي تكون نبوءة الأخ الذي سيظهر على عجيب!.

مرة ثانية تتولد سلاسل من الأحداث، تتبنى على وجود المنام، وتأويله:

سلسلة "١": بحث عجيب عن أخيه، ثم اكتشاف كونه جنينا.

---

[١] ألف ليلة وليلة، ج٤، ص١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلسلة "٢": أمر عجيب بقتل الجارية وجنينها / أخيه.

سلسلة "٣": إنقاذ الجارية على يد مرداس.

وتتوالى السلاسل حتى يقع التأويل، فيظهر غريب/ أخو عجيب، وتقع بينهما العداوات، وينتصر عليه، تماما كما حملت النبوءة.

إن كانت الأمثلة السابقة أظهرت المنامات بوصفها وحدة بانية لسلسلة أو سلاسل حكائية لاحقة أو سابقة، فإن التمثيل الآن لحكايات انبنت ابتداءً على فكرة المنام، بمعنى أن المنام هو الإطار الرئيس الذي أفرز الحكاية، فلا يمكن على ضوء ذلك تعويضه أو تغييبه:

◆◆ كان يمكن لحسن أن ينام في المقبرة لاستشعاره حاجته لأبيه، ويستمر القص متناولا ذات الوحدات الفعلية المذكورة سابقا. إن تغييب المنام هنا لا يُفضي لفجوة، أو كسر غير مبرر لعلاقات داخلية، وإن كان ذلك يعني بناء تقنية جديدة تعرض فيها تلك الوحدات، وتقييمها يتبع بالضرورة قدرة الراوي وذائقية المتلقي.

◆◆ وكان يمكن للداية أن تُقنع الورد في الأكمام بآلية أخرى غير سرد المنام، ليستمر النص كذلك مولدا السلاسل المذكورة بعد أن تقتنع الورد، وتكتب الرسالة، وهكذا ..

إن المنام بوصفه وحدة يمكن تعويضه، واستبدال الوحدة الحكائية به دون أن يؤثر ذلك في البناء العام للحكاية، ولكنه عندما يُطرح بوصفه بناء عاما فإن استبداله يعني انتهاك الحكاية، وتخليق حكاية جديدة. هذا يعني أننا بإزاء "حكاية منام"، أو "منام حكاية"! نحن بإزاء كلٍّ مناميّ وليس جزءا بغض الطرف عن أهمية ذلك الجزء.

ولمثل هذه الحكايات المنامية سلوك نصي منضبط، رأيت أنه يدور في نقاط رئيسة ثلاث:

● يتصدر فضاء المنام القصّ على تباين تجلياته, ويوضع المتلقي منذ البدايات في إيحاءات الرؤية المنامية:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ في الحالم البغدادي: يكشف السياق نصا صريحا يحيل للرؤيا, فما أن يدرك المتلقي افتقار البغدادي, حتى ينكشف مشهد المنام بإقرار روائي واضح: " رأى في منامه قائلا يقول له: إن رزقك بمصر, فاتبعه وتوجه إليه"[١].

◆◆ ذات البدايات ندركها في حكاية الأميرة دنيا مع تاج الملوك[٢], وقصة حياة النفوس[٣] التي تستلهم التفصيلات وتطور فيها, ولكنَّ القصة هنا لا تستعلن بنصّ بيّن يُطَمْئِن المتلقي أنه دخل فضاء المنام, وإن بدأ الولوج فيه: يبدأ المتلقي إدراك عزوف الأميرة دنيا عن الزواج، وهو عزوف قاس يستدعي التساؤل، وسياقاته عديدة:

= فالملك لدى طلب تاج الملوك الزواج بابنته بقي متحيرا، والتعليق: "لأن ابنته لا تحب الزواج".
= فدنيا تهدد أن تقتل زوجها –إن غصبت على الزواج– بعد أن هددت الرسول بالقتل.
= وإذ يروق لها تاج الملوك تاجرا، لا يروق لها زوجا، وتعود لتهديده بالقتل إن عاد يراسلها.

وإثر محاولات عديدة يائسة لإقناع تاج الملوك بالزواج يستجلي السبب من دايتها، فتقرّ: "لأنها رأت مناما أوجب ذلك..."، وبمجرد أن يقع هذا التعليل سيعود القارئ لقراءة السياقات السابقة برؤية مختلفة، وسيكون النص كالآتي:

= رأت الأميرة دنيا مناما.
= بغَّض المنام للأميرة الرجال، وشكَّلها فتاةً لا تحب الزواج.
= ولذا صارت تهدد بأن تقتل زوجها إن غُصبت على الزواج.

---

[١] ألف ليلة وليلة، ج٣، ص٥٩٤.
[٢] المصدر السابق ، ج٢، ص٢٨٩ وما بعدها.
[٣] المصدر السابق ، ج٥، ص٤٥ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذه القراءة الاسترجاعية ستبدأ بالمنام، وتحيل إليه بالضرورة، ولن يمكن لنا أن نفهم موقف الأميرة إلا على ضوئه، ولذا وجبت إعادة القراءة والابتداء بفضاء المنام، وإن لم يستعلن به راويه نصا.

◆◆ ويقترب من ذلك المنامُ المدَّعى الذي صاغه بعض مكدي بغداد[١]، فنحن نقترب من المنام لاحقا، ولكنا لا بدّ أن نعود لإدراك مرامي الإشارات السابقة والأفعال التي بناها المكدي على ضوء المنام:

= العنوان: "يحتال على القواد الأتراك".

= المكدي يستغني فجأة... يطرح المتلقي التساؤل: "كيف؟!".

= تبدأ السلسلة الحكائية بـ

تعلمت السريانية ← لبست زي الراهب ← خرجت إلى سرّ من رأى

استأذنت على أحد القادة ← عرفته بنفسي ← رويت له مناما

على ضوء المنام ستبدأ كما قلت الإشارات السابقة بالاتضاح:

= العنوان: "يحتال على القواد".. هذا يعني أن المنام سيكون حيلة، فهو منام مدَّعى غير صادق.

= وإنّ لبْسَ زيّ الراهب، والخروج للقواد الأتراك يعني أن المنام سيحمل بنيةً دينية: "رأيت النبي... فدعاني للإسلام!!".

وهذا يعني أن فضاء المنام رافقنا ثانية إثر قراءتنا الاسترجاعية للنص منذ البدايات وحتى العنوان . وهو الذي برر لنا تفصيلات الحيلة، بما فيها اختيار زي الراهب تحديدا ، والوقوف على باب الأتراك.. إلخ.

◆◆ في حديث "الأربعين جارية، وما تمّ لهن مع الملك"[٢] يعلن الراوي المنام مقترنا بتأويله الذي سيكون سببا في كلّ القصّ الآتي، فالملك يرى أنه يركب الفرس، ويرتدي السواد،

---

[١]) نشوار المحاضرة، ج٨، ص٢٧٢ وما بعدها.

[٢]) الحكايات العجيبة، والأخبار الغريبة، ص٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يخوض البحر. تتعدد التأويلات، إلا أن تأويل ابنه الصغير الذي يتنبأ فيه بظهوره عليه: "وربما ظهر عليك ملك لا تقوى على دفعه، وربما كان من ظهرك وأنا هو ذلك". يقضّ مضجعه، فيأمر بقتل ابنه. المتلقي العارف بحتمية وقوع التأويل يستبعد القتل، وينتظر ظهور ابن الملك بيقين. إن فضاء المنام بإيحاءاته وأدبياته حاضرة الآن في أذهاننا، بل وقادرة على جعلنا نحسن ترسيم شكل النهايات لحكايته.

– وفي قصة امرأة أبي رافع: يكون المنام استهلالَ الحكاية: "إن امرأة أبي رافع رأته في نومها بعد موته، فقال لها ..."(١).

● البدايات تفضي للآتي، فمنطق القصّ أن الوحدة تسلم للأخرى، وحيث شكّل الرواة ابتداء حكاياتهم بالمنام، كان المنام سببا منطقيا للتوليد اللاحق، بينما كان في جلّ المنامات التي عرضت لها سابقا مجرد بنية فعلية، وإن انبنى عليها لاحق ضمن ضرورة القص:

في الحالم البغدادي:

"١": يرى مناما ← يسافر لمصر ← ينام في المسجد

"٢": دخل اللصوص المسجد ← تسلقوا منه للبيت ← صاح أهله

"٣": أغاثهم الوالي ← دخل المسجد ← وجد الرجل

في الأميرة دنيا:

"١": رأت مناما ← أبغضت الرجال

"٢": طلبها تاج الملوك ← تحير أبوها ← رفضت ← هددت بالقتل

وتراتب الأفعال اللاحقة إثر السابقة صار واضحا، لذا لن أطيل فيه، وما يهمني هنا هو التأكيد على:

◆◆ كون المنام استهلالا فعليا في الحكايات المنامية، على اختلاف تجليات استيضاحنا له، فقد يروى نصا، وقد ندركه إثر قراءة استرجاعية على ضوء إدراك المنام لاحقا.

---

(١) العقد الفريد، ج٧، ص١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ ترتب الأفعال اللاحقة بشكل منطقي بدهي على فعل المنام، وعلى ذلك يكون المنام هو المولّد الحقيقي للأفعال الحكائية في هذه الحكايات، عوض أن يكون مجرد بنية تتوسط المجموع الكلي للبنى التي نشأ عنها القص.

● تحرص هذه الحكايات على ردّ القصّ للمنام ثانية، بعد سردها لسلسلة الأفعال التي بنت الحكاية، وكأنها تذكر بمكانة المنام العجائبية بإفرازها بعدا عجائبيا، صادما للتوقع، وبذا ينحصر كلّ القصّ بين قطبي المنام الواردين ابتداءً وانتهاءً:

◆◆ في الحالم البغدادي: ما إن يقرّ البغدادي عبثية السفر وبطلان الرؤيا التي دعته للسفر إلى مصر، حتى يفرز النصّ مناما آخر تكرر ثلاث مرات "منام الوالي"، فكأننا بإزاء منامات وليس مناما واحدا يدعو للسفر إلى بغداد، والبحث عن الكنز هناك، وبذا تتأول رؤيا البغدادي ويدرك كنزه في بيته.

◆◆ في حكاية الأميرة دنيا/ حياة النفوس تنفكّ عقدة المنام بإعادة ترسيمه أو تحريفه، حيث يعمد الوزير العاقل لإتمام المشهد، بجعل ذكر الطير مذبوحا الأمر الذي لم يمكنه من إنقاذ أنثاه، وهنا يبدأ التحول فتتقبل الأميرة دنيا الرجال: "سبحان الله! إن هذه صفة ما رأيته في المنام... يا دادتي إني كنت ألوم الرجال وأبغضهم، لكن انظري الصياد كيف ذبح الطيرة الأنثى، وتخلص الذكر وأراد أن يجيء إلى الأنثى ويخلصها، فقابله الجارح وافترسه..".

◆◆ أما في حديث الأربعين جارية فإن تعليق الابن نهايةً يفصح عن كون القصّ مبنيا لتأويل رؤيا الملك فحسب: "يا أبتي! هذا تأويل رؤياك قد جعلها ربي حقا..".

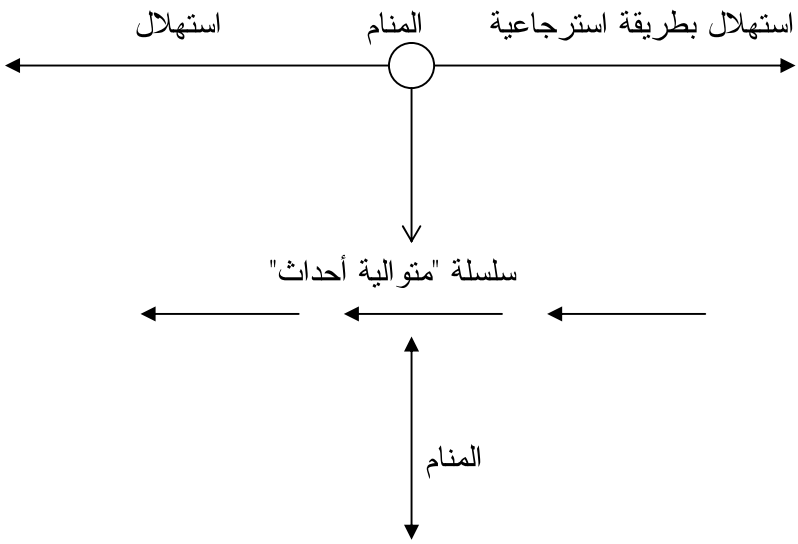
◆◆ وفي حكاية المكدي ينتهي السرد بتعليق الراوي: "فحدثهم التركي بالحديث فضحكوا"، وما الحديث الذي يشير إليه إلا انتحال المنام، وزعم رؤية الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– وتبشيره القائد بالجنة.

◆◆ وأخيرا، فإن عقدة الصيرفي مع أم رافع تنحل باشتراطه عليها وعلى شيوخ آل رافع بألا ترى زوجها ثانية في المنام، فيدّعي حقا جديدا!.. وبذا ارتدّ السياق على بداياته، وأغلق المشهد تماما فلا ابتداءَ ثانية بمنام يستدعي ادّعاءً وحقا ماليا جديدا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفرزت حكايات المنامات على ضوء العرض السابق البناء الآتي:

١. الاستهلال بالمنام أو الإيحاء به.
٢. سلسلة أفعال/ وحدات حكائية تتولد عن المنام، ترتد إليه بالضرورة، فتحقق نبوءته، وتفك عقدته، وتبني سياقه العام.
٣. ارتداد القص لفضاء المنام، وحصر المشاهد الرئيسة في منمنماته الخاصة:



All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنواع المنامات:

لم تقدم النصوص المدروسة رؤية واحدة للمنامات, بل لقد تجلّت محتفية بأشكال عديدة, بناءً على الغاية الجمالية والموضوعية التي ارتأى السارد حاجة السرود لها. ولعلّ من أهم أنواع/ أشكال المنامات التي استطعت رصدها:

❋❋ المنام المركزي

وهو المنام الذي ينهض بعبء الوظيفة المركزية, وتوليد سلسلة من الأحداث والمنامات لتحقيقه وإنفاذه. ولذا فإن مثل هذه المنامات تحتضنها السرود الطويلة التي تتفسح فيها مساحة السرد, وتكون قادرة على استيعاب سلاسل الأحداث المولّدة مثل السير الشعبية ! فلا تظهر في السرود ذات الأخبار القصيرة "النشوار، والعقد، والأغاني"، أو الحكايات القصيرة "المقامات، وألف ليلة وليلة، ومئة ليلة وليلة/ التي ظهرت فيها المنامات وليست كل الحكايات"، وهكذا..

تتصدر المنامات المركزية السير في الغالب، حاملةً نبوءة السرد، وواعدةً بتحقيقها وإنفاذها، إنها تمثل بذلك منطق القصّ الذي يعد المتلقي دائما بإنفاذ النبوءة، وفي المقابل يتكئ السرد على المنام المركزي، فيظلّ يوالي الإشارة إليه، مخلقا بذلك الحافز الذكي الذي يحافظ على تيقظ المتلقي منذ البدايات التي حكت النبوءة، وحتى أوان النفاذ والتحقيق.

لعل منام "الصلب" الذي تبنته سيرة الأميرة ذات الهمة أشهر مثال على ذلك: فبعد أن فرغت السيرة من المنامات المركزية التي حكت ميلاد الأبطال: جندبة، والصحصاح، وظالم، وعقبة، ثم المنام الذي برَّأ الأمير عبد الوهاب من تهمة الولادة غير الشرعية، يجيء منام الصلب الذي يرتب طبيعة العلاقة بين قطبي السيرة المتصارعين: عبد الوهاب ممثلا الإيمان، وعقبة ممثلا الكفر والارتداد، وحيث إن السيرة تنهض بفكرة الصراع الذي يريد تأكيد الإسلام أخيرا، كانت فكرة منام الصلب التي تنسجم فكريا مع إرادة السيرة الرئيسة.

أول ظهور لمنام الصلب كان في الجزء الأول، وضمن مشاهد متقطعة لا مشهد واحد:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= في المشهد الأول يحاور الأمير الرسولَ الكريم بائًا له شعور الحسرة المتسبب عن اختيار عقبة "دين النصرانية على الشريعة المحمدية"[١]، وهذه عبارة جوهرية تفضح أساس الصراع، وتبرر لإرادة الصلب لاحقا.

= لا يبشر الرسول الكريم بالصلب مباشرة، وإنما يدعو الأمير وأصحابه للتوجه لموضع السنديان حيث يرون العجب.

= ينام الأمير في ظلّ شجرة في موضع السنديان، ويُطْفِها المنام، فإذ تئن أنين الثكلى تقول: "أيها الأمير! صدق الله ورسوله، فإذا قمت من نومك قل لأصحابك يقطعوني، وبهذا حكم الله –تعالى– فلا مردّ لحكمه، ولا دافع لقضائه... فعليّ يكون صلب عقبة الملعون على باب الذهب، بعد أن يقتل ثلاثمئة ألف على صلبه من سائر الأمم".

وحكاية الشجرة تشظّي النبوءة إذ تجعلها نبوءتين: "الصلب.. وإفساد عقبة الذي يطول ثلاثمئة ألف إنسان. تتقاطع النبوءة مع إرادة الله –سبحانه– ورسوله اختزالا أول الأمر: صدق الله ورسوله.. ثم تفصيلا إذ يكون الصلب عليها حكم الله الذي لا رادَّ لحكمه، ولا دافع لقضائه. ولا شكّ أن إحالة الرسول لموضع السنديان الذي نطقت فيه الشجرة مقصود يوقّع للإعجاز، ويجعل من الصلب نبوءة ممكنة بعد أن تحقق العجب في نطق الشجرة يقظة لا مناما، فالأمير "سمع أنين الشجرة في يقظته، كما سمعها في نومه".

القراءة الدقيقة لأحداث السيرة بعد هذا المنام المركزي، تولّد نبوءات عديدة، ومعرفة تستبق، وتكشف، وتقبل، أو تردّ على ضوء إدراك ضرورة تحقق الصلب كما أخبر الرسول الكريم على يد الأمير، وعلى أغصان تلك الشجرة، إن هذا يعني:

= استحالة موت عقبة بآلية دون الصلب.
= استحالة موت عقبة دون قتله ثلاثمئة إنسان من سائر البشر.
= استحالة صلب عقبة على غير أغصان شجرة السنديان.
= استحالة موت الأمير قبل تحقيق الصلب.

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٨٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الافتراضات باتت حقائق في ظلال السيرة التي لعبت سياقاتها حيلا عديدة، وأبطلت أخرى في سبيل تحقيق المنام كما ورد. كيف لا؟! وهي سيرة احترمت في مواضع عديدة جدا أدبيات المنام، وأقرت أن التأويل الوحيد لظهور الرسول الكريم في المنام هو ظهوره الحقيقي، بذا قال رجالات السيرة من أصحاب الأمير. إذن، سيرافقنا المنام في كلّ المجلدات اللاحقة، ومن زاوية الفريقين: المؤمن والكافر:

على صعيد الإقرار:

◆◆ يعوِّل الأمير "على ضرب رقبة عقبة، ولا بدّ على باب الذهب من صلبه، وحرمة المقام، والكعبة، ولو أني أشرب دونه كأس الحمام..."[١].

◆◆ وإذ تتمنى الأميرة فتح القسطنطينية وإقامة الأذان فيها، يعلق الأمير: "هذا أقصى مرادي، وأصلبه على باب الذهب في القسطنطينية، ويكون ذلك تصديقا لمنامي.."[٢].

◆◆ وعلى لسان أبي محمد البطال: "قد عولت على أنني أسلم إليكم رقبة القاضي عقبة، ونفتح القسطنطينية، ونصلب عقبة على بابها"[٣].

◆◆ وعلى لسان المأمون: "ما أرحل من ها هنا حتى أصلب الملعون عقبة على باب القسطنطينية فإنه نصراني لا محالة.."[٤].

◆◆ وعلى لسان البطال وعقبة بين يديه ولا يقتله: "لا بدّ أحمل رأسك بيدي، ولو دخلت إلى القسطنطينية وحدي، وأعلق رأسك على باب الذهب، حتى يكون ذلك تصديقا لقول النبي المنتخب"[٥].

---

١) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٤٩.
٢) المصدر السابق ، مج٣، ص٢٢٣.
٣) المصدر السابق ، مج٤، ص١٢٣.
٤) المصدر السابق ، مج٤، ص٣٠٤.
٥) المصدر السابق ، مج٥، ص٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى صعيد الفعل:

◆◆ يحرص الأمير ورجالاته ألا يكون قتل عقبة إلا صلبا على باب الذهب، وقد واتتهم الفرص مرارا وتكرارا للقضاء عليه دون الصلب، إلا أن إجماعا عاما رفض ذلك حتى لا يكذَّب منام رسول الله.

◆◆ أراد الملك شعشعونا قتل القاضي بالسيف، فتشفَّع فيه أبو محمد البطَّال: "وسأله في تركه وأن يعذبه بالضرب الوجيع، والشتم المُجيع، وقال: أيها الملك! إن قتلته فقد كذب المنام الذي رآه الأمير عبد الوهاب بأنه يصلب على باب الذهب.."[١]. بل إن البطال لما ظنّ موت عقبة ذبحا: "تمنى أن يكون هو المذبوح"، وإذ تيقن نجاته حمد الله: "ما هو رأس اللعين عقبة، وأنا ما أردت قتله حتى أشتفي منه، ونهتك ستره... ونصلبه على باب الذهب كما أمرنا سيد البشر.."[٢].

◆◆ وإذ أقبلت ميمونة جازمة قتله وضربه: "ضربة تورثه بها النكبة، فقال لها الأمير عبد الوهاب: دعيه، فما قصده إلا قتله على هذه الصفة، فلا تعطيه مناه"[٣].

وحكايات ذلك عديدة جدا، يختزلها المقطع الآتي، وسأورده على طوله تاما لما يكتنز من دلالات تصف إرادة الصلب فحسب كما رئيت في المنام، وتعلل لذلك اعتبارا لأدبية الرؤيا: الحوار بين لؤلؤ والحكيم إقليدس:

" كيف يسلم من أيديكم وقد وقعتم به ألف مرة, وهو على هذه الصفة فلم تقتلوه وتريحوا أنفسكم منه؟. فقال لؤلؤ:

– لأجل الأمير عبد الوهاب؛ لأنه رأى في المنام النبي يقول له: إن هذا عقبة يُصلب على باب الذهب بالقسطنطينية، بعدما يهلك عليه خلق كثير من الروم والعرب، فلما سمع الأمير ذلك أصبح وأعاد المنام على جميع الناس، وأوصى كلّ من وقع به لا يقتله حتى يصحّ

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج٣، ص٤٠٩.

[٢]) المصدر السابق ، مج٤، ص١٢٦–١٢٩.

[٣]) المصدر السابق ، مج٤، ص٤٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنام عن النبي، لأنه قال –عليه السلام–: من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي"[١].

يستغل عقبة هذه الإرادة الجمعية التي تتغيا قتله وصلبه على باب الذهب، في إبطال أية قتلة ممكنة قد لا تودي للصلب، ولا شكّ أن هذا مدَّ في أجل السرد، وعمل على تطويل السياقات التي أريد لها تأكيد قيم السيرة. ويُلحظ في هذا السياق أن عقبة كان يقدم التعليل بنصّ واضح عندما كان يحاول إبطال فعل القتل أو الهزء من المنام، ليوحي أولا بعدم مصداقية الرسول/ الإيمان –تعالى عن ذلك– ، ولتتحصل له النجاة ثانيا: في سياق اقتناع الأمير بقول مالك بن طوق وهو يشجع على قتل عقبة دون الصلب: "وابرداه على كبدي ولو لم يكن في حرقي إلا تكذيب قولكم إذ قال لكم نبيكم: أصلب، وأنا اليوم أحرق حتى تعلموا أن دين المسيح هو الصحيح؛ لأني رأيته في المنام وشكوت له أنكم تصلبوني على باب الذهب... فقال لي: لا تخف من ذلك فما يقدرون عليك.. ولا يصلبوك.."[٢].

وأخيرا ينكشف عقبة، ويُصلب على باب الذهب، وتتحقق نبوءة المنام المركزي[٣]، ويستعلن السرد برمزية الصلب التي تقرّ صلب ما دون الإسلام، وهو الوظيفة المركزية الرئيسة التي كانت لأجلها سيرة الأميرة وابنها الأمير الذي تلقب بترس النبي الكريم، وكان منافحا عن دين الإسلام في منام مركزي آخر سبقت الإشارة إليه، وتمّ تحققه كذلك.

❋❋ المنام المدَّعى:

وهو المنام الذي لم يُرَ على الحقيقة، بل زعم راويه رؤيته، وغالبا ما يرويه غير المسلم، ذلك أنه لا يعتقد بقدسية المنام المؤتلفة مع قدسية النبوة, وأنه لم ينطلق من العقيدة التي تحذر: "من أفرى الفرى أن يري الرجل عينيه ما لم تر".

وتنسج هذه المنامات لتحقيق هدف ما, وإذ تجسّد كم كبير منها في السير الشعبية التي تمثل فضاء الحرب والصراع والخديعة, كان تخليقها مبررا مفهوما.

---

[١]) المصدر السابق ، مج٣، ص٥٠١.
[٢]) الأميرة ذات الهمة، مج٤، ص٤٨١.
[٣]) المصدر السابق ، مج٧، ص٩٢٦–٩٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سأركز هنا على ثلاثة عناصر رئيسة تصنع المنام المدّعى:

١. المدّعي: وغالبا ما يحتفل بالقيمة السالبة المضلّلة.

٢. العلامة: إذ يحشد رواة هذه المنامات علامات وقرائن من شأنها ان تغرر بالمتلقي, وتدفعه للإيمان بالمنام.

٣. الهدف: إذ تنطلق المنامات المدَّعاة لتحقيق هدف ما يبتغيه راووها منها.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

المدَّعِي	العلامة	الهدف
تدعي قمرية[١]/نموذج الأم القاهرة ظهور زوجها في المنام , وإرادته تسليم سيف القلعة والمدينة, وكل ما ورثته.	وتحشد في سبيل إقناع الملك سيف رؤى أبيه الماثلة بإيمانه بقدرات سيف الخلاقة, الذي سيحقق نبوءة السيرة المركزية حيث: = تخضع له الملوك بعدا وقربا. = وينصر العربان على الحبش والسودان. = وتنفذ دعوة نبي الله نوح على يديه. ولا شك أن التأكيد على هذه النبوءة والإيمان بها , مما سيؤثر إيجابا على سيف ويدفعه للاقتناع.	وقد تغيَّت قمرية بادّعاء المنام قتل سيف والتخلص منه؛ حفاظا على ملكها وموروثاتها.[٢]
يدّعي عقبة ظهور المسيح وإرشاده لموضع فيه ثمانمئة ألف دينار، يستخدمها في النفقة	وقد كانت العلامة المال ذاته، حيث دفن فيه عقبة الثمانمئة ألف دينار من أيام الملك منويل، ويركّب مع هذه العلامة المادية علامة روحية إيمانية وهي ظهور المسيح الذي يعتقد به ملوك الروم الذين توجه إليهم الخطاب.	وقد تغيا من ذلك إقناع النصارى بشخصه وقدراته الروحية وأنه لذلك يتصل بالنبي الكريم، وينكشف له الغيب[٣].

١) "صورة الأم قاتلة الأب، والمتآمرة على الابن.. ترتفع صورة الأم الملكة قمرية كسلطة جديدة لا يجرؤ أحد على محاكمتها.." وفي موضع آخر: "مصابة بمرض التسلط والتملك، مرض الاستمتاع الوحشي"، بهذه المفردات يجسد خليل أحمد صورة قمرية القاهرة في: نقد العقل السحري، ص٣١.

٢) الملك سيف، مج١، ص٢١٨.

٣) الأميرة ذات الهمة، مج٤، ص١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقابل شخصية عقبة في الظاهر بيبرس شخصية جوان "شيخ الأراجيس وخليفة إبليس"، وقد ادّعى ظهور المسيح الذي أمره بإنفاذ قتل الظاهر.	والعلامة الظاهرة هنا علامة إيمانية وهي المسيح ، وتكرار ظهور المسيح في المنامات المضلّلة بيِّن، وذلك لإسباغ السمة الشرعية على هذه المنامات، ومقابلتها بالمنامات الإسلامية التي يظهر فيها شخص الرسول صدقا وحقا.	الهدف واضح يبتغي قتل بيبرس والتخلص منه[١].
وقد يدعي مسلم منامات مضللة يقصد بها تحقيق مكتسب خاصّ، عندئذ يتواضع المتلقون على نحل هذه الشخصية سمات تفارق الصلاح، الأمر الذي أهَّل للافتراء على النبوة الكريمة، وزعم المنام المدَّعى. وتسير هذه المنامات محتفظة كذلك بالعناصر التي ذكرتها سابقا:		
يجعل النشوار الحلاج كاذبا مدعيا، محتالا بالنص الصريح، فقد "أنفذ أحد أصحابه إلى بلد من بلدان الجبل، ووافقه على حيلة يعملها" وهي ادّعاء المنام فتسقط الصفات ذاتها على الرجل الذي ادّعى النسك والعبادة، وأضمر الاحتيال حتى مرض وعمي	تتكرر فكرة ظهور الرسول الكريم الذي دعا الرجل لانتظار قدوم عبد صالح تكون النجاة والشفاء على يديه، وهو هنا الحلاج.	يهدف هذا المنام لتحصيل مكتسبات مادية من أولئك الذين سيقتنعون بصلاح الحلاج الذي بشر الرسول الكريم بقدومه وشفاء صاحبه[٢].
وقريب من ذلك ادّعاء أبي الفتح الإسكندري والسروجي رائدا الاحتيال والكدية	يتكئ الأول على ظهور الرسول الكريم، ويتعالق السروجي معه في ظهور من علّم الدعاء	الهدف الظاهر الخفارة والحماية، بينما يستبطن كلّ منهما هدفا مضمرا يكمن في المكتسب المادي [٣]

[١]) الظاهر بيبرس، مج٢، ص٧٩٩.(
[٢]) النشوار، ج٦، ص٧٦ وما بعدها.(
[٣]) مقامات الهمذاني، ص٦٤، والحريري، ص١١٨.(

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُلحظ أن المنامات المدّعاة ترتب أثرا لازما، حيث يتم الاقتناع بالمنام وتصديقه. إن المنام المدَّعى حيلة لا تبطل: يخرج سيف مع أمه خارج المدينة، ويهتف ملوك الروم: "هذا هو راهب المسيح لا شك فيه، وهو خليفته في الدنيا.."، ويعد زهير جوان بأن يفعل كلّ ما أمر المسيح، ويخرج الناس المال للحلاج حتى اجتمع له ألوف الدنانير والدراهم، أما أبو الفتح فتنهال عليه الدراهم حتى تحيره، ويحلو الذهب والفضة في عين السروجي، ثم يلتجئ للخمارة بعد النسك والزهادة، وتبتل الدعاء.

تعكس المنامات المدعاة إيمانا مجتمعيا بقداسة الأحلام، ولذا اتخذها صانعوها أداة للحيلة الذكية التي لا بدّ أن تصيب هدفها، وتحقق الغاية منها. وقد كشفت الأمثلة التي سيقت للتدليل لا الحصر أن هذه المنامات تهدف تضليل متلقيها بغية تحقيق أهداف، سواء أكانت أهدافا شخصية أم عامة تحكي الصراع بين الإسلام والكفر، وحيث إن الاقتناع بها كان لازما، وإجابتها حتمية فإن ذلك ساهم في دفع السرد وتوليد سياقات عديدة طويلة، لا سيما في السير الشعبية، الأمر الذي أبدع المفارقات، وما تحمله من أثر تشويقي جمالي في واقع المتلقي.

❋❋ المنامات المتوافقة:

ويمثلها المنام الذي تصدقه منامات أخرى، فتوافق بنيته الفعلية، وتحكي ذات الدلالة التي يشير إليها. وقد جسّدت هذه المنامات أشكالٌ متعددة أهمها:

● أن يتكرر رؤية ذات المنام لذات الرائي، ومنه منامات فيروز شاه بعين الحياة، حيث زارته لثلاث ليال متتابعات، الأمر الذي أفضى للإيحاء بصدق المنام، وواقعية الطيف[١]. ويرى جعفر البرمكي من ينذره بـ "النقمة وزوال النعمة"، مرتين متتاليتين، ويفضي ذلك لإقراره جزما بصدق المنام: "يا سهل! ألم أقل لك إن دولتنا قد انقرضت؟"[٢]. وإذ يبشر الرسول الكريم بصلب عقبة يوالي التأكيد تثبيتا للأمير وإقرارا بصدق النبوة. ويُلحظ هنا أن المنامات التي تصدّق الرؤيا الأولى تضيف إليها سردا يحكي التفصيل، ويتطرق لحيثيات زمانية ومكانية: "فمتى يكون ذلك؟ فقال: إذا وصلت الروم إلى الإسكندرية، وأخذت العلوية،

---

[١]) فيروز شاه، مج١، ص٢٥-٢٧.
[٢]) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفتح الله على أيديكم عمورية.. وقد قرب العهد فيما بينكم"[١]. وقد رأى الوالي المصري من يكشف له سر الكنز في بغداد في قصة الحالم البغدادي ثلاث مرات متواليات، وإذ يسقّه البغداديَّ الذي رحل لمصر بحثا عن كنزه، يعلن السرد وجودا حقيقيا للكنز، ويستعلن من زاوية أخرى بصدق منام يتكرر لثلاث مرات [٢].

● وقد تتكرر رؤية ذات المنام لرائين متعددين، ويوظّف السياق هنا عبارة واضحة تشي بهذا التخاطر تحكي تكرار المنام بنصه، وغالبا ما تكون: "وما منا إلا من رأى هذا المنام". ويجعل السارد مثل هذا التوافق توقيعا مميزا لصدق المنام الذي ينبغي أن يولّد إجابة وتحفيزا للسياقات القادمة. إن الاعتقاد بالمنام وصوابيته متأتية من مجرد حدوثه، فإذا تمّ مثل هذا التوافق بين أفراد متعددين كان ذلك أدعى لاعتبار المنام، واحترام إيحاءاته ودلالاته.

◆◆ يرى الأسقف الذي أسلم النبي الكريم يدعوه للتعبد جهرا لا سرا, وإذ يعرض الرؤيا على بقية الرهبان يفاجئونه: "والله ما منا أحد إلا وقد رأى في منامه الليلة ما قد أهاله من الخوف والحساب..."[٣] , وإذ يدعو الكندفرون آل بيته للإسلام بعد ان آمن على يد الرسول الكريم في المنام, يرددون:"وما فينا إلا من رأى كما رأى صاحبه.."[٤] ويحكي بشر رؤية الرسول الكريم وسؤاله إنقاذ العبد الصالح حجاف, وإذا بأهله يهتفون :"أبشر! فما فينا إلا من رأى مثل ما رأيت..."[٥] ويرى السلطان المقدم معروف يستغيث من سجنه, ثم يتراءى للمقدم عماد يستغيث ويرجو الفرج, ويضيف المنام هنا أبعادا للفضاء المكاني ليستدل بها المقدم عماد على مكانه. وإذ يروي المنام أمام السلطان, يثير التداعي والتذكر:" يا مقدم عماد, إن المنام هذا انا رأيت منام مثله وانا في مصر!"[٦]. ومن المنامات المتوافقة التي يشي النص بتكرارها على مراحل زمنية متباعدة, ما أثاره عرنوس الذي أسلم على يد الإمام علي بن أبي طالب, وإذ يقدم على الملوك يدعوهم للإسلام, يعرفونه بدخولهم الإسلام ولذات السبب/

---

[١]) المصدر السابق ، مج٥، ص٢٥٧.
[٢]) ألف ليلة وليلة، مج٣، ص٥٩٤.
[٣]) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٤٧١.
[٤]) المصدر السابق ، مج٢، ص٧١٣.
[٥]) المصدر السابق ، مج٦، ص٢٩٠.
[٦]) الظاهر بيبرس، مج٣، ص١٥٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحفز المنامي وأنهم قد سبقوه بمدة زمانية: "لا تسألنا عن شيء ! فإن المنام الذي رأيته أنت, نحن رأيناه فإن كنت أسلمت اليوم, نحن أسلمنا قبلك بخمسة عشر شهرا"(١).

◆◆ ومن الطريف أن راوي ألف ليلة يرسم مشهدا حلميا متكاملا, ويكرره بآثاره وتفصيلاته للأميرة دنيا مع تاج الملوك, وحياة النفوس إذ ترى كل منهما وقوع الطير في الشرك, وحرص الأنثى على إنقاذ ذكرها , وإذ يرمي الصياد شباكه ثانية وتقع الأنثى لا ينهض الذكر لتخليصها , مما يستوجب أن تبغض كلّ منهما الرجال, ولا تنفك عقدة المنام إلا بإعادة ترسيمه مع شيء من التحوير الذي يبين أن الذكر لم يَخن وإنما لم يقدر على تخليص الأنثى حيث سبق له القدر بالذبح على يد الصياد! ولا تشير القصة الواردة تحت عنوان "حكاية أردشير وحياة النفوس" نهاية الجزء الرابع لأدنى إحالة لقصة تاج الملوك الواردة في الجزء الثاني, وإن كان ترسيم الحكايتين يكاد يكون متطابقا في فضاء القص كاملا, وليس المنام فحسب!

● ومن الأحلام المتوافقة أن يرى حالمان منامين مختلفين, يرمزان لذات الرمز, ويحملان ذات الدلالة, وهو قليل, ويمثله مناما السلطان وعرنوس اللذان يرمزان لشهادة عرنوس, فأما السلطان فيرى أن لعرنوس أجنحة تحفزه على الطيران، فيضعه في قفص, فتأتي طيور سود فتنقض عليه وتقطعه, ثم يقص عرنوس منامه القاضي برؤية أبيه المقدم معروف وهو يدعوه لرؤيته عن طريق الجهاد, ويريه نساءه من الحور العين. وتتحقق الشهادة كما أولها السلطان: "يا ملك عرنوس إن هذا منام يدل على زوال نعيم الدنيا, والتمتع بنعيم الآخرة !"(٢).

يظهر أن السارد أناط بالمنامات المتوافقة أن تؤكد الرؤيا, وتؤكد نبوءتها, الأمر الذي سيحيل إلى تأكيد آخر لوعد المتلقي بإنفاذ النبوءة, ووقوع رمزيات المنامات حقا على أرض الواقع!.

كما مكن السارد هذه المنامات من الإضافة والبناء, فالمنام التالي يؤكد الأول ويضيف له بيانا زمانيا ومكانيا، ومعلومات جديدة, تفيد إضافة يحتاجها السرد ومتلقيه, وبعدا جماليا يتأتى من إتمام بنيات المشهد وتكميل ملامحه الدقيقة!.

---

(١) المصدر السابق ، مج٣، ص١٥٦٨.

(٢) الظاهر بيبرس، مج٥، ص٢٧٥١-٢٧٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنواع التأويلات

تلازم المنامات تأويلاتها، التي غالبا ما تصدر عن مؤول عارف قادر على فكّ رموزها، والوقوف على دلالاتها. وقد اتخذت التأويلات أنماطا عديدة كما أشرت لذلك عند الحديث عن التشكيل العام لمنامات الأخبار، وسأطرح في هذا السياق التأويلات التي ذُكرت نصا، وقد رصدت تبلورها ضمن العنوانات الآتية:

❋❋ **التأويل الصائب:**

يتحصل التأويل الصائب من امتلاك المؤول أدواته اللازمة التي تمكنه من فك رموز المنام، والوقوف على أسراره، وإن كنت قد عرضت لذلك في المبحث النظري الذي أصّل له ابن سيرين، وتواضع عليه المؤولون على تباين طبقاتهم، إلا أن السرود محلّ الدراسة تسكت عن الأدوات نظريا، ولا تفصّل في امتلاك المؤول مفرداتها اللغوية، والدينية، والاجتماعية على سبيل المثال، ولكنها في المقابل تحيل بإشارات بيّنة لضرورة أن يكون أهلا للتأويل، كما في إحالتها لامتلاك المؤول كتابا هاما، أو عندما تشبهه بابن سيرين علما ودراية.. وإذ سأقف عند المؤول العارف تفصيلا لدى الحديث عن المروي له، سأكفّ هنا عن التفصيل، مكتفية بالحديث عن التأويل الصائب الظاهر نصا.

أولى النقاط الملحوظة هنا أن تكرار هذا التأويل أجلى وأكثر اتساعا من التأويل المضلل، وذلك لأن الرائي يتخير لتأويل منامه العارف بالتأويل، ولذا سيفرز هذا الانتقاء بالضرورة تأويلا صائبا، يتحمل سرديا عبء القيام بوظيفة أساسية، تكون في الغالب الإعلان عن النبوءة: فإذا كان المنام الذي يحمل نبوءة ما – وهو المتكرر– يشكل لحظة ميلاد النبوءة، فإن التأويل يشكل لحظة الإعلان عنها. وحيث إن النبوءة استعلنت من منظور الخبير العالم فإن هذا بشير تحققها الواجب.

سأذكّر ضمن هذا الإطار ببعض المنامات الأكثر أهمية، لحظة تأويلها تأويلا صائبا:

◆◆ يؤول بزرجمهر منام كسرى بظهور الفارس الحجازي الذي يستعيد ملكه من يد أعدائه[١].

---

١) الأمير حمزة، مج١، ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ يؤوّل منام الرباب: "إن هذه المرأة تلد مولودا له شأن وأي شأن! ولم يكن مثله في هذا الزمان، ويخرج من صلبه ولد عظيم أعظم منه وأدين منه، وأنقى وأحسن.."[١].

◆◆ ويؤول الحكماء منام غالية زوجة مصعب بن الوليد: "يأتيك ولد شرير –عقبة– يلقي الفتن بين الناس من النساء والرجال، ويكون سفاك دماء..."[٢].

◆◆ ويؤول منام الملك الصالح: فالضباع أهل الكفر والضلال.
والسباع المماليك.
والأسد مقدمهم، وهو الظاهر بيبرس[٣].

يلحظ على ضوء ما تقدم تضمُّن هذه المنامات رموزا تستدعي طلب تأويلها، الذي يقع صدقا على أرض الواقع، ولا يعني ذلك أن كل منامات النبوءة استدعت تفسيرا، إذ إن بعضها يرد وهو يحمل بذور التأويل في ثناياه، فنجد السرد قد أعلن التحقق الفعلي دون المرور بالتأويل النصي.

❋❋ التأويل المضلل:

وهو نادر، ويقع قصدا لتحقيق غايات معينة ، منها:

الحفاظ على الفارس الحجازي "الفاعل الرئيسي"، ولذا ضلل بزرجمهر كسرى بالسكوت عن بقية التأويل، فالفارس الذي يستعيد الملك سوف يقضي على كسرى أخيرا، فيرفع نير الفرس عن العرب، وقد أفضى هذا التضليل لرعاية كسرى الأميرَ حمزةَ ومن وُلد معه، لينكشف أخيرا هذا التضليل، وقد أفصحت رسالة كسرى للعرب عن ذلك بعد أن انتصروا عليه: "... وأقمتم لكم سلطانا عظيم لقبتموه بالسلطان الأكبر، وبعثتم إلى البلاد التي هي ملكي وتحت حكمي تعلنون ذلك، وتدعوهم إلى طاعتكم... وتأكدت من وزيري بختك أن قصدكم

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٨.
[٢]) المصدر السابق ، مج١، ص٥٨٨.
[٣]) الظاهر بيبرس، مج١، ص٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقل عظمة العجم إلى العرب، ونويتم... قرض الدولة الكسروية القديمة العهـد.."[١]. وهـذا بعينه يشف عن وظيفة السيرة المركزية التي ضلل بزرجمهر التأويل من أجل إنفاذها.

◆◆ تضلل أم ليلى تأويل ابنتها القاضي بميلاد عقبة تسكينا لروعها، وقد أوضح السرد مناما لا يحتفل بالرمز قدر احتفاله بخطاب إبليسي بيّن يقرر فيه جزما كون عقبة خليفته فـي الأرض، ومما يدلّ على اقتناع الأم بذلك واستبطانها الآتي أنها كما تقول الرواية "بكت بكـاءً شديدا ما عليه مزيد"، إلا أنها استدركت رحمةً بابنتها: "يا بنتي، لعله يكون أضـغاث أحـلام، وقليل ما تصادف الرؤيا في هذا المقام"[٢].

◆◆ يضلل الراهب تأويل مريم الزنارية بغية الزواج بها وصدها عن دين الإسـلام، ومما ساهم في كشف تضليله التأويل الأكثر إشراقا وإقناعا الذي طرحه شيخ المسلمين:

الرمز	تأويل الراهب	تأويل الشيخ
الوادي الأقفر	الوادي الذي نحن فيه "رمز لم يتأول"	دين الكفر
الوادي الأخضر الذي انتقلت إليه	دين الكرستيان	دين الإسلام
البحر الذي شربت منه	جرن ماء المعمودية	–
الذبابة السوداء التي خرجـت من فمها	ذبابة سوداء "رمز آخـر لـم يتأول"	دين الكفر
الذبابة البيضاء التي دخلـت فمها	قبول الزيارة	كلمة الإخلاص
الطير الذي نقرها فخرج طير أبيض أخذه طير أسود	أنا أتزوجك "مصلحة ذاتية"	رجل من الأشراف يتـزوج بك، وتأتي منه بذرية صالحة ولكن يتربى بعيدا عنك.
المركب	المركب الذي أتيت به "رمـز	سفينة النجاة من الكفر

[١]) الأمير حمزة، مج٢، ص٢٣٦.
[٢]) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٤٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	لم يتأول"	

تقول الرواية: "علمت أن هذا كله هذيان"، وتكشف السياقات كذلك هذيانه وصائبية تأويل الشيخ.

وقد يقع التأويل المضلل غير الصائب عن غير قصد، إذ من الممكن أن يتم عن جهل بأدوات التأويل ليس إلا، ومنه تأويل ولدي الملك في "حديث الأربعين جارية":

الحصان المركوب : عز

والسيف: قوة

والسواد الذي ارتداه: سنين كثيرة معمورة بالخير، تملك ملكا عظيما.

البحر المُجتاز: حياة تزيد على المئة عام، تخوض الظلمات، وتقوى قوة زائدة[١].

فالمؤول هنا ابن الملك، ولم يتعرَّف بحكمة أو معرفة، وقد يمكن أن يُقال إنه ضلل قصدا للحفاظ على ورثة المُلك، إذ أفضى التأويل الصائب من الابن الأصغر الذي تحقق أخيرا للطرد من رحاب الملك، وعز السلطان.

من الممكن استنباط نوعين آخرين من التأويلات كما بيَّن العرض السابق:

❋ ❋ **التأويل المفرد:** وهو التأويل الوحيد الذي يطرحه مؤول فرد للمنام المسؤول عنه، وذكر هذا التأويل هو الأكثر انتشارا.

❋ ❋ **التأويل المتعدد لذات المنام:** فقد يُعرض منام واحد إزاء أكثر من مؤول يقوم بتفسيره على ضوء معرفته الذاتية، وأحيانا تتدخل المصلحة الشخصية في انزياح التأويل عن الصواب، كما في تأويل الراهب منام مريم الزنارية المذكور. ومن أمثلته كذلك تأويل أبناء الملك في حديث الأربعين جارية وغيره.

وظائف المنامات[١]:

---

١) الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة، ص٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شقّت العنوانات السابقة عن وظائف هامة اضطلعت المنامات بتحقيقها وإنفاذها, وانسجمت بذلك مع الغايات العامة للعمل الذي تنتمي إليه, إذ ساهمت في إتمام مشاهده, والقيام على بلورة رؤاه, وأبعاده الفنية, وإذ تعرضت بين ثنايا الفصول لها, سأعرضها دون تطويل, إلا في النقاط التي أرى ضرورة الإفاضة فيها, ومبرري في طرحها الآن, أنها تشكل نقاطا تؤلف بمجموعها عنوانا هاما ينبغي إفراده والتركيز عليه, فلا يُكتفى ان تظهر مبعثرة حيث كان السياق بحاجة إليها.

سأجعل هذه الوظائف ضمن بعدين رئيسين:.

❋❋ **وظائف معرفية.**

❋❋ **وظائف سردية.**

تندرج تحت النمط الأول, الوظائف التالية:

● **الترجمة:** وهي من أجلّ الوظائف التي نهضت بها المنامات في كتب الأخبار, حيث أدلت بدلوٍ معرفي في حق شخصيات واقعية عديدة, وتبنت مواقف واضحة تجاه أداءاتهم السياسية, والدينية، والأدبية...إلخ, الأمر الذي دعاني في أكثر من سياق للتأكيد على وضع هذه المنامات, لتكون مؤدلجة, وأمينة على خدمة التوجه العام للمؤلف الذي ساق أخبار المترجَم لهم, وجعل المنامات دليلا عليها.

لمْ تنأ السير الشعبية عن تحقيق هذه الوظيفة, لا سيما في حق أبطالها الرئيسيين, وتوضح من خلال الاستقراء تأكيد منامات السير على الصفات الخَلقية والخلقية التي ستُترجم إلى متن حكائي قادر على بناء النسيج العام للنص!. وكانت الإحالة لهذه الصفات بآليات عديدة, منها:

◆◆ استعارة الصورة الحيوانية, بجامع صفات القوة والفرادة, أو الضعف والسالبية لأبطال آخرين: يظهر الأمير حمزة أسدا قادرا على استعادة ملك كسرى "الأوزة" من خارتين

---

(١) الوظيفة: "فعل يعرف وفقا لأهميته في مسار الحدث الذي يظهر فيه، فعل يعتبر (Dreams functions وفقا للدور الذي يلعبه في مستوى الحدث وحدة موضوعية دالة motifeme". المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الكلب الشرس". ويظهر الظاهر بيبرس أسدا قادرا على تفريق الضباع "أهل الكفر" والقضاء عليها...

◆◆ استعارة الصورة الطبيعية: لا سيما النار, لتكون دلالة على الملك والسلطان, بقدر انتشارها ومن تمثلها: السيف الراعد في سيرة حمزة البهلوان, فقد رآه كسرى قضيبا من نار تضرب الجيوش, ورأت الرباب كأن نارا تخرج منها, وتأوله المؤول بابن يكون له شأن, وإذ انتشرت النار في المشارق والمغارب, مدَّ التاويل ليشمل ابن الابن, فكان ميلاد جندبة, ثم الصحصاح. بذات الصورة, يرى بويه أن نارا تخرج منه, وتنتشر في الشرق والغرب, ليكون ذلك نبوءة تملُّك أولاده, وامتداد سلطانهم!

◆◆ السياق النصي, فقد تجلّت صورة بعض الأبطال عبر سياقات نصية واضحة يحكيها فاعل المنام, ومن ذلك الخطاب المطوَّل الذي نقل صورة عقبة من قِبل إبليس , فقد عمد مرات عديدة للإجمال والتفصيل, فإذ يعلن لأمه غالية: أودعتك مكري وغدري... يفصّل كيف يفسد بين الأمم ويكون وبالا على الخلق جميعا: مسلمين ونصارى. في حين يقر الرسول الكريم نصّا لا لبس فيه بتشكّل الأمير عبد الوهاب ترسا كريما ينافح به عن الشريعة الإسلامية. ويعتمد الوهراني على السياق النصي الساخر في ترجمة شخوصه بغية نقد رجالات السلطة، وأداءاتهم المهترئة في مجالات سياسية، وأدبية، ودينية متعددة.

❋❋ **التفسير:** نهضت بعض المنامات لتفسير ظاهرة ما في حياة الشخصية التي تتناولها، وهو تفسير لا يعتمد المنطق والتأويل العقلاني، بقدر ما يعتمد على إرادة فضح توجه ما للشخصية، ومن ذلك تفسير ظاهرة العمى: لتكون بالنسبة للمؤمل بيتا من الشعر قاله استنزل فيه غضبَ الله –سبحانه–، فعوقب بهاتف يفقأ عينيه، ومنه تفسير عمى القارئ الذي لم يُنكِر شتمَ الخليفتين أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– وسيُفضي ذلك للوظيفة اللاحقة.

❋❋ **العقاب والجزاء:** تبنَّت منامات عديدة إحلال العقاب والجزاء على مستحقيهما، وقبل التذكير بالأمثلة الدالة لا بد من التأكيد على عرض المنامات السببَ في العقاب أو الجزاء، مما يوحي بتدخل راوي المنام أو جامعه بانتقاء المنام إن تمَّ حقا، أو وضعه ليخدم بذلك رؤيته الذاتية للشخصية التي يحكي عنها من منطلقه هو ومرجعيته الخاصة.

في العقاب: يُستنزَل العمى على المؤمل لتألّيه على الله –سبحانه– بألا يعذِّب المحبين بسقر، وعلى قارئ القرآن لعدم إنكاره شتم الخليفتين أبي بكر وعمر، وهذا يعني توجه ابن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوزي صاحب المناقب السني، وفي ذات السياق يُذبَح جُبَّة لشتمه الخليفتين –رضي الله عنهما–.

أما الجزاء، فغالبا ما يتمثل بالمغفرة التي يستحقها المترجَم لهم برحمة الله، ثم بالأعمال التي تكسبوها في الفضاء الدنيوي، أذكر هنا: مغفرة الله لعمر بن الخطاب، وأحمد بن طولون، والفرزدق، والأميرة ذات الهمة .. إلخ.

❋❋ **التعدد في وجهات النظر**[١]**:** يفرز ذلك تعدد المنامات التي تناهض بعضها لا سيما لأسباب دينية، ولا بدَّ هنا أن يتقابل منامان: صادق وهو الذي يمثل رؤيا حقيقية، ومدَّعى مضلّل، وهو الذي يمثل رؤيا زائفة، ولا يتولَّد هذا المنام إلا لاحقا، لتهميش المنام الأول ودحضه. ومن ذلك منام الأمير عبد الوهاب الذي أمر فيه الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– بصلب عقبة، وقد أفرز ذلك مناما مدَّعيا من قِبل عقبة ادَّعى فيه ظهور المسيح –عليه السلام– وهو يبشره ببطلان رؤيا الأمير، وعدم قدرته على النيل منه. إن ذلك لا شكَّ يعكس رؤيتين متعاكستين، تنتصر كلّ رؤيا لمنهج الرائي واعتقاده الذي يؤمن به دينيا.

❋❋ **التضليل:** وتنهض بهذه الوظيفة المنامات المدَّعاة، إذ لا يمكن للمنامات/ الرؤيا أن تقوم بالتضليل والتدليس، وغالبا ما يكون التضليل بغية مكتسبات عقائدية تظهر من قبل الفئة المشركة ضد المؤمنة. وأشهر ما يمثل ذلك منامات عقبة شيخ الضلال في الأميرة ذات الهمة، ومن ينسجم معه في سيرة الظاهر "جوان النحيس خليفة إبليس"، وتكفي الألقاب التي أسقطها الراوي على هاتين الشخصيتين لتبرر مناماتهما المتكررة المضللة.

وقد تضلّل منامات بغية مكتسبات مادية، كما في ادِّعاء الحلاج في النشوار، والشيخ الذي اغتنى بسبب منام مختلَق قصَّه على القادة الأتراك، وفي المقامات يكون المنام المدَّعى

---

[١]) وجهة النظر: (Point of view : مصطلح يشير إلى جميع المظاهر في علاقة السارد بالقصة، وعبره تعرض الشخصية ما تريد وفقا لمعارفها الذاتية، ومشاعرها، وتصوراتها الشخصية. ويرى صالح أن اتكاء النص على تعدد وجهات النظر ينحاز "إلى فكرة التعددية والانفتاح مقابل الأحادية والانغلاق، مع الإشارة إلى شيء من الأهمية الإضافية التي تُساق على صعيد الإنجازات الكبيرة التي حققها تطور الفكر الإنساني عموما بشأن فكرة الحقيقة الواحدة أو أحادية الحقيقة مقابل تعدد الحقائق..". انظر:

- نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، ص١٦٣.
- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص١٧٩.
- الشعرية، تودوروف، ص٤٥–٤٦.
- سرد الآخر، صلاح صالح، ص٦٨–٦٩.
- المتخيل السردي، عبدالله إبراهيم، ص٦٢–٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قِبل أبي الفتح والسروجي لتحقيق منفعةٍ مادية، تحققت للأول والدراهم تنثال عليه، وللسروجي والذهب والفضة يُعطى له فيتوجه للخمارة.

❋❋ **العرض الثقافي:** وتتعلق هذه الوظيفة لدى استقراء المنامات عموما، إذ تتحقق بالكلّ لا الجزء، وقد توضح اعتناء المنامات بروافد معرفية متعددة أفضت لوسمها بـ "النص الثقافي"، وذلك أنها انفتحت على خطابات متباينة مقدسة كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، وفنون الخبر، والترجمة، والرحلة، والشعر، والأمثال.

❋❋ **تبني النسق:** لا تنفصل المنامات عن محيطها الثقافي العامّ، بل إنها تُساق لتؤكده، أو لتناهضه إذا صُنعت بيد الناقد كالوهراني، ومن هنا فقد تبنت المنامات أنساقا اجتماعية، وفكرية، ودينية انسجمت –في جلها– إسلاميا مع الثقافة الدينية المركزية، فاستسلمت للإرادة الكامنة بنشر الدين وإقصاء الآخر المشرك، وقبلت على ضوئه الأداء الشعري المنساق لذات الفكر، ورفضت المنجَز الفردي الطارد للمنجَز الجمعي الحضاري، ونقدت السلطة في خطاب الوهراني، وفضحت تسلطها، بينما تبنت خطابا اجتماعيا جائرا في حق المرأة، إذ صورتها بصورة سالبة متردية. وأنوه هنا أنني أتحدث عن صورة المرأة في المنامات وليس في المتن الحكائي تاما، إذ نقع على صورة مشرقة في ترسيم الأميرة ذات الهمة مثلا، وتدعمها بعض المنامات في ذلك. إلا أن هذا لن يخفي صورة نسقية مجتمعية عامة للمرأة، ساهمت المنامات والتأويلات في ترسيمها.

وتندرج الوظائف التالية تحت النمط الآخر "الوظائف السردية":

❋❋ **الاستباق[1]:** ويتحقق من خلال النبوءة التي يولّدها المنام ويعلن التأويل عنها، وقد تبنَّت المنامات المركزية والثانوية تخليق النبوءة وإن كانت في الأولى أبين وأجلى، لا

(١ Anticipation) : مفارقة زمنية تتجه نحو المستقبل بالنسبة إلى اللحظة الراهنة، وفيها إلماح إلى واقعة أو : عملية سردية سابقة بالنسبة Enterior narrationأكثر ستحدث بعد اللحظة الراهنة. والقص المسبق لزمنها، وللمواقف المسرودة، وهي سمة مميزة للسرد المتنبئ بما سيحدث. ويرى تودوروف أن مثل هذه المفارقات الزمنية من شأنها أن تخلق التشويق وتدفع بالقارئ لانتظار بقية الحكاية. وهو ما يؤكده عبدالله إبراهيم في إشارته: "يزرع الاستباق أفق توقع، ويرصد ما سيحدث لاحقا، وبذا فإن دوره في تركيب الحكاية ذو تأثير خاص...". وقد دارت المفارقات الزمنية في النصوص الأدبية للحد الذي دعا حسين خمري للقطع بعدم العناية بالترتيب والبداية والنهاية في الأعمال الأدبية. ولا بأس في ذلك، فوجود السلسلة الحكائية التي تنم عن التتابع مقبول، ولكنه كما يقول ديفيد هرمان ليس مهما في الجو القصصي انظر:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سيما في التنبؤ بميلاد الأبطال ابتداءً، ثم في فعلهم السردي حيث كان الشيخ خضر، وجياد في سيرة الملك سيف، والرسول الكريم في الأميرة ذات الهمة، والملك الصالح في الظاهر يستبقون لحظة مجيء الأبطال فيظهرون لأبطال وشخصيات آخرين، يبشرون بمجيئهم وطلب المساعدة لهم، وهو فعل متواتر سأفيض فيه لدى الحديث عن فواعل السرد الرئيسيين.

لم تكتفِ المنامات بنبوءة ظهور الأبطال، بل تنبأت بحوادث عديدة منها: اللقاء بعين الحياة، وتمهيد الملك سيف للإسلام وإخضاع بني حام لبني سام، وصلب عقبة.. إلخ. ويجدر التأكيد هنا أن النبوءة على تواترها وتواتر تحققها تحولت لفعل إلا أنه يتصدر الحكاية، بمعنى أن الحكاية تُختزل في النبوءة، إذ يعرف المتلقي جيدا أن الملك سيف سيمهد لظهور الإسلام، وينتصر على الحبشة منذ لحظة الإعلان عن النبوءة، ويعرف كذلك أن الأميرَ سيصلب عقبة منذ المجلد الأول، ويتابع التلقي ليعرف فحسب كيف سيتحقق ذلك.

❋❋ **التحفيز**[١]: تشكلت المنامات حافزا استطاع أن يخلّق سلاسل حكائية هامة، وتبلورت القدرة في خلق السلاسل بحسب قوة المنام، فاستطاع المنام المركزي مثلا أن يسيّر السرد على امتداد مجلدات ضخمة، بينما نهضت منامات ثانوية بتخليق سلاسل أفضت إلى أخرى، ولكلٍّ اعتبارهما في دفع السرد، والمضيّ بالأحداث حتى النهايات.

عمدت بعض المنامات إلى حيلة التكرار لإذكاء التحفيز، وتأكيد الفعل الذي يصرّ عليه المنام، وقد لاحظت في هذا السياق:

- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص٢٦، و١٨٦.
- مفاهيم سردية، تودوروف، ص١١٢.
- طرائق تحليل السرد الأدبي، مقولات السرد الأدبي، تودوروف، ص٥٦.
- نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، ص١٦٤.
- Narrative theory and the cognitive sciences, David Herman, p٢ .
- السردية العربية، عبدالله إبراهيم، ص١٣١.
- وحكت يمنى العيد عن التشويق والتماسك والإيهام الحقيقي المتحصل من لعبة المفارقات الزمنية، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ص٧٥.
- فضاء المتخيل، حسين خمري، ص٩٣.
- إشكالية الزمن في النص السردي، عبدالعالي بوطيب، فصول، مج١٢، ع٢، صيف١٩٩٣، ص١٣٥-١٣٦.

[١] مبدأ التحفيز التأليفي "إن كل حافز أو إشارة في القصة لا ينبغي أن يردا بشكل اعتباطي، فلا بد أن تكون لهما وظيفة أو علاقة بما يأتي من القصة...". بنية النص السردي، حميد لحميداني، ص٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ أن عدد مرات التكرار لا ينسجم بالضرورة مع عدد صفحات العمل، فهناك بعض المنامات المتكررة في حكاية قصيرة ومثالها الحالم البغدادي، إن الحكاية لا تتعدى الصفحة الواحدة في ألف ليلة وليلة، إلا أن السارد يكرر منام الوالي المصري ثلاث مرات بعبارة واحدة، ولو عمدنا لتفكيك هذه المنامات لانتشرت على صفحات تماما كما تشظّت رؤية عين الحياة في ثلاث ليال متواليات شرحا وتفصيلا لا إجمالا.

◆◆ التفصيل في المنام وتكراره نصا، هو الذي ينسجم طرديا مع عدد صفحات العمل، ففي حكاية الحالم التي أراد السارد رسمها ضمن سياقات نصية متواضعة "صفحة واحدة"، لا يتأتى للمنام أن يتكرر نصا: رأيت في المنام من يقول لي: اذهب إلى بغداد... تجد كنزك! ولذلك تستخدم صيغة "الإضمار" عن الفعل، بحيث تشي به ولا تفصّله موظفة أفعالا تختزل المنام مثل: العدد، و "حكى له ما رآه".. بينما لا تجد السرود الطويلة بأسا في مثل هذا التكرار بصيغ "الإضمار" والحكي على حدّ سواء.

والتكرار في مثل هذه الأعمال يفيد التأكيد بالضرورة، إلا أنه يعمد أحيانا إلى بناء النص الأصلي، والإضافة عليه. إن التكرار هنا يطوّر، ولا يستدعي النص الأصلي مجردا، وسأدلل على ذلك بمنام الصلب:

= في الرؤية الأولى للنبي الكريم تحضر المفردات التالية:

١. يُصلب عقبة على باب الذهب.
٢. توظَّف أخشاب شجرة وادي السنديان للصلب.
٣. يتم ذلك بعد قضائه على ثلاثمئة ألف إنسان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= في رؤية الراهب للرسول الكريم، تُضاف المفردة الآتية: التفصيل في تبرير إرادة الصلب، فعقبة كما يقول الرسول الكريم: "كذَّب برسالتي، ولم يصدق قولي ونبوتي، ويستبيح دماء أمتي، ويخرب ديار أحبتي"[١].

= في رؤية الأمير للرسول الكريم ثانية، يُضاف: تقريب زمانية الصلب: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه.. إذا وصلت الروم إلى الإسكندرية، وأخذت العلوية، وفتح الله على أيديكم عمورية، وظهر مطرون، وصلب شومدرس الملعون..."[٢].

= في رؤيا المعتصم آخر السيرة: يحدد الرسول الكريم أدقّ زمان للصلب:

- غدا تصلبون عقبة إذا صار وقت العصر.
- وتنكسر الكفار وينتصر المسلمون الأبرار.
- تصل روح عقبة للدرك الأسفل من النار.
- ويُقتل من المشركين ثلاثمئة ألف من أجل عقبة[٣].

وغني عن القول: إن التكرار فيما سوى ذلك قد ساهم في تحفيز عشرات الأفعال التي تغيَّت الحفاظ على روح عقبة من أي قِتلة دون الصلب من قِبل الأميرة وأبطالها، وعقبة ذاته. وإذ حوفظ على روح عقبة لسياقات طويلة، كان هذا كفيلا لتوليد أفعال على صُعد أخرى ناهض عبرها عقبةُ الإسلامَ، وعمل على كسر شوكته.

❋ ❋ **الوصف:** وقد تعلّق بالأماكن، لا سيما أن السير تفسح فضاء مكانيا واسعا لأحداثها، فتحضر في المنامات وصوفات الحجرات، والقصور، والوديان، والمدن، وليس ببعيد المنامُ الذي حضرت فيه السعيدة لتصف مكان اعتقالها في الأميرة ذات الهمة، والمنام الذي رأته مريم الزنارية وهي تقابل بين الوادي الأقفر والأخضر في دلالة رمزية تشفّ عن الانتقال من الكفر للإسلام، ولا بدّ من التذكير هنا بمنام الملك أحمد الذي رأى فيه محبوبته، واستعلن بأوصاف مكانية دقيقة: بستان فيه أشجار، وأنهار، وأثمار:

---

(١) الأميرة ذات الهمة، مج٤، ص١٤٧.
(٢) المصدر السابق ، مج٥، ص٢٥٧.
(٣) المصدر السابق ، مج٧، ص٩٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ما له حائط ولا جدار.
- على باب مدينته برج من حجر الرخام.
- وفيها خان.
- وبجنبه حمَّام.
- ويقابله دكان رجل خيّاط [١]...

وفي سياقات أخرى، تظهر وصوفات ذاتية دقيقة تمثل قطبي الصراع: المسلم والكافر، حيث تتجلى كما بينت لذلك في "التمثيلات الإيمانية والإشراكية" صفات خاصة للمؤمن تحكي الوضاءة، والأنوار، والسعادة ... لا سيما لدى الحديث عن النبين الكريمين محمد وعيسى –عليهما السلام– والشهداء، والشيوخ الفواعل الذين ساهموا في نصر الإسلام كالشيخ جياد، وعبد السلام... والمجاهدين كالأميرة ذات الهمة وابنها عبد الوهاب.

وفي المقابل تظهر سمات أخرى يصفها الرواة بدقة للمشرك, حيث السواد, والضلال, ويسبغها كذلك على من يخوفهم العقاب من النار , ليظهر الهاتف أعورَ , أسود الوجه , شنيع الخلقة.

---

[١]) الظاهر بيبرس، مج٣، ص٢٠١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

➢➢ تكثيف

تباين انتماء المنامات لأنماط مختلفة من السرود أفضى لأن تختلف في مبانيها الحكائية، وأنظمة ظهورها النصية. وبعد استقراء الأمثلة وملاحظة العوامل المشتركة بينها، وجدت أن المنامات اتخذت بنية خاصة بحسب الانتماءات السياقية التالية:

منامات الأخبار: دأبت أن تستهل بالسند وإن لم يكن واقعيا، إيحاءً بصوابية المروي، وتأكيدا على صدقه. وهي بذلك تنسجم مع طريقة بناء الخبر في مصنفات الأخبار في الثقافة العربية عموما. في خطوة تالية، اتخذت المنامات دور الترجمة للشخوص الذين تناولتهم، وعبر ذلك طرحت نبواءتها التي كانت واجبة التحقق، بل إن التحليل أبرز كون هذه النبوءات وليدة الواقع المتحقق أولا! بخلاف النبوءة في العمل الأدبي حيث تُطرح أولا، وينتظر المتلقي تحققها ثانيا. وإذ كانت هذه المنامات حاملة النبوءة والرمز فقد طرحت التأويل الذي يكشف غموضها ورمزيتها، وختمت أخيرا بالتعليق على النص المنامي. بتوصيف فعليّ أبين أن منامات الأخبار: قدمت لحكاية المنام، ثم ترجمت، وتنبأت، ثم أوّلت، ثم علقت. وهو توصيف يكاد يكون لازما لها في اقترانها مع الأخبار.

منامات السير الشعبية: وقد اختطت لها ترسيمتين مترابطتين، حيث أفرزت في الأولى المنام المركزي الكبير الذي أوكلت للسرد أن يسعى لإنفاذه وتحقيقه. ثم تبنت في الثانية أن تولد سلسلة من المنامات الفرعية التي تظل تشد المتلقي للمنام المركزي الأول وتذكر به، ثم لتكون هذه المنامات الفرعية بانية لأحداث من شأنها أن تفضي أخيرا لتحقيق نبوءة المنام الأول. وقد بينت سابقا العلاقة الجدلية بين هذين النوعين، حيث يرتهن المنام الرئيس للمنامات الفرعية التي ستفعل وجوده، وترتهن بدورها له حيث لم يكن لها أن تتولد لولا تشكله ابتداء.

منامات الحكايات: وفيها يبتدئ السرد بإيحاءات المنام، وتكون البداية سواء كانت استهلالية مباشرة، أو استرجاعية مرتبطة بالجو المنامي. وسيكون المنام في هذه الحكايات مولدا لسلاسل حكائية تبني جسم الحكاية، التي ما إن تقترب من النهايات حتى تحيل ثانية للمنام الرئيس. وقد اتخذت لذلك سبيل التذكير بالمنام نصا وتأويلا، وبذا استطاعت أن تعيد المتلقي للبداية التي انطلق منها. وجدير بالذكر أن منامات الحكايات أساسية لا يمكن تعويضها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستبدالها، لأن ذلك سوف يشكل انتهاكا كبيرا لمسرى السرد، بعكس منامات الأخبار التي يمكن للسرد أن يستغني عنها.

في **المروي المنامي** تنوعت تشكيلات المنامات وتأويلاتها، فإضافة للمنام المركزي الذي أفضت في الحديث عنه وإيراد الأمثلة التي تشهد له، يحضر المنام المدعى الذي ينتجه شخص سالب القيمة والتوجه، بغية تحقيق هدف مضلل غير سامٍ، ويتخذ لمناماته إشارات يتغيا منها إيهام الآخر بالصدق والصواب!. وعلى الصعيد الآخر، يحضر المنام المتوافق الذي غالبا ما يعمد لتحفيز شخوص العمل لعمل الخير والانتصار للإسلام ورجالاته.

للمنامات تأويلاتها، وغالبا ما تحظى بالتأويل الصائب ذلك أن الرائي يبحث بشكل جاد عن المؤول العارف القادر على تفسير الرؤيا، إلا أن ذلك لا يمنع من حضور التأويل المضلل الذي يتقصد تحقيق منفعة ذاتية أو عامة، وتكون في الغالب سالبة التوجه. وظهرت على الصعيد العددي تأويلات مفردة، وأخرى متعددة، بحسب تكرار روايتها، وأهميتها في النص.

على صعيد الوظائف تبنت المنامات وظائف معرفية مثلتها الترجمة، وتفسير الظواهر التي يمر بها المترجَم لهم عادة، وتبنت المنامات وظيفيا مسؤولية العقاب والجزاء، والتأويل الذي يحيل لتعدد وجهات النظر بين المتلقين والرواة بحسب المرجعيات الدينية والفكرية التي يحتكمون إليها، ولذا ضللت منامات مدعاة عديدة خصومها، واستعرضت ثقافيا من جانب آخر كونها نصوص منفتحة على خطابات معرفية متباينة، وقد أهلها ذلك لتبني النسق الفكري الذي ترتهن في تجليه للثقافة العربية عموما. وسرديا كانت المنامات أداة جمالية حيث عملت على الإثارة والتشويق لا سيما في اعتمادها على المفارقات الزمنية من مثل تبنيها للاستباق والتنبؤ في الغالب، كما كانت أداة بانية حيث عمدت للتحفيز الذي طالما دفع بالسرد، وساهم في بناء أحداثه ومجرياته الفعلية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



فِـــــي رِوَايَـــــةِ

المَنَـــــامَـــــــاتِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين الراوي والمروي له

تتميز جلّ مصنفات الأخبار بحضور راوٍ مفارق لمرويه[١]، ولعلّ الأسناد التي تتقدم نصوص المنامات تفضح هذه المفارقة وتؤكدها، فنص المنام في هذه المرويات منتقل عبر سلسلة تطول أو تقصر من الرواة الذين ليس لهم حظ من واقعة المنام إلا السماع، هذا يعني انقطاع الحضور والمشاهدة، أي انقطاعهم عن نص المنام وتجلياته. وإذا كان عبد الله إبراهيم قد توصل عبر رصد طبيعة الراوي في الحكاية الخرافية إلى إفرازصيغة قولية تختص بالراوي المفارق للمروي وهي السند! فإن الصيغة الاسنتاجية تنقلب هنا حيث يشي تصدُّر السند ابتداء بغياب الراوي المتماهي وحضور المفارق[٢].

وقد تمعن الأسناد في مفارقة المروي حيث توقع لرواية يُجهّل راويها, وتتكرر عبارات من مثل: " رُئي الفرزدق... ورئيت امرأة من بني عثمان... ومما يروى من خبره أن... وحدثني شيخ كان ينزل سكة قريش"... هكذا دون أدنى معرفة بمن رأى, أو حدث , أو روى... بالرغم من أن هذه أفعال مسبوقة بأسناد, إلا أنها تنقطع في بعض الروايات عن بيان هوية الناقل الأخير!.

وتجد الإشارة إلى أن التقدمة لا تشكل قطيعة تامة عن الراوي المتماهي مع مرويه, الشاهد على أحداثه إذ تفجؤنا بعض الروايات باقتراب شديد من صاحب المنام؛ إن الراوي في مثل هذه الحالات يستمع للمروي ويتحقق من المتن, ثم يعمد لنقله ويشهد المتلقي ذلك دون

---

[١] (: بكونه الشخص الذي يروي. ويعرَّف المروي له "المسرود له" narreter) يعرَّف الراوي "السارد" : بكونه الشخص الذي يتلقى ما يرسله الراوي. انظر: narrate
- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص١٤٢.
- المتخيل السردي، عبدالله إبراهيم، ص٦١. والسردية العربية، ص١٩-٢٠.

يميز تودوروف بين حضورين رئيسين للسارد "الراوي" في النص:
- فقد يكون حاضرا على مستوى العالم المستحضر، أو عالم الحكي، وهو الذي سماه عبدالله إبراهيم بالراوي المفارق لمرويه.
- وقد يكون مشاركا ومعينا وشاهدا، وهو الذي سماه عبدالله إبراهيم بالراوي المتماهي مع مرويه.

انظر:
- مفاهيم سردية، تودوروف، ص١٣٣.
- السردية العربية، عبدالله إبراهيم، ص١٢٢.
- بنية النص السردي، حميد لحميداني، ص٤٩.

[٢] (السردية العربية، عبدالله إبراهيم، ص١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اضطرار لسلسلة تطول من السند توحي بالبُعد وعدم المشاركة, وقد لحظت تكرار ذلك في النشوار دون الأغاني والعقد, ومنه في منام العجوز والسيدة فاطمة: "حدثني أبي قال: خرج إلينا يوما أبو الحسن الكاتب...."[١] وفي المنامين اللذين اختلقا وصفا لخضاب يسود الشعر, وطلاء يمنع الحبل, يكون التحديث من صاحب المنام مباشرة, ففي الأول: "حدثني عبد الله بن عمر الحارثي, قال:عَجَّل علي المشيب, وفكرت في ان أخضب لحيتي...", والثاني: وحدثني قال: "كنت في شبابي أتمتع بالجواري والمماليك..."[٢].

وفي منامات عضد الدولة, يجعل التنوخي الحديث من العضد ذاته, والتنوخي الشاهد السامع: حدث القاضي التنوخي, قال: حدثني عضد الدولة, وذلك في سنة ٣٧٠هـ قال[٣]:.. وترد على قلة مثل هذه النقولات في الأغاني والعقد.

إن الأسناد التي تهدف للإيحاء بصوابية المروي وواقعيته أثبت في مثل هذه المؤلفات, وأبين ظهورا, وهذا راجع للمنهج العلمي الذي تتبعه مثل هذه التصانيف في إيراد الخبر، وإنها وإن أسقطت أسنادها في بعض المرويات، إلا أنها احتفظت بها في جلها، وهذا يعني أنها أكدت حضور الراوي المفارق لمرويه، وجعلت مركزية الرواية له.

بعد ذلك تنهض جلّ السرود بالاحتفال بالراوي المتماهي الذي يحدث بالمشهد المنامي مباشرة، إذ يكون الرائي ذاته، أو ممن اقترب منه وعايش رؤيته، متمثلا رمزياتها، وعاملا على تحقيقها وإنتاج واقع حقيقي يدانيها. وأورد على سبيل التمثيل لا الحصر:

◆◆ في الاعتبار: يحدث عبد الله المشرف أسامة "صاحب الترجمة" برؤية الرسول الكريم الذي نجّاه من الحبس، وأمره بنزع القيد[٤].

◆◆ ويظهر أحمد بن طولون المنتج للمنامات الراوي إياها في بعض المشاهد: "رأيت البارحة هذا الشخص بعينه. ويكثر أن تُروى بصيغة توحي بسماع المؤلف إياها: فرأى في

---

١) النشوار، التنوخي، ج٢، ص٢٣٠.
٢) المصدر السابق ، ج٣، ص٣٦-٣٧.
٣) المصدر السابق ، ج٤، ص١١٨.
٤) الاعتبار، ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منامه رجلا من إخوانه... رأى أحمد كأنه حفر قبرا.. ومنها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه يكنس قصره.. أما المنامات الأخيرة التي سيقت احتفاء بمغفرة الله لابن طولون في فضاء القيامة، فيذكر صاحبها الذي يباشر البلوي السماع منه: "حدثنا محمد اليماني قال: رأيت أحمد.. قال مؤلف هذا الكتاب: حدثنا الحسن بن علي العباداني قال: رأيت في منامي كأني.. ومثل ذلك روايات المناقب التي أشرت لها في كثير من المواضع.

◆◆ وفي السير الشعبية عشرات الأمثلة على ذلك، فتكرور تقصّ منام الهاتف الذي يدعوها للإيمان[١]، وفيروز يحكي منامه بعين الحياة وكيف توالى لثلاث ليال متتابعات[٢]، وكسرى يحكي رؤيته المائدة والأوزة والكلب والأسد: اعلم أني رأيت حلما كدرني[٣]، وتُقصّ المنامات المركزية في الأميرة ذات الهمة على لسان رائيها: الرباب تقص منامها شعرا على المؤول[٤]، وليلى تخبر أمها بمنامها الحاكي ميلاد ظالم "ثم أخبرت أمها بجميع ما رأت في المنام"، ويروي مصعب زوج ليلى منامها بوليدها عقبة[٥]، ويعيد الأمير ما قاله النبي الكريم في توجيهه لوادي السنديان والأمر بصلب عقبة على أمه الأميرة ذات الهمة، وأبي محمد البطال[٦]... ، وفي الظاهر يروي الملك الصالح منام الضباع والأسد بنفسه، ويسأل "علماء الإسلام" تأويل الرؤيا بعد أن صحّ لديه أن ليلة المنام ورؤياها صادقة لأنها السابعة من الشهر العربي[٧]، ولا ينأى عن ذلك حالمو الحكايات العجيبة والخرافية، فالملك في حديث الأربعين جارية هو الذي يستدعي أولاده ويقصّ الرؤيا عليهم[٨]، ويقصّ الوالي المصري منام الكنز على الحالم البغدادي[٩]، ويكون قصّ المنام الكبير على لسان الوهراني ولو مثّله بصيغة الغائب: "ثم غلبته عينه بعد ذلك، فرأى فيما يرى النائم..."[١٠]، وأما أبو الفتح فيؤكد: "قد جئتكم ببشارة من نبيكم"[١١].

---

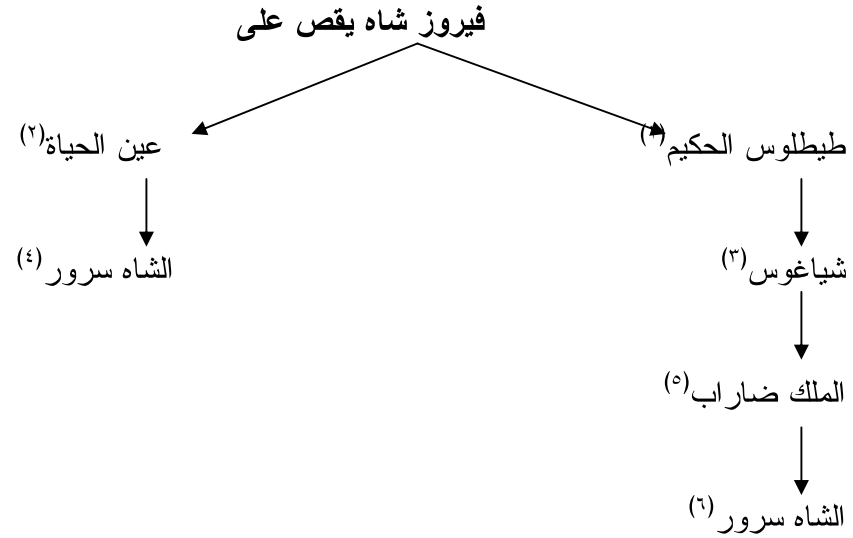
١) الملك سيف، مج٢، ص٢٥٤.
٢) فيروز شاه، مج١، ص٢٧.
٣) الأمير حمزة، مج١، ص٣.
٤) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٨.
٥) المصدر السابق ، مج١، ص٤٠٤-٤٤٦.
٦) المصدر السابق ، مج١، ص٨٦٧.
٧) الظاهر بيبرس، مج١، ص٩٨-٩٩.
٨) الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة، ص٧٣.
٩) ألف ليلة وليلة، ج٣، ص٥٩٤.
١٠) منامات الوهراني، ص٢٣.
١١) مقامات الهمذاني، ص٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتكرر روايات المنامات في هذه السرود بذات الآلية، وإن احتمل بعضها أن يُروى المنام بأداة الراوي المفارق، ولكنّ ذلك لا يمنع البتة أن تكون مركزية الرواية هنا لمن شاهد المنام، أو عاينه قريبا، الأمر الذي سيفضي لتخليق سلاسل من الأحداث لتحقيق تلك المنامات، أو مناهضة نبوءاتها.

العرض السابق ينبه لكون الراوي في سرود عديدة جدا هو شخصية حكائية هامة، وسأنتقل عبر ذلك لمستوى آخر يقرر مشاركة الشخصيات الحكائية الأخرى في رواية المنامات لا سيما المركزية منها، إذ سيتحملون عبء القيام بإنفاذها، أو معاكستها، أو تحويرها وصولا للهدف الأساسي الذي رسَّم الراوي المنام لأجله. وسأعمد تدليلا على ذلك لانتقاء بعض المنامات، والإشارة إلى راويها عبر السرد. واختياري لبعض المنامات لا يعني عدم انسحاب الفكرة على الكل، لكنه التدليل الذي يبتغي التمثيل لئلا نقع في الإفاضة والتطويل:

في قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب:



[١] بعث الله سبحانه "إليّ بإحدى ساكنات جنانه... ثم حكى كلّ ما وقع له في الثلاث ليال الماضية". فيروز شاه، مج١، ص٢٨-٢٩.

[٢] "أنا هو فيروز شاه.. وما خرجت من بلادي إلا لأجلك، وقد أرسل الله لي شخصك في نومي.. ثم حكى لها كل ما وقع له". فيروز شاه، مج١، ص٨٩.

[٣] "إني وحدي قد اطلعت على حلم حلمه، وذلك أنه رأى فتاة...". فيروز شاه، مج١، ص١٢٨-١٢٩.

[٤] "وقد رآني في الحلم ثلاث ليال متوالية، وفي كل ليلة يراني كما أنا...". فيروز شاه، مج٣، ص٥١.

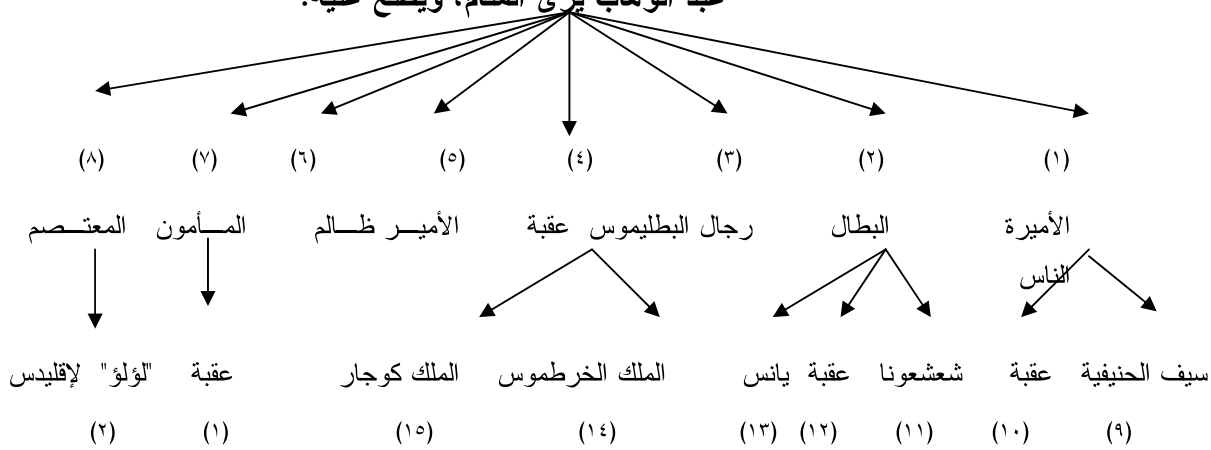
[٥] يقص عليه مختلقا رؤيا فيروز شاه بعد سفره لتعزاء اليمن، ويمرر عليه حكاية الحلم. فيروز شاه، مج١، ص١٣٢.

[٦] عبر رسالة: "وذلك أنه كان قد رأى في نومه شخص بنتك عين الحياة ثلاث مرات في ثلاث ليال". فيروز شاه، مج١، ص١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في نموذج أشد تعقيدا لتواتر الرواية وسيطرتها على السرد، ينبني منام الصلب في الأميرة ذات الهمة على امتداد المجلدات السبعة، وينهض برواية المنام فاعلو السرد الرئيسين والفرعيين ضمن تجليات مختلفة، وزوايا رؤى متباينة، لا سيما أن المنام روي عدة مرات من قِبل المؤمنين به "الأميرة ورجالاتها"، والكافرين "عقبة وحزبه":

عبد الوهاب يرى المنام، ويطّلع عليه:



---

(١) "... والأميرة ذات الهمة، وقالوا: والله هذا أحب إلينا من فتح القسطنطينية"، مج١، ص٨٦٧.

(٢) " ما الخبر؟ فأعاد عليه القصة، ففرح الأمير أبو محمد بذلك"، مج١، ص٨٦٧.

(٣) على لسان عقبة: "ولم يزل الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة يبغّضون إليهم.. وقالوا لهم: إن علينا أيمان لا بدّ لنا من صلبه على باب القسطنطينية"، مج٣، ص١٩.

(٤) "يا أبو محمد... ومع هذا تزعمون بأنكم تصلبوني على باب الذهب بالقسطنطينية"، مج٣، ص٤٣٥.

(٥) "ما هو رأس اللعين عقبة، وأنا ما أردت قتله حتى أشتفي منه، ونهتك ستره، ونصلبه على باب الذهب كما أمرنا سيدنا سيد البشر..". مج٤، ص١٢٩.

(٦) "وآخذ عقبة شيخ الضلال اللعين، وأصلبه على باب الذهب، فإن صلبه قد وجب..". مج٤، ص٣٠٤، وانظر مج٤، ص٣٠٨.

(٧) "يا مولاي! أريد صلبه على باب الذهب كما أمرني النبي المنتخب...". مج٧، ص٨٢٩.

(٨) "...رأى في المنام النبي يقول له: إن هذا عقبة يُصلب على باب الذهب بالقسطنطينية بعدما يهلك عليه خلق كثير من الروم والعرب، فلما سمع الأمير ذلك أصبح وأعاد المنام على جميع الناس...". مج٣، ص٥٠١.

(٩) "إن أبيك أخبر الناس أنه رأى النبي في المنام وهو يقول: إنه يُصلب على باب الذهب بالقسطنطينية، والشجرة التي قال لأبيك إنه يُصلب عليها موجودة عند نافع في حصن الكوكب". مج٣، ص١٤٤.

(١٠) "يا ملعون! إني أموت وتبلى عظامي ولا أيأس من صلبك... قد صحّ عندي أن نبينا عليه الصلاة والسلام صادق في اليقظة وفي المنام...". مج٧، ص٢٩٨.

(١١) "أيها الملك! إن قتلته فقد كذب المنام الذي رآه الأمير عبدالوهاب بأنه يُصلب على باب الذهب بالقسطنطينية...". مج٣، ص٤٠٩.

(١٢) "يا أبو محمد... ومع هذا تزعمون بأنكم تصلبوني على باب الذهب بالقسطنطينية"، مج٣، ص٤٣٥.

(١٣) "فإن كان عقبة سالم صلبناه على خشبة باب الذهب...". مج٤، ص٣٠٧.

(١٤) "إن هذا الأسود قال إنه رأى في المنام أن نبيه وهو يقول: لا بد أنك تصلب الشيخ النجيح على باب القسطنطينية". مج٣، ص٥٨٢.

(١٥) "إنه يريد يملك القسطنطينية الكبرى، ويصلبني على باب الذهب، وأن نبيه محمد قد أخبره بذلك...". مج٣، ص٦٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يفضي بنا العرض السابق كذلك إلى النتيجة التالية فيما يتعلق بالراوي وعلاقته بالمروي:

- يكون الراوي مفردا / أو مثنى قليلا، إذا كان المنام ثانويا، أي غير مركزي.
- ويكون الراوي جماعة إذا كان المنام مركزيا.

وينسجم هذا مع منطق القصّ، إذ يتجلى المنام المركزي الذي سينهض العمل كله لإنفاذه وتحقيقه عبر مستويات متعددة من الرواية، تؤكده وتسهم في تطويره. أما المنام الثانوي وبغض الطرف عن مستوى أهميته، فإنه غالبا ما يعرض مرة واحدة، فيصبّ في ذات الروافد التي تدعم المنام المركزي، إنه يدلي بإشاراته ورمزياته، ثم يغيب تاركا مساحات السرد للرواية الأكثر أهمية، وهي التي تحكي تفصيلات المنام المركزي.

سأمثل لذلك بسيرة الأمير حمزة البهلوان، حيث تُروى المنامات التالية وقد تُستدعى مرة واحدة فقط، على الرغم من أهميتها التي تدفع أخيرا لإحقاق نبوءة استعادة ملك كسرى، لإذلاله ورفع نيره عن العرب:

◆◆ يرى الأمير غربانا تحوم حول المدينة، ويأخذ كبيرٌ منها أباه، بينما يحمل آخرون رجالا من سادات مكة، وقد استدعاه عمر كبير العيارين للأمير عقيل في رحلة التثبت من دلالة المنام[٣].

◆◆ يزور الخضر الأمير ويشفي رجله، ثم يقصّ المنام على بزرجمهر الذي تساءل عن آلية الشفاء[٤].

---

(١) "يا قاضي! كيف ترى قول النبي للأمير عبد الوهاب حيث وعده بصلبك؟ هل صحّ قوله في الرؤيا؟! ". مج٧، ص٩٢٨.

(٢) "...رأى في المنام النبي يقول له: إن هذا عقبة يُصلب على باب الذهب بالقسطنطينية بعدما يهلك عليه خلق كثير من الروم والعرب، فلما سمع الأمير ذلك أصبح وأعاد المنام على جميع الناس...". مج٣، ص٥٠١.

(٣) الأمير حمزة البلهوان، مج٢، ص١٤١.

(٤) المصدر السابق ، مج٣، ص١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ يرى الأمير طيرا ينقضّ على أحشائه، ويدفعه التأويل للبحث عن ابنه بديع الزمان[١].

◆◆ يرى كسرى نارا تضرب في وسط جيوشه، وتتأول بهجوم العرب[٢].

على الصعيد الآخر، يتم استدعاء المنام المركزي الذي رآه كسرى وبشَّر بميلاد الأمير حمزة مرات عديدة، وفي سياقات متباينة تظل تؤكد النبوءة، وتنتظر تحققها:

◆◆ يرويه أولا لبختك بن قرقيش، ثم في مجلس آخر لوزيره بزرجمهر الذي يؤوله له[٣].

◆◆ يرويه بزرجمهر للأمير إبراهيم والد الأمير حمزة[٤].

◆◆ يستدعيه سادات القوم للأمير إبراهيم في حادثة قتل حمزة الأسد[٥].

◆◆ يستدعيه الخضر لحمزة ذاته، وهو يؤهله لتخليص العرب من الفرس[٦].

◆◆ يستدعيه سادات مكة ثانية أمام الأمير إبراهيم في حادثة قتل حمزة بعثة كسرى لأخذ المال[٧].

◆◆ يستدعيه الحبيس لأصفران الدربندي.

◆◆ ويستدعيه الأصفران للأمير حمزة[٨].

◆◆ يستدعيه رجال النعمان للنعمان في حادثة إيقاع حمزة بهم[٩].

◆◆ يستدعيه بزرجمهر لكسرى إثر حادثة إيقاع حمزة برجاله[١٠].

◆◆ يستدعيه بختك لكسرى تكذيبا لتأويل بزرجمهر عندما هربوا لطهران[١١].

◆◆ يستدعيه الأمير حمزة في رسالته التي هدد بها خارتين[١٢].

◆◆ يستدعيه كسرى لبزرجمهر لدى غلبة الأمير حمزة لخارتين[١].

---

(١) المصدر السابق ، مج٤، ص١٩-٢١.
(٢) المصدر السابق ، مج٢، ص١٠-١١.
(٣) الأمير حمزة البلهوان، مج١، ص٣-٥.
(٤) المصدر السابق ، مج١، ص٦.
(٥) المصدر السابق ، مج١، ص١٤.
(٦) المصدر السابق ، مج١، ص١٥.
(٧) المصدر السابق ، مج١، ص١٩.
(٨) المصدر السابق ، مج١، ص٣٠-٣١.
(٩) المصدر السابق ، مج١، ص٣٣.
(١٠) المصدر السابق ، مج١، ص٤٣.
(١١) المصدر السابق ، مج١، ص٤٨.
(١٢) المصدر السابق ، مج١، ص٥٣.

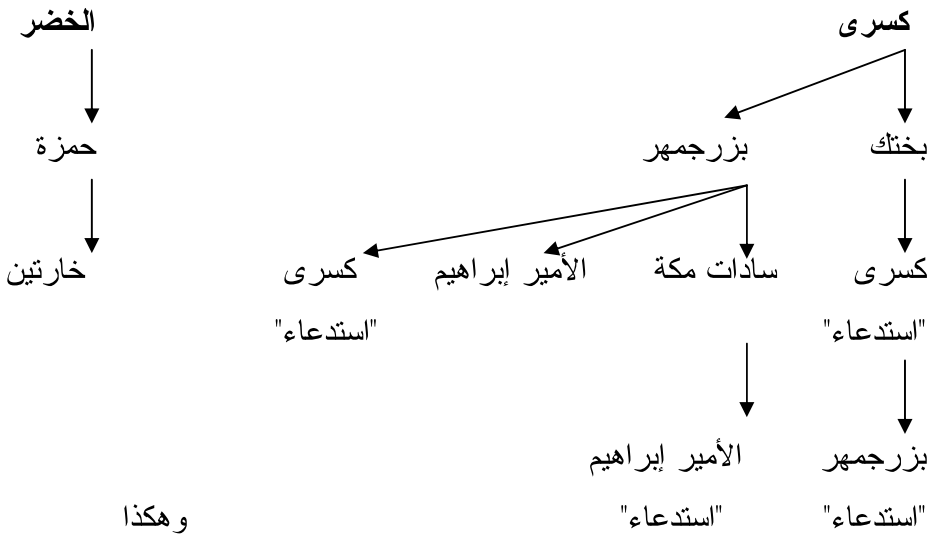
All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ستكون لذلك ترسيمة المنام الثانوي أفقية، تشي بحكي المنام واستدعائه للتأويل مرة، وقليلا مرتين:

الرائي المنام ← التأويل **المؤول**

"**الراوي**" "**المروي له**"

بينما ستكون ترسيمة المنام المركزي بحسب تعدد رواته متواترة عموديا:



ولعل منام الصلب الذي أفضت الحديث فيه سابقا، مثال واضح كذلك على تواتر رواية المنام المركزي مقابل رواية أحادية للمنامات الأخرى.

❋❋ في تأويل نص المنام "وجهات النظر"

تمر رمزيات المنام في قناة المؤول العارف الذي يعرضها على خبراته اللغوية، والدينية، والعرفية... إلخ، بغية الوقوع على التأويل الصحيح، حيث تُترجم تلك الرموز لواقع يعيشه السرد، وغالبا ما يكون التأويل صائبا قائما بوظائفه المناطة به.

---

(١) المصدر السابق ، مج١، ص٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا أن تأويل المنام لا يسلم من إعادة إنتاجه لدى تلقيه وإعادة روايته[١]، وذلك أن الراوي قد يعمد لانزياحات معينة في التأويل/ الذي قد يسلّم بصائبيته ضمنا، انسجاما مع رؤيته الخاصة الأيدلوجية، أو حاجته الشخصية. نجد أنفسنا عند ذلك بصدد "السرد الذاتي" حيث "لا تقدَّم الأحداث إلا من زاوية نظر الراوي، فهو يخبر بها، ويعطيها تأويلا معينا يفرضه على القارئ، ويدعوه إلى الاعتقاد به"[٢]. ولا شك أن هذا يغني السرد، ويجد له مسارب عديدة يتمظهر فيها وهو يحمل تأويلات متعددة، ورؤى مختلفة لذات النص المنامي.

كثيرا ما تُحيل المرجعية الدينية لاختلاف الرواية، وإعادة إنتاجها اتساقا مع تلك المرجعية، وسأعود ثانية لمنام الصلب الذي تبلورت حوله رؤيتان واضحتان إلا أنهما متعاكستان: فالأمير عبدالوهاب والأميرة والبطال.. اعتقدوا جزما بصوابية الرؤية وضرورة تحققها، وعملوا جميعا كما أثبتّ لذلك على إنفاذها، الأمر الذي نجّى عقبة من موت محقق في مرات عديدة. وهنا رافق الحديثُ الشريف: "من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي" السردَ، وعمل على تحفيز الأبطال لإنفاذ الرؤيا. وبان لنا في سياقات عديدة إيمان الأبطال الذين رددوا: "وما في رؤية رسول الله تكذيب"، حتى استعلن بها المعتصم آخر السيرة وعقبة على خشبة الصلب. في المقابل يحضر عقبة الذي يمثل زاوية الرؤية المجانبة التي حاولت تأكيد بطلان الرؤيا، وإن أضمر معرفة تدرك صوابها، كيف لا وهو العالم بالشريعة الإسلامية؟. ولتحقيق هدفه أنتج حلما مضادا مدَّعى زعم فيه أن المسيح –عليه السلام– طمأنه بأن الأمير لن يستطيع الوصول إليه، ولن يمكنه أن ينفذ الصلب.

ومثل ذلك منام مريم الزنارية التي روته في سيرة الظاهر مرتين: للراهب ابتداء، ثم لشيخ الإسلام، وقد عمد كلّ منهما لتأويل رمزيات المنام وفق المرجعية الدينية، فالوادي الأخضر مثلا يمثل دين الكرستيان من منظور الراهب، بينما يمثل دين الإسلام من منظور الشيخ، وتكون الذبابة البيضاء التي دخلت جوفها رمزا لقبول زيارتها عند الراهب، بينما تمثل كلمة الإخلاص والدخول في الملة الإسلامية لدى الشيخ.

---

[١]) "إن تعدد الرواة يؤدي غالبا إلى تعدد وجهات النظر حول قصة واحدة"، بنية النص السردي، حميد لحميداني، ص٤٩.

[٢]) بنية النص السردي، محمد لحميداني، ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما ينهض البغدادي الفقير من بلده لمصر بحثا عن الكنز، فإن اعتقاده بالمنام والرؤيا التي كثيرا ما كان الرسول يسأل أصحابه عنها كما أثر عنه –عليه السلام– يدفعه للتصديق والخروج وقطع المسافات البعيدة. إن البغدادي مؤمن بالدرس الديني الذي يقيم اعتبارا خاصا للرؤيا ويحتفل بها، ويُعنى بما يمكن أن يشكلها حتى في الأثر المادي الماثل في الطهارة وتقليم الأظفار.. إلخ. كيف لا وقد حضرت في القرآن الكريم، وفي أحاديث صحيحة عن الرسول الكريم، وفي تراجم الصحابة!! إلا أن هذه الرؤية قد تخص ولا تعمّ، فتقابلها النظرة المادية التي لا تقيم اعتبارا للرؤيا، بل تراها ضربا من الوهم، أو انعكاس الواقع... وقد مثّل لذلك الوالي المصري الذي اعتبر سفر البغدادي محض "قلة عقل"، ولذا أذعن هو بعقله الواعي للتمرد على رؤيا تكررت في فضائه ثلاث مرات متواليات، بالرغم من أن الحكاية سخرت منه هو أخيرا عندما جعلت الحالم البغدادي يعثر على كنزه، تماما كما أوحى به الوالي.

وهذا التباين الذي يعود لاختلاف المرجعية الدينية حاضر في المشهد التأويلي التراثي، وقد أصّل له ابن سيرين عنما أكّد على حضور التحول في التأويل بحسب الالتزام الشرعي، ومثّل لذلك بتأويل العسل، الذي كان الناس يرونه زمن صلاحهم حلاوة في الدين، وزمن تراجعهم الديني حلاوةً في الدنيا ومكتسباتها المادية.

وتُحيل الغاية المادية لتبني تأويل يغاير ما أوّله العارف، أو ما يحتمله من تأويل صائب لتحقيق الأهداف المرجوة، ودفع السرد باتجاه آخر: ينتمي تأويل الحكيم طيطلوس لمنام فيروز شاه لهذا الإطار، فإنه إذ يُروى له منام عين الحياة فيستبطن المعاناة التي وقع فيها أميره، والويلات التي قد تلحق الدولة بانشغاله عنها في حب فتاة لم يرها، يطرح تأويله الذي يرمي المنام في بؤرة العبثية المؤطرة بالأضغاث والأوهام والخيالات: "إن ما رأيته أضغاث أحلام، ولم يكن في ظني أن تسلم نفسك ليد الأوهام.."[١]. لقد عمد طيطلوس لتأويل مفارق أثبته فيروز بإقراره أن تكرار المنام إنما هو قدر رباني حكيم، ولا يمكن اعتبار قول طيطلوس من باب اللادراية لسببين جوهريين، فأولا: يحكي السياق السابق لتأويله أنه: "كان خبيرا في حوادث الأيام، لكنه أظهر الجلد.."، كما تحكي السيرة أنه تنبأ بمعاناة فيروز، وكشف السرد مستبقا حوادثه عندما هنّأ الملك ضاراب بميلاده وأعلن خوفه من مستقبل الأمير: "إنما يخاف

---

(١) فيروز شاه، مج١، ص٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه من أمر واحد.. إنه يغرم بحب فتاة فيلاقي لأجلها صعوبات كثيرة..."[١]. على ضوء ذلك، يكون تأويل طيطلوس/ الراوي منطلقا من بوتقة الغاية التي يريد تحقيقها لفيروز أولا، ولشعب مملكته ثانيا.

في ذات الرؤية النفعية ينساق تأويل وزير تاج الملوك في حكايته مع الأميرة دنيا، إلا أنه أظهره رسما لا نصًّا حيث أمر النقاشين برسم المنام مع انزياح في موقف الطير الذكر الذي ترك أنثاه في المنام الحقيقي الذي رأته الأميرة دنيا، ليجعله مغلوبا على أمره إذ دُبح بيد الصياد أثناء توجهه لتخليص أنثاه. إن هذا الانزياح تكفل بقلب التأويل من قيمته السالبة "الخيانة"، إلى قيمته الإيجابية "المبادرة" بغية تحقيق هدف تاج الملوك وهو الزواج بالأميرة دنيا. وذات الأمر ينطبق بالتأكيد على وزير أردشير مع حياة النفوس حيث تبنى الموقف نفسه، وجعل النقاش يعيد صياغة تأويل المنام رسما بما يتفق مع حاجة أردشير.

في الأمثلة السابقة يتحول المروي له لراوٍ، ولكنه راوٍ فاعل في تغيير التأويل المطروح لا سيما في قصتي تاج الملوك وأردشير، حيث تكفل التأويل بقلب مسرى الحكاية، وعدَّل في الفكر الاجتماعي السالب الذي تبنته كلّ من الأميرة دنيا وحياة النفوس تجاه الرجال:

تاج الملوك ← يروي ← الوزير ← يروي ← النقاش

راو ← مروي له ← مروي له

راوٍ

"يحتفظ بتأويل الأميرة دنيا "الخيانة"

يعدل التأويل "المبادرة"

في المروي له

---

[١])المصدر السابق ، مج١، ص١٩.(

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتميز نصوص المنامات بإفرازها نوعا خاصا من المروي له، وهو المؤول الذي يُلقى على كاهله عبء التأويل، وفك رموز النص. وقد تواضعت النصوص محلّ الدراسة على ترسيم هيئة معرفية خاصة للمؤول الذي يُقبل تأويله، وأسبغت عليه سمات معينة يُشترط وجودها لقبول التأويل. وإن أفرزت بعض النصوص مؤولا غير عارف، فإنها تتناوله بالتعريض وعدم القبول.

سأقف إذن عند نوعين من المؤولين:

❋❋ **المؤول غير العارف:** وهو الذي لا يمتلك أدوات التأويل التي تخوله تعبير الرؤيا من لغةٍ، ودراية أدبية، ودينية، وتاريخية.. وسمات شخصية تحكي الفطانة، وحسن المقايسة، والنظر في المشابهات وغير ذلك.

ويُلحظ هنا أن هذا المؤول غير العارف سيفرز بالضرورة تأويلا غير مصيب، الأمر الذي سيفضي لردّ التأويل وعدم اعتباره الذي يقترن أحيانا بمبرر صريح يوضح سبب الرفض، والبحث عن تأويل مغاير.

كما يُلحظ ندرة ترسيم شخص هذا المؤول، واحتفال النصوص بضده، ذلك أن هناك مواضعة اجتماعية مضمرة على انتقاء المؤول الحكيم الذي سيعبر الرؤيا، ويُعلن نبوءتها:

◆◆ تحكي ناهد منامها الذي يدعوها للإيمان، ويبشر بقدوم الملك سيف ليخلصها من المختطف الملعون للبنات، فلا يدركن فيه إلا كونه "أضغاث أحلام"[١]، ويطرح النص تأويلا مغايرا بقدوم سيف والقيام على تخليصهن.

◆◆ ويستعلن كسرى برفض تأويل وزيره بختك بن قرقيش الذي لم يستطع فهم رموز النص، ولا اعتبار تكرره على ذات الهيئة، ثم يختزل النص الذي يمثل نبوءة السيرة المركزية بكونه: "من قبيل الأوهام"، وأن هذه الأحلام تحدث بسبب تخليط في الطعام!! ولذا يرفض كسرى تأويله مبررا: "أنت لا معرفة لك بمثل هذا الأمر". وسيعطيه ذلك حق رفض تأويله في

---

١) الملك سيف، مج١، ص١٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرات لاحقة من مثل تأويله النار التي تضرب في جيش كسرى: أن كسرى سينتصر، وأن مخاوفه من العرب غير مبررة لأنه "يهدس" بهم، ويفكر فيهم على الدوام![١].

◆◆ وقد عرضت بشيء من التفصيل لمنام مريم الزنارية، التي روته للراهب حيث لم يستطع فكّ رموز المنام بصورة صائبة، بل عمد للتضليل بغية تحقيق الزواج منها، فأدركت أن "كلامه كله هذيان". ومما يدلّ كذلك على عدم اقتناعها بالتأويل بحثها عن تأويل مغاير، ولذا أعادت رواية المنام على شيخ الإسلام، الذي أصاب في حكمه وتأويله.

❋❋ **<u>المؤول العارف:</u>** وقد أعطته نصوص المنامات حق الظهور الأغلب، وأسبغت عليه سمات معرفية خاصة، مكنته من ممارسة التأويل، وإدراك مرامي النص، الأمر الذي أفضى لتلقي تأويله بصورة إيجابية:

◆◆ تحيل مرجانة وزيرة الملكة نور الهدى لمؤول له مرتبة خاصة في العلم، تؤهله لإدراك نص منام الملكة الحافل بالرموز: "يا ملكة! هذا منام لا يعبره إلا من كان من أرباب الأقلام" ليكون الكاهنة زعزوعة، وإيحاءات الكهانة وكشفها ستر الغيب بيّنة، داعية لحسن التأويل من منظور الملكة[٢].

◆◆ ينهض بزرجمهر المؤول الرفيع لعدد من أحلام كسرى والأمير حمزة، وتسوق السيرة منذ البدايات صفاته الخاصة التي أهلته لذلك، فهو كما يرى كسرى: "خبير بعلوم العالم، وتفاسير أغماضها"، ولذا يعرف الملك جيدا أن هذا الحلم لا يفكه ويعبره إلا بزرجمهر[٣]. وتشهد السياقات للوزير بحكمته عندما تحقق تأويله دائما وتجعله واقعا مدركا، موافقا للرموز التي قام بحلها وتأويلها.

◆◆ طيطلوس "أصله من بلاد اليونان، خبيرا عالما بأحوال الدنيا، وتواريخ العالم، فيلسوفا يعرف بضرب الرمل والتنجيم، ورصد الأفلاك.."[٤]. ومن حسن درايته تجعله السيرة متنبئا حال فيروز قبل أن يقع في شرك المنام، فهو الذي أخبر أنه سيعاني من حبّ فتاة،

---

١) الأمير حمزة البهلوان، مج١، ص٤، و مج٢، ص١١.
٢) الملك سيف، مج٢، ص٥٩.
٣) الأمير حمزة البهلوان، مج١، ص٤.
٤) فيروز شاه، مج١، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاقي في سبيلها الأهوال، وهذا هو الذي برر له محاولته تضليل رؤيا فيروز، ومنعه من اقتحام المغامرة لئلا يقع شعب مملكته من بعده في الضلال وأيدي الأعداء.

◆◆ الكاهن "الموقر، المعظَّم، الفاهم، الحكيم" هو الذي فسَّر منام الرباب المتنبئ بميلاد جندبة[١]، و"الحكماء" بما تحيل إليه الكلمة من المعرفة والدراية وحسن التبصر، هم الذين فسروا منام غالية بوليدها عقبة[٢]، وقد أوكلت السيرة لأبطالها بما عرفوا من الإيمان والدراية بتأويل المنامات، يشهد لذلك تأويل الأميرة منام عبد الوهاب في الودائع[٣]، وتأويل البطال منام الأميرة، حيث أوَّل النار بعقبة، وصادق على شهادة الرسول الكريم في القضاء على عقبة [٤]، وتأويل الأمير منام أمه ذات الهمة في مشهد الجواري الأبكار برضى الله –سبحانه– عليها لجهادها ومحاماتها عن شريعة الإسلام[٥].

◆◆ وعلماء الإسلام يتصدرون تأويل منام الملك الصالح بالضباع والسباع، ويبنون على التأويل واقعا بطلبهم شراء المماليك لما استبطنوه من خيريتهم للدولة كما أوحت بذلك رمزيات المنام[٦]. ويؤكد إبراهيم على الملك العادل أنه لا يفسر منامه – الذي نسيه– إلا حبيب أو "لبيب"، ثم أحاله للعلماء الذين يؤمُّون بلاطه[٧].

◆◆ ويظهر "المعبِّر" بما تختزله الكلمة من وظيفية العلم اللازم لتعبير المنامات والقيام على تأويلها، شخصية هامة تُسأل لفك رمزيات المنام، يطلب الشمردل "معبرا" لتأويل رؤيا سنان رمحه الساقطة[٨]، ويسأل الموصلي "معبرا" لتفسير مناولة جرير إياه كبّة من الشعر، ويحكي السيد منامه "لابن سيرين شيخ المعبرين" والرسول الكريم يأمر بغرس النخل في الأرض الكافور[٩].

---

١) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٨.
٢) المصدر السابق ، مج١، ص٥٨٨.
٣) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٩٤.
٤) المصدر السابق ، مج٧، ص٥٩٩.
٥) المصدر السابق ، مج٧، ص٩٢٣.
٦) الظاهر بيبرس، مج١، ص١٠٠.
٧) المصدر السابق ، مج٢، ص١٢٤٩–١٢٥٠.
٨) الأغاني، ج١٣، ص٢٥١.
٩) المصدر السابق ، ج٧، ص١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ "والمنجم أو العالم" مرة ثانية يُطلب ليسأل عن تفسير منام الشيخ بويه الـذي تنبـأ بسلطانهم، وامتلاكهم الأمر[١].

◆◆ ويستعلن بطل السرقسطي بطلب "العالم" لتفسير رؤياه: "لائذا بأهل العلم والقـسط، مسندا إلى ذوي البسطة فيه والبسط"، وفي موضع آخر يطلب ملك حكايته الاستعانة بـ "عليم خبير، وحَبْر كبير، يجيد التعبير، ويحسن التخبير. قال: فأتي برجل مـشهور العلـم، مـأثور الحلم..."[٢].

تصنيف السمات التي أسقطها الرواة على المؤول يُفضي لضربين مركزيين من الأدوات اللازمة للتأويل:

◆◆ العلم والدراية.

◆◆ التنجيم والكهانة.

وفي مواضع عديدة يتقاطع الضربان ليكون المؤول عالما، قادرا على التكهن والتنجـيم والضرب بالرمل –الذي يُعتبر من علوم العرب الشائعة– مما قد يوحي بمصداقية أعلى عندما يمتلك المؤول هذين القطبين لحظة التأويل وتعبير الرؤيا.

الترسيمات السابقة التي جسّدت أحوال الرواة، تكشف نقاطا أساسية كـذلك فـي حالـة المروي لهم، سأتناولها بحسب النقاط التالية:

● المروي له/ الراوي: يتحول المروي له في سرود عديدة لراوٍ يساهم فـي البنـاء القصصي، وينتج بفاعلية سلسلة من الأحداث التي تلتحم في النسيج العام للنص، وتشارك في إتمام مشاهده، ومبناه الحكائي:

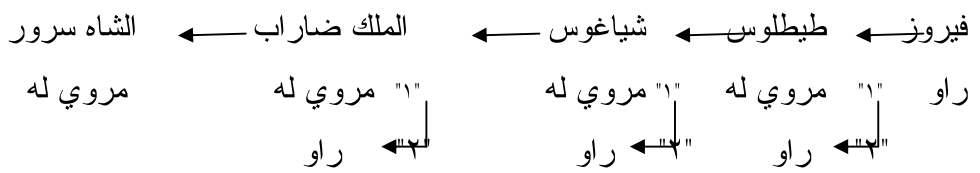
◆◆ في سيرة فيروز شاه يكون طيطلوس الحكيم أول مروي له في المنام المركزي، ثم لا يلبث أن يتحول لراوٍ يحكي المنام بتفاصيله لشياغوس، الذي لا يلبث كذلك أن يتحول لراوٍ يحكي المنام للملك ضاراب، الذي يتحول لراوٍ كذلك يحكي ذات المنام للشاه سرور.

---

(١) النشوار، ج٤، ص١٩٢.

(٢) المقامات اللزومية، ص٤٣٩ و٥٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



إن قيمة التحول من شخص مروي له لراو تتمثل في القدرة على تخليق سلاسل حكائية هامة، تعين السرد للوصول إلى مشاهده الرئيسة، وتطوير بنياته! أخال معرفة الملك ضاراب بمنام فيروز كانت مفصلا خطيرا أدى إلى تحريك الجيوش لإنقاذ ابنه من أزمته وتغريبته، إن ذلك لم يكن ليتم لولا تحول شياغوس النقاش من مجرد كونه مرويا له، لراوٍ فاعل مساهم في إثارة السرد وتحريك بؤره الساكنة.

● المروي له شخصية حكائية: ويتماهى هنا مع الراوي في تلبس دور المنفعل بالحدث تارة، والمخلق له تارة أخرى. إن السرد لا يقف عند مجرد رواية المنام، بل إن المنام يُروى من أجل أن يكون تحفيزا لبناء الآتي، وقد أثبتت الترسيمات السابقة كون أشخاص عديدين شخصيات سردية هامة لعبت دور المروي له والمساهمة في أحداث العمل معا، وليست الأميرة، وابنها عبدالوهاب، والبطال وكسرى، وبزرجمهر، والأمير حمزة .. إلخ ببعيدين عن التمثيل الذي يثبت ذلك، ويقره.

● ينسجم تعدد المروي له مع نوعية المنام وأهميته، تماما كما عرضت لذلك في حق الراوي، فإذا كان المنام مركزيا، ولّد سلسلة طويلة من الرواة والمروي لهم، أما إذا كان مناما ثانويا، فإن ذلك يعني عددا محدودا من المروي لهم.

لا يقصد هذا التعليق تهميش مثل هذه المنامات الفرعية؛ لأنها تتشكل رافدة للمنام المركزي، وعاملة على دعمه وتحقيقه، إلا أنها على مستوى الرواية تنحصر بين مجموعة صغيرة من الرواة والمروي لهم، بحكم أن السارد ينشئ هذا المنام ليكون علامة دالة، وتحفيزا للقص الآتي، ثم يغيِّبه بقصد ليترك المساحة الكبرى للمنام المركزي، الذي يظل يطل على المتلقي عبر سياقات متعددة، ورواة مختلفين، ويحملهم مع المروي لهم وظيفة إشغال المتلقي بمركزية المنام لا سيما ما يحمل منها نبوءة العمل، ثم وظيفة العمل على تحقيقه وإنفاذه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حدد جيرار جينيت مستويات تواتر رواية الفعل ضمن الآتي:

= أن يروى مرة ما حدث مرة.

= أن يروى أكثر من مرة ما حدث مرة.

= أن يروى أكثر من مرة ما حدث مرة.

= أن يروى مرة ما حدث أكثر من مرة.

وعلى ضوء العرض السابق نستطيع التأصيل لما يلي:

◆◆ تنتمي المنامات الثانوية لرواية المستوى الأول في الغالب، وإن كان من الممكن أن تُروى ثانية لا سيما عند طلب تأويلها.

◆◆ تنتمي المنامات المركزية للمستويين الثاني والثالث، وقد مثلت عليهما بـ:

منام الصلب، فقد روي أكثر من مرة، وحدث أكثر من مرة، إذ لم يتم رؤية النبي الكريم مرة واحدة فقط بل مرات عديدة، وفي كل رؤية جديدة كانت تتم إضافات نوعية زمانية ومكانية، بل ونهضت بعض الرؤى بوظيفية التعريف إذ يزور النبي الكريم المعتصم، ويبشره بصلب عقبة مثبتا في روعه صوابية توجه الأميرة وأبطالها للصلب، لئلا يخامره شكّ في ذلك، كما خامر الخلفاء السابقين، فوقفوا بجانب عقبة ضد فكرة صلبه.

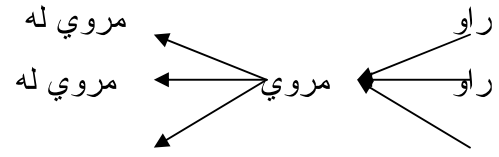
◆◆ منام كسرى، فقد روي مرات عديدة، ولم يتمّ إلا مرة واحدة تصدرت السيرة في المجلد الأول.

ويمكن ربط ذلك مع الرواة بحيث نجسد:

المنام الثانوي يتخذ الترسيمة الآتية:

راوٍ ← مروي ← مروي له

المنام المركزي "١":



All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

راو "مرة واحدة" مروي له

المنام المركزي "٢":

راو ← مروي ← مروي له

راو ← مروي ← مروي له

راو ← مروي ← مروي له

"أكثر من مرة"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

➢➢ تكثيف

أنتجت السرود أنواعا خاصة من الرواة والمروي لهم، بناء على خصوصية تشكلها النصي:

اختارت منامات الأخبار رواة يفارقون مروياتهم؛ وذلك لاتكائها على السند الذي يشكل قطيعة فعلية بين الراوي وما تلقاه فأعاد روايته! في حين تبنت منامات السير والحكايات رواة يتماهون مع قصهم ويكونون هم منتجين له، ومشاركين مشاركة فعلية في بنائه وتطويره.

وبحسب أهمية المنامات ومركزيتها انفرد الرواة أو تعددوا، وقد أثبت عبر أمثلة دالة تفرد الراوي بمرويه إذا كان فرعيا غير مركزي، بينما حتمت المنامات المركزية أن يكون راويها جماعة يتناقلون النص، ويطورون فيه، ويتحول حتى المروي له إلى راو فاعل يبني في السرد.

وقد أفضى تعدد الرواة في المنامات المركزية لتعدد وجهات النظر التي رسمت آفاقا واسعة، تجاورت فيها رؤى متباينة، لتباين المرجعيات التي يحتكم إليها الرواة، إذ سينهض كل راو بتفسير ما يروي بحسب مشاعره، وأفكاره الذاتية، ورؤيته العامة للكون والحياة!. وقد تبينا ذلك لا سيما أننا نقف بإزاء نصوص تعرف الصراع الديني العقدي، والجنسي معا.

وأخيرا.. فإن الاحترام العام للمنامات، وإدراك قداسة إيحاءاتها أفضى لإيجاد نمط تفكيري جاد تجاهها، الأمر الذي أدى لتصديقها، وتسييرها حياتية الناس، الذين دأبوا في بحث جاد لتفسير رمزياتها وتحليل إشاراتها، وقد أفرزت هذه النظرة نوعا خاصا من المروي له وهو المؤول العارف الذي يمتلك أدواته المعرفية التي تؤهله للقيام بمهمة عبارة الرؤيا، وهو التأويل الأعم الذي يطغى على التأويل المضلل الذي نادرا ما كان يرد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



تَشَـكُّـلاتُ

الشَّـخصِيَّـةِ المَـنَامِيَّـةِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشخصيـــــات[١]

سأستهلّ الحديث عن الشخصية بإعلان بارت: "لا يوجـد أي سـرد فـي العـالم دون شخصيات"، وإن كان الحديث عن تمايز مستوى الشخصيات وأهميتها واردا لـدى بنـاء أي تحليل عن الشخصية[٢]. ولا نعدو الصواب إذا أقررنا أن الشخصية "أهـم مكونـات العمـل الحكائي لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل فـي مجرى الحكي"[٣]. بل إن والاس مارتن يؤكد أنه لا يمكن فصل الشخصية عن الوظيفة لتحكّم أحدهما بالآخر دائما[٤].

وتقوم الشخصية ببناءين هامين في النص، يتمثلان في: البناء الفني الجمالي، والفكـري المعرفي .. وعلى ضوء ذلك يمكن نمذجتها وتصنيفها بحسب الأداة النـصية التـي شـكلتها وطوعتها لخدمة الأهداف العامة التي بُني العمل من أجل خدمتها والتأسيس لها[٥].

على ضوء ذلك تهدف دراسة الشخصيات في هذا المبحث للوقوف على النقطتين الرئيستين:

- إدراك مدى اتصال الشخصيات بالفكر العام الذي يمثله المشهد المنامي.
- ثم إدراك مدى اتصال الشخصيات بالنسق العام الذي يمثله المؤلّف الذي تنتمي إليه.

ذلك أن رسم الشخصيات في النص لا يكون فنيا محضا، بل إن الراوي يقولبها بقالـب خاص استنادا للمشروع الفكري، والبناء الفني اللذين نهـض للتـأليف مـن أجلهمـا. تغـدو الشخصيات على ضوء ذلك كما الفضاء المكاني والزمان بنيات حكائية هامة، يوكل إليهـا أن تتمم الغايات الموضوعية والفنية المرادة. إنها تأتلف في نسيج النص، وتعمد لترسيم الغـايتين الكبريين بلغتها الخاصة.

وتوصلا لذلك، تمت عدة تصنيفات توخيت عبرها الإمساك بالخيوط المـشتركة التـي أطرت وجود الشخصيات، ضمن دوائر خاصة تحكي:

---

١) لسعيد يقطين فضل كبير في تصنيف الشخصيات وعلاجها على ضوء قراءتي لفـصله المميـز عـن الشخصيات في كتابه قال الراوي، ص٨٧-١٥٦.

٢) طرائق تحليل السرد الأدبي، التحليل البنيوي للسرد، رولان بارت، ص٢٣.

٣) قال الراوي، سعيد يقطين، ص٧٦.

٤) نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، ص١٥٢.

٥) سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، صلاح صالح، ص٩٩-١٠٣. وانظر المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أنواع الشخصيات التي أفرزتها المنامات.
- الأفعال التي أوكل إليها أن تقوم بها.
- مقاصدها العامة التي تغيَّت تحقيقها، جراء قيامها بالأفعال السابقة.

لم تتباين شخصيات المنامات تباينا لا يمكن حصره وضبطه، بل تقاطعت ملامحها في أحيان عديدة، وترسمت بُنى مشتركة، وإن تغايرت وافترقت من جانب آخر، ذلك أنني أدرس شخصيات المشهد المنامي فحسب، معزولة عن بنية الشخصيات الأخر البارزة في النص الكلي، وهي الأكثر تباينا. وحتى لا تكون هناك فجوة جراء هذا العزل، فقد طرحت الغاية الكبرى من تحليل الشخوص، وهي إدراك مدى انسجامها مع العمل تاما، ذلك يعني أنني لن أقف بالضرورة على مجمل شخصيات السيرة مثلا، إذ إن مدار البحث هنا هو المشهد المنامي وفضاءاته، وشخصياته التي تأتلف لتشكل مبنى حكائيا مناميا منسجما.

ولدى الوقوف على أبرز أنواع الشخصيات التي أفرزتها المنامات، وجدت أنها تشكل:

❋ ❋ **الشخصيات المرجعية:** وهي تلك التي نجد لها حضورا واقعيا متعينا في سياقات النص المكتوب كالتاريخي والديني، تمكن المتلقي من العودة إليه، واستقراء ملامحها العامة المرسومة مسبقا.

احتلت الشخصية المرجعية رقعة واسعة من المشاهد المنامية لا سيما في كتب الأخبار "النشوار، والعقد الفريد، والأغاني"، ولعل ذلك عائد إلى طبيعة هذه المصنفات التي استهدفت الوقوف على شخصيات دينية، وأدبية، وسياسية عديدة، كما وُجدت بشكل واضح في منامات الوهراني الذي وسَّع دائرة نقده لرجالات السلطة في منامه الكبير، وكتب التراجم "السير"، والسير الشعبية.

وعلى الرغم من انضواء هذه الشخصيات تحت تصنيف "الشخصية المرجعية"، إلا أنها لم تشكل صورة واحدة، بل افترقت في الملامح العامة، وسأرتبها بحسب أهميتها وحضورها بالآتي:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

● **المرجعية البشرية:**

◆◆ النبي .. على رأس هذه الشخصيات يحضر الرسول الكريم الذي تواتر ظهوره، حتى شكّل الشخصية الأجلى حضورا في مجمل السرود محل الدراسة، مثل كتب الأخبار، والتراجم، والمنامات، وحتى الحكايات، ونذكر هنا مقامة الهمذاني.

◆◆ الصحابة.. من الشخصيات التي وقّعت لحضور متميز في جلّ هذه السرود الإمام علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه– ولعل الحديث عن جدلية السنة والشيعة استطاعت أن تجلي شيئا من هذا الحضور لشخص الإمام علي. وفي ذات السياق يحضر الخليفتان أبو بكر وعمر في منامات عديدة تنتصر لأهل السنة، وتعمد إلى إقصاء مناوئيهم في المناقب لابن الجوزي، وتوقّع السيدة فاطمة وهي تبكي ابنها الحسين في منام العجوز الكرخية ضمن درامية تستدر التعاطف، وتتبنى موقفا صريحا إيجابيا من الشيعة.

◆◆ تاريخية.. يأتي عمر بن عبد العزيز يذكر بقول الخطاب: لا تعلموا نساءكم الخلع[١]، وفي مشهد آخر يُرى يوم القيامة في حلل الجنة وهو يردد: "لمثل هذا فليعمل العاملون"، كما يستحضر الأصفهاني شخص عاتكة بنت عبد الله بن يزيد وهي تنذر بزوال بني أمية، ويسوق النشوار رؤيا بيزيد بن هارون وقد غُفر له بعد أن عوتب في تولية عثمان بن جرير الذي كان يبغض الإمام علي بن أبي طالب، ويُقري حاتم الطائي أضيافا له بعد مماته، إذ يذبح لهم ناقة أبي الخيبري الذي سأله إطعام ضيوف، مستهزئا بادّعاء طيء: "إن طيئا يزعمون أنه لم ينزل به أحد إلا قراه"[٢]، وليست ببعيدة المنامات التي رُئي فيها أحمد بن طولون في فضاء القيامة وقد غُفر له، وأعلنت المنامات سبب الغفران في إحالة ذكية لمآثره في الدنيا... إلخ.

◆◆ أدبية: وقد اعتنى بها الأصفهاني، وسقنا المنامات التي جعلت الفرزدق بخير، بينما جعلت جريرا معلقا لم يُقضَ بأمره خيرا. وحضرت علية تغني في منام عَريب:

بُني الحبُّ على الجور فلو أنصفَ المعشوقُ فيه لسمج

---

[١]) الأغاني، التنوخي، ج٩، ص١٨٧.

[٢]) العقد الفريد، ج١، ص٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى قال المتوكل: "رحم الله علية! فما تركت ظرفها حية وميتة"[١].

◆◆ أولياء وصالحون: وقد تواتر ظهورها في عدة من السير الشعبية، ويتجلى هنا حضور الملك الصالح الذي فصَّل السرد في سياقات عديدة جدا في الظاهر بيبرس، واستعلن بكونه مجذوبا من المجاذيب، وظهر الشيخ عبد السلام "الفقير إلى الله الملك السلام" داعيا للإسلام، ومحفزا شخصيات سيرة سيف بن ذي يزن للإيمان ومساعدة الملك سيف في المهمة التي يجيء لأجلها، ومثله الخضر –عليه السلام– الذي أسلم المقدم يعقوب على يديه في سيرة الظاهر.

● المرجعية الملائكية: وارتأيت أن تكون مرجعية لما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من توصيف للملائكة –عليها السلام– الذي أبان الهوية الاسمية، والصفات، والأعمال التي أوكلت إليها في الدنيا والآخرة. وأشهر مثال على حضور الملائكة تمثل في منام الوهراني[٢]، الذي وظفها في سياقات متباينة، فـ "مالك خازن جهنم قد خرج مبحلق العينين في يده اليمنى مصطيجة، وفي يده الأخرى السلسلة المذكورة في القرآن.." ليبحث عن العصاة من أمة محمد –عليه الصلاة والسلام–، ويكون كمال الدين الشهرزوري في حماية الروح الأمين جبريل، الذي يعلن: "هذا شيخ من شيوخ الإسلام، ومن عظماء أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وله من أعمال البر ما يوفي عنه مظالم العباد.." ، ويبعث المؤيد بن العميد رقعة لرضوان خازن الجنة، ثم يحكي عن علاقة المودة بين المهذب وملك الموت، لأن المهذب كان "من خيار أعوان ملك الموت في دار الدنيا؛ ما دخل قطّ إلى عليل إلا ونجزه في الحال، وأراح ملك الموت من التردد إليه...".

● إبليس: وهو الأب الشرعي الذي احتضن ميلاد عقبة، وتنبأ بعظيم إفساده، إذ وضع يده على بطن غالية واستعلن بخطاب طويل فصَّل فيه مفردات الإفساد التي أجملها بقوله: أودعت فيك مكري وغدري وإفسادي!. لقد أضمر راوي السيرة في هذا المشهد المنامي السوداوي فاعلية إبليس في العمل كله، إذ وسم عمل عقبة بالعمل الإبليسي/ الشيطاني، وتشكله ضمن هذه الترسيمة هو الذي حدد إطار الصراع بين الكفر ممثلا به والروم، والإسلام ممثلا

---

[١]) الأغاني، التنوخي، ج١٠، ص١٣٨.

[٢]) المنامات، المنام الكبير، ص ٢٣–٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالأميرة وابنها ورجالاتها!.. ترى، هل نستبطن على ضوء ذلك مركزية شخص إبليس التي حلّت في شخصية آدمية تسمت بعقبة؟.

وفي الأغاني يجعل الأصفهاني حضورا لإبليس كذلك وهو يَعد بإشعال فتنة بين الثقلين يكون شعر أبي نواس وقودها، ثم وهو يعقد لواء صنعة الغناء لمخارق، وأخيرا وكعب بن جُعيل يراه في نواحي المدينة، وهو يضم ذلاذله خوفا منه.

❋❋ **الشخصيات التخييلية:**

وهي تلك التي لا نجد لها حضورا واقعيا متعينا، ولا نستطيع أن نجد لها أصلا في المرجعية الثقافية، والنص المكتوب. إنها شخصيات من نسج الخيال، وإبداعه الخلاق، يشكلها بغية أن يتمم عوالمه الحكائية، ويضفي عليها مسحة من التطوير الدرامي الذي قد لا تعينه في تأسيسه شخصياته المرجعية.

على ضوء إدراكنا لبنية المؤلفات محل الدراسة، نستطيع أن نخمن حضور مثل هذه الشخصيات في مؤلفات دون أخرى: ستقصيها كتب الأخبار، والتراجم، وستحتضنها كتب المقامات، والسير الشعبية، والحكايات العجيبة، والخرافية في أثناء بنائها لعوالمها الكلية، وباستقراء مشاهد المنامات فيها –إذ هي ما تعنينا– نتحقق ذلك أكثر، ويُترجم الافتراض المطروح المنبني على المعرفة بانتماءات المصنفات وغاياتها لواقع مشهود.

◆◆ في سيرة الملك سيف تكون قمرية شخصية منامية تخييلية في عدة منامات، إذ التقت الملك ذا يزن الذي كان يوصيها أن تهب سيفا ما تملك من الذخائر والموروثات، وكذا الملكة تكرور التي دعا الهاتف أباها لأن يسلم مثلها، ونادرة التي مُسخ ابنها كلبا، وبشَّرها هاتف بإنقاذ سيف إياه، وفي سيرة حمزة البهلوان التي تحتفل برمزية عالية المستوى في جلّ مشاهدها المنامية يحضر ابن سيف بديع الزمان شخصية تخييلية مشار إليها برمز الأحشاء التي يأكلها الطير، وعمر العيار في سيرة البهلوان وهو يتراءى جوهرة ثمينة ضيعها حمزة، وعين الحياة التي رآها فيروز شاه لليال ثلاث متتابعات، وتنهض السيرة بكاملها لتحقيق المنام. وفي سيرة الأميرة ذات الهمة يكون عقبة وشومدرس شخصيتين هامتين في عدة منامات مضللة، إضافة إلى حشد من الرهبان والكهنة الذين دُعوا في المنامات للإسلام، فآمنوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن يعاونوا الأميرة وابنها والبطال في مآزق تعرضوا لها. ويولّد جوان في سيرة الظاهر منامات مضللة كذلك، يكون من شخصياتها لا سيما وهو يتلقى عن المسيح –عليه السلام– أوامر بالقضاء على بيبرس ورجالاته.

◆◆ وفي ألف ليلة وليلة ومئة ليلة وليلة أمثلة عديدة لهذه الشخصيات: إننا نتذكر وجود "الحالم البغدادي" الباحث عن الكنز و"الوالي المصري" الساخر منه، ثم "أنس الوجود" و"الورد في الأكمام" اللذين أوصى "هاتف" "العجوزَ" بأن تحمل رسائلهما، وتقضي حوائجهما، ثم ظهور "أبي عجيب" في المنام الذي تنبأ تأويله بميلاد "أخ" لـ"عجيب"، ويكون "غريب" الذي يظهر عليه أخيرا، والطحان وزوجته في منام الكنز.

◆◆ وتندرج شخصيات المجهولين والهواتف للشخصية التخييلية: في الأغاني يطلب إبراهيم الموصلي شعرا للحن صنعه فلا يجد، حتى يظهر "رجلٌ" يهديه لقول ذي الرمة:

ألا يا اسلمي يا دارَ ميّ على البلَى ولا زالَ منهلا بجرعائِك القطرُ

وروايته: "..رأيت في المنام كأن رجلا لقيني، فقال: يا إبراهيم! أأعياك شعر لغنائك هذا الذي تُعجب به"؟[١]. وأما إسحاق بن إبراهيم الذي كان يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج فيرى: "كأن قائلا يقول له: قد أجيبت دعوتك، ولست تموت بالقولنج..."[٢]، وتحذر "امرأة" هكذا بالتنكير عمر بن عبد العزيز بقرب وفاته، ويضع "رجل" أصبعيه في عيني المؤمل المتألي على الله!. وفي النشوار يشاور عبد الله بن عمر الحارثي "طبيبا" في خضاب، ويرى المعتضد كأن شيخا أبيض الرأس واللحية.." يكشف له جريمة قتل في سفينة مسافرة[٣].

لا يعني تصنيف: الشخصيات المرجعية، ثم التخييلية أننا بقصد ترسيم تراتبية فنية في بناء الشخوص، بقدر ما نهتم بالتصنيف الذي يمكننا من الضبط، ثم إننا بصدد أعمال أدبية يهتم المتلقي فيها بخوض مغامرة القراءة، وفي هذا المستوى لا تنزاح الشخصيات التخييلية عن أفق انتظار المتلقي، وإرادته الكامنة في الوقوف على كم جيد متنوع من الشخصيات ذوات التجربة المثيرة! إن الشخصيات التخييلية وإن اضطلعت بإتمام المشاهد التي تركتها

---

(١) الأغاني، ج٥، ص١٥٣. ووردت في ج١٨، ص٣٥.

(٢) المصدر السابق، ج٥، ص٢٨٢.

(٣) النشوار، التنوخي، ج٤، ص١٢٥-١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرجعية، فإنها –التخييلية– قادرة بلا أدنى شك على تحفيز سرد مثير، ومؤثر بما أسقط عليها الراوي من وقائع، وفضح من تجربة شعورية تحكينا بالضرورة.

❋❋ **العجائبية:** وهي تلك التي تمتلك قدرات غير اعتيادية، تفوق القدرة البشرية، وتتحدى مفاهيمنا النسبية عن الزمان، والمكان، والطاقة...

تزخر السير الشعبية، والحكايات العجيبة، والخرافية بمثل هذا النمط من الشخصيات العجائبية، التي تتقمص دور الجان والسحرة والعماليق.. إلخ، وتنهض بأعمال خارقة فترصد، وتموت، وتعود للحياة، وتتحول من صورة لصورة. وقد حضرت هذه الصورة العجائبية في نصوص المنامات بشكل لافت للنظر، وهي التي ساهمت في وسم نصّ المنام بسمة "النص العجائبي".

وقبل الإفاضة بذكر الأدلة التي تمثل عجائبية الشخوص، أنوه بكون العجائبية في مواضع عديدة صفة من صفات الشخصية المرجعية من مثل الرسول الكريم، وحاتم الطائي.. بينما تستقل في منامات أخرى لتسم شخوصا بعينها، تكون عجائبية في صفاتها الذاتية، بمعنى أنها استعلنت منذ البدايات بصفتها هذه، بينما كانت للشخصيات المرجعية صفات واقعية ثابتة تاريخيا، إلا أن الراوي أجرى عليها تحويرات، أدخلتها في سمت العجائبي، وذلك انسجاما مع الفكر والأداة الفنية اللذين أراد تحقيقهما في النص.

● الشفاء: تتجاوز القدرة على الشفاء حدود المنام، لتمتد على فضاء الواقع، وغالبا لا يكون ذلك إلا في الحالات التي تشكل أزمة حقيقية تعجز أداة الواقع عن التعامل معها، فيمدها الراوي لتتحلّ أزمتها في فضاء المنام المشحون بالعجائبيات. في النشوار يشفي الرسول الكريم العلوية التي زمنت سنوات طوالا حتى ثقل حالها على نفسها وعلى خادمتها، وتستطيع المشي بمجرد أن يمسك الرسول الكريم بيديها ويمشّيها، وفي الأميرة ذات الهمة يشفي الرسول الكريم الأميرَ عبد الوهاب من جرح كاد يهلكه، فإذ يزوره في المنام يعتذر الأمير عن عدم قدرته القيام بحقّ الرسول لإصابة في رجله، فما يكون من الرسول إلا أن يعين ترسه فيشفيه بإذن الله، ويعجب الأمير لذلك فيؤكد لأمه: انظري، فما منامي إلا صحيح!. ويلقي البطّال في روع المتلقي ما من شأنه أن يقرر واقعية المنام وإمكانية صدقه: فما في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رؤيا رسول الله تكذيب. إلا أن عجائبية الشفاء تتصاعد وتبلغ ذروتها عندما يرد الرسول الكريم أطراف الأسير التي قطعها الروم، وإذ يراه الأمير عبد الوهاب يمشي ويحرك يدين لم يرهما منذ لحظات "ينتفض مثل السعفة"، "ويطير" عقله، و"يرجف" قلبه، ويكون التعليل الذي يعيد إليه السكينة: "مدّ الرسول الكريم يده على كل عضو عدمته فرجع أحسن مما كان"!.

الطريف هنا أن آثار العجائبية تزول تماما عندما يُدرَك سببها: زيارة الرسول الكريم/ الشخصية الصالحة في المنام، وممارسة طقوس الشفاء العجائبية. إن ذلك يذكّر تماما بمعابد الشفاء "أسكليبوس" التي كان اليونانيون يحرصون عليها، وقلدهم في ذلك اليابانيون في حضانتهم للأحلام.

في سيرة حمزة البهلوان ما ينصّ لفظا على عجائبية الشفاء في المنام، فإذ يمرض الأمير ويعاني العرج، يصرّح الوزير بزرجمهر لعمر العيار في سياقات عديدة: "إني لا أرى أملا بشفائها.. سأبذل الجهد في مداواته، لكن بأمل ضعيف جدا، ولا يكون شفاؤه إلا **بعجيبة**". ويقطع الراوي الأمل بالشفاء عندما يجعل أخاه عمر متكدرا متحسرا على مآلٍ موكَّد، وهو المرض المزمن: "وثبت لديه أن الأمير يفضل أن يكون قد مات من أن يعيش طول حياته أعرجَ كثيرا"[١].

يعمد الراوي إلى الآلية الاعتيادية في مثل هذه الحالات المستعصية "المنام"، ويجعل الخضر –عليه السلام– يزوره ويشفيه بممارسة طفيفة لطقس الشفاء. إن الرسول الكريم يمدّ يده الكريمة على الأعضاء فتعود، ويمشّي الزمنة فتمشي، يستعين الراوي هنا بذات الطقس ويجعل اليد أداةً للشفاء ثانية: يظهر الأمير سائلا الشفاء، فإذا بالخضر يقول: "لا تخف يا حمزة، فهي صحيحة كالثانية! ثم وضع يده عليها **ولمسها**"، فرجعت كما كانت. سأذكر هنا بفكرة الإنسان الإلهي التي تعمّر عوالم السير الشعبية عموما "ذلك الذي يشارك الطبيعة روحها، والذي يستطيع بما له من صفات بطولية وروحية أن يطوّع الطبيعة وفق رغبته، أو يشاركها قوتها. إن كيان هذا الإنسان يتصل اتصالا وثيقا بإيقاع الحياة وانسجامها حتى إنّ لمسة من يده أو إيماءة من رأسه كفيلة بأن تحدث الخوارق.."[٢].

---

[١]) الأمير حمزة البهلوان، مج٣، ص١٤٢–١٤٣.

[٢]) سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، نبيلة إبراهيم، ص١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

● في مقابل الشفاء يتجسد العقاب، وبذات الصورة يمتد الأثر من فضاء المنام إلى فضاء الواقع: في المناقب يحكي ابن الجوزي قصصا عديدة استأهل أصحابها العقاب لمخالفتهم أهل السنة، وتعدّيهم على الشيخين أبي بكر وعمر، فالرسول الكريم يأمر بذبح رجلٍ يسبهما، ويُذبح حقا، بل إن الرائي يستوضح خطّ الذبح في عنق الميت بأثر السكين التي أعطيت له في المنام، ويضرب الإمام علي أبا الحسن بن غزية قارئ القرآن عندما لم ينكر شتم رجل الشيخين، فيصبح أعمى، ويأتي آتٍ لرجل يصرخ فيه: "أي عدو الله! أي فاسق! أتسبّ الشيخين أبا بكر وعمر؟! فأصبحت وأنا على هذه الحال"[١]، وقد ظهر للناس بوجه ذي لونين: النصف أبيض، والنصف الآخر أسود. وإذ يتألّى المؤمّل على الله بألا تعذب المحبين سقرُ، يأتي آتٍ فيضع أصبعيه في عينيه فيصبح أعمى. وإذ يسخر أبو الخيبري من طيء التي تزعم أن حاتما يقري أضيافه بكل حال، يصرخ بحاتم وهو ميت: أطعم إذن أضيافك.. يقول ذلك ساخرا، فيصبح وقد عُقرت ناقته تماما كما رأى في المنام وحاتم يذبحها، فأكل الضيوف حتى شبعوا".

● كشف الغيب، ويتكرر ذلك بوساطة الصالحين والأولياء، وقد تميز فيمن ذكرنا سابقا الشيخ جياد، وعبد السلام، والخضر –عليه السلام– في سير عدة، إلا أن الشخصية التي تميزت في هذا السياق هي شخصية الملك الصالح، والسيدة نفيسة في سيرة الظاهر. وقد استعلن الراوي بتوصيف صوفية الملك الصالح عندما قرر منذ البدايات أنه مجذوب من المجاذيب، ومناميا أستطيع تقرير كون الصالح الشخصية الفاعلة الأولى التي حركت السير، وحفّزت الحوادث حتى النهايات: إنه من رأى منام السباع، وأمر بإحضار المماليك، وميّز منهم الظاهر بيبرس بصفات محددة، وأمر بالإحسان له وهو في هيئة المريض الملقى في الحمام، ثم ظهر للمقادمة وأمرهم بالإحسان إليه بعد أن أفرطوا في الإساءة ورفضوا مرافقته، وعلم بمكايد جوان، وتتكرر عبارة: "له اتصال بمن يعلم السر والحال..." للتدليل على شخصية الملك الصالح، والأولياء كذلك. وهكذا كانت السيدة نفيسة وزينب تظهران لتأكيد تبني الظاهر، وإعلان النبوءة التي ترى سلطنته وملكه!.

على صعيد آخر رسم الرواة شخصيات غير آدمية تميزت بصفات عجائبية وهي تمارس دورها في المنام: في سيرة الملك سيف يأتي لبرنوخ الساحر شخص مهول الخلقة،

---

(١) المناقب، ص٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شنيع المنظر، لم يُرَ أقبح منه، يداه حربةٌ من النار من أجل أن يدعوه للإسلام. وفي سيرة ذات الهمة يرى جبارٌ من جبابرة الروم وهو فقطونس بن جرجيس شخصا "رجلاه بقت في الثرى، ورأسه في الثريا"، ينعى عليه إرادته تحويل الكعبة المشرفة بيعة للروم، ثم يضربه ضربةً قوية، ويستثمر المنام أجواء عجائبية أخرى إذ يتحقق أثر الضربة واقعيا، وإذا به يصحو ورأسه "دخلت بين كتفيه، وصار وجهه من وراء ظهره، وركبتيه في صدره، وقد سود لونه بعد ما كان أبيض".

❋❋ **حيوانية:** ظهرت الشخصية الحيوانية في منامات عديدة، واستثمرتها سرود مختلفة، وإن تباينت في مستوى هذا الاستثمار. وبروز الحيوان في المنام يستدعي التأويل أكثر مما يضطر إليه المنام المحتفل بالشخصية الآدمية؛ ذلك أن الحيوان دائما رمز، وخطابه الذي يعلنه في المنام رمز آخر يحتاج لتأويل عارف بصير، في حين أن خطاب الإنسان قد يكون واضحا في مشاهد كثيرة، ونجد السرد يعلن المضيّ في تحقيقه متجاوزا شخص المؤوِّل، ومعرضا عن نص التأويل. وفي موسوعة أساطير العرب يرى المؤلف أن الرابطة الرمزية بين الإنسان والحيوان "تفصح لنا عن علاقة جوهرية وعن صلة أيدلوجية بين رمزية الحيوان، والرمزية الاجتماعية عامة سواء أكانت في الواقع، أم في الأحلام، أم في الأدب، ولذلك فخلف كلّ حيوان تقريبا إما رمز أو حكاية رمزية"[١].

تفردت سيرة الأمير حمزة البهلوان باحتفال جليّ بالصورة الحيوانية الرمزية، وكادت مجمل المشاهد المنامية تحتوي تلك الصورة، إلا في القليل النادر، وسأؤكد ثانية أن حضور الحيوان استدعى بالضرورة المؤول العارف الذي طُلب إليه أن يحيل الرمز إلى واقع، وكانت الرموز على ضوء ذلك تستحيل إلى شخصية سردية معينة:

◆◆ منذ البدايات يتشكل المنام المركزي حيوانيَّ الرمز، ويفكّ بزرجمهر تلك الرمزية محولا إياها لمفردات واقعية:

الإوزة الكبيرة في صحن العاج = مُلك كسرى

الكلب الهائل الذي سرق الإوزة = خارتين صاحب حصن خيبر.

الأسد العظيم الذي استعاد الإوزة

---

[١]) موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، محمد عجينة، ص٣٤٤. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقضى على الكلب = الأمير حمزة البهلوان.

– يرى الأمير حمزة:

غربانا تحوم حول المدينة ثم تحمل أسياد مكـــة = عياري العجم

وينفرد غراب كبير بأخذ أبيه الأمير إبراهيم وعلى رأسهم عمر بن شداد الحبـــشي، وعـــسقلان الرومي

وقد قصدوا مكة بزي العرب، فسرقوا السادات، وأرسلوهم إلى نهروان ليشتغلوا هناك ببناء القلاع[١]

– ويأتي طير عظيم المنظر، ينقضّ على أحشاء الأمير، وجعل يأكل منها:

الطير = الخضر –عليه السلام–

أحشاء الأمير = ابنه بديع الزمان وقد أخذه الخضر من بلاد الغمام التي يملكها سندروس بعد أن قضى علـــى الأســـد، وأوصله لبلاد الظلمات

وفي منام طويل للأمير حمزة تزدحم إشارات الحيوان[٢]، فـــ :

يرى خنازير برية أراد اصطيادها = آفة الرقاب، وقد قُتل، وبختيار، والخوند، وياقوت وقد أسروا

ثم أتى غزال جميل برفقة صياد ووهبه للأمير = يمثل مهردكار زوج الأمير عادت بعد اختطـــاف أسما بري إياها

ثم ظهر كلب ارتمى بين قدمي الغـــزال فارتـــاع منه = عبد ارتمى على مهردكار فاســـتغاثت بـــالأمير حمزة ، فأخذه شيخ وغسله بماء قـــراح فاســـتبانت

فحوله الصياد لجمل أليف صورته، وتوضحت كونه أخاها "الجمـــل الوديـــع" فتعانقا وبكى كلّ منهما فرحا باللقاء

ومن ذلك كما ورد في السرود الأخرى رؤية عين الحياة :

طائرين قدما من إيران = فعلمت كونهما رجلين يستطلعان حال فيروز شاه، وقد كانا بهروز ابن الغول، وشياغوس النقاش[٣]

ومشهد الذبابة السوداء التي خرجت من حلق مريم الزنارية، ودخول الذبابة البيضاء، ثم نقر طائر لها، قريب من الذاكرة، وعمد التأويل الإسلامي لإبراز كون:

---

[١]) الأمير حمزة البهلوان، مج٢، ص١٤١–١٤٤.

[٢]) المصدر السابق ، مج٤، ص٢٨٣–٣١٠.

[٣]) فيروز شاه، مج١، ص١٣٦–١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذبابة السوداء = الكفر الذي خرج من قلبها

الذبابة البيضاء = الإسلام الذي دخل قلبها بكلمة التوحيد والإخلاص

الطير = المقدم الذي تزوجها

كما أن مشهد الطير الذي ترك أنثاه في شَرك الصياد، فخلق فعلا سالبا تجاه كلّ الرجال في حكاية الأميرة دنيا مع تاج الملوك، وحياة النفوس مع أردشير، يشير بوضوح وشمولية لكلّ:

الطير الذكر = الرجل "جنس الرجال"

الطير الأنثى = الأنثى "جنس الإناث" وهكذا

الشخصيات الفاعلة[١]

ظهرت كلّ أنواع الشخصيات السابقة "المرجعية، والتخييلية، والعجائبية، والحيوانية" بوصفها شخصيات فاعلة، وإن تمايزت في درجة فاعليتها ومستوى الدور الذي تؤديه في سياق النص الذي تنتمي إليه. وسأقف في هذا الإطار عند الشخصيات التي تواتر حضورها، راصدةً الأفعال الأساسية التي قامت بها، وذلك بغية الخلوص إلى الرؤية الكلية التي تصل هذه الأفعال بنسيج المنامات والعمل الشامل فكرا وبناء فنيا.

❋❋ **الرسول الكريم:** ظهر شخص الرسول الكريم في مشاهد منامية كثيرة، وفي سرود متعددة: كتب الأخبار، والسير الشعبية، والرسمية، والمقامات، والمنامات.. إلا أن أجلى ظهور له –عليه السلام– كان في سيرة الأميرة ذات الهمة، وضمن نسق منتظم يشي بقصدية ترسيم هذه الأفعال.

تتالت **أفعال الرسول الكريم** في منامات السيرة كالآتي:

◆◆ في منام الراهب المتعبد سرا: – "لا ترجع تصلي وتقرأ إلا جهرا".

◆◆ منام الخليفة أثناء قضية اتهام الأمير عبد الوهاب، ونسبته إلى فراش الزنا: – أريد أن أوصيك بوصية. – " صار يلقمني ويطعم هذا الغلام "الأمير".

◆◆ في منام الراهب الذي اطّلع على تعذيب المسلم – فلما أن يحضر بين يديك فانصره على عدوه".

---

[١]) يرى تودوروف أن الشخصية تكون أساسية أو ثانوية بحسب الدور الذي يناط بها، وتتميز الشخصية الفاعلة عن العادية بتميز أدائها الفعلي في النص، ولذلك وكما يرى نبيل سليمان "إن مقولة الفاعل أرحب من مقولة الشخصية أو البطل، وإن كانت لا تلغيها". انظر:

– مفاهيم سردية، تودوروف، ص٧٥.

– فتنة السرد والنقد، نبيل سليمان، ص٢٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في قرية "دير المسيح"، يوجه الرسول الكريم الراهب للأمير عبد الوهاب ليكون أداتَه في إنقاذ المسلم:

– "قل له إن النبي يقول له: قد عرضت إليك حاجة، وما خصصنا بها سواك، وأردت أن يكون شريكي في هذا الفوز بالثواب..".

◆◆ في منام الزاهد الذي أعدمه الروم أطرافه:

– يرد الرسول الكريم أطرافه بعد أن يمسح عليهما يسلم على الأمير عبد الوهاب قائلا: "جزاك الله خيرا ولا لقيت سوءا ولا ضير لأنك حامي المسلمين والمدافع عن المؤمنين".

◆◆ في المنام الأشهر "منام صلب عقبة":

– يوجه الرسول الكريم لوادي السنديان، وهناك يبشر بصلب عقبة على أغصان شجرة فيه.

◆◆ يأمر بطليموس بعون الأمير:

– "وإني قد أتيت إليك آمرك أن تكون عونا لعبدالوهاب
– وتعمل على خلاصه
– وتمضي إلى بلاد الإسلام، وهذا سبب نجاتك من النار".

◆◆ ويثبِّت الملك شعشعونا على الإسلام بعد أن تحول إليه

– "ودعا له بدعوات جعله الله أكثر من الأنام زهدا في الدنيا، وأكثرهم رغبة في الآخرة.
– ثم قال له: نصرك الله كما نصرت دين الإسلام، فلا تأخذك في الله لومة لائم..".

◆◆ ولراهب أمره بمعاونة البطَّال

– قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
– ثم أخبره بنفاق عقبة الملعون –كذب برسالتي، ولم يصدق قولي، ويستبيح دماء أحبتي–
– وقال: فإذا أفقت اعرض الإسلام على ولديك، واذهب أنت إلى المركب وعاونه –البطال– على خصمه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ بقصّ استرجاعي في المجلد الخامس يظهر الرسول الكريم للأميرة وهي صغيرة:

- "دعي عنك الغفلة "الخطف" واستعدي للنقلة، فأنت سيف من سيوف الإسلام".
- يبشر بميلاد الأمير: يكون ترسا لقبري، وحاميا عن ملتي، وقد سألت الله –تبارك وتعالى– أن يوفقكم للنصر(١).

◆◆ ويظهر لمربية مذبحون:

- مبشرا بإسلامه
- قولي أشهد أن لا إله إلا الله
- غدا يأتيك الرسول من عمودا من عند مذبحون يأمرك بالمسير إليه فافعلي ذلك.

◆◆ ويظهر للأمير عبد الوهاب وقد جُرح جرحا مهلكا

- يا ناصر ديني أبشر بالجنة
- خذ حذرك من ميمونة "أم بحرون" فقد عدلت إلى الكفر
- ضرب بيده الشريفة على الجرح فالتحم.
- ويبشر باقتراب صلب عقبة إذا وصلت الروم إلى الإسكندرية...

على ضوء المنامات المتخيَّرة تظهر لنا باختصار مجموعة الأفعال التالية:

- نشر الإسلام.
- نصر أبطال السيرة: الأميرة ذات الهمة، وابنها الأمير عبد الوهاب، وأبي محمد البطال..
- التثبيت على الإسلام.
- الشفاء.
- الجهاد في سبيل الله / الصلب هو الفعل الرمزي الأشهر الذي يمثل ذلك.
- التحذير من الأعداء.

إذا تذكرنا المنام القائل بصلب عقبة، أي صلب الكفر تغدو هذه الأفعال "سواء وهي تخبر، أو تحفز، أو تستبق/ تتنبأ" منسجمة، إذ تأتلف في جلّها لتحقق الصلب وتنتصر للإسلام.

---

(١) الأميرة ذات الهمة، مج٥، ص١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطرف التذكير بالصفات التي أسبغها الراوي على الرسول الكريم، حيث أكّد في سياقات عديدة على حضرةٍ نوارنية مشرقة تحكي بالضرورة بهاء الإسلام وصدقه، إن هذه الصفات تستبطن ذات الرؤية التي تنتصر للعقيدة الإسلامية وتجليها للمتلقي بصورة إيجابية تحفزه للاعتناق به، والتأكيد على صوابيته. إن الصفات على ضوء ذلك تنهض بذات الوظيفة التي تنهض بها الأفعال.

كما تنصهر هذه الأفعال بمجموعها في منطق السيرة وأهدافها العامة، إذ تحكي الصراع بين المسلمين والروم، وتستهدف الانتصار للإسلام إثر هذه المواجهة العقدية.

هذا يعني أن: السيرة كُتبت لتحقيق هدف فكري فني معين.
ثم ولّدت المنامات بوصفها تقنية من تقنيات السرد التي تحقق ذلك الهدف.
ثم خلقت شخصيات فاعلة أوكلت إليها أفعال خاصة بغية المساهمة في تحقيق الهدف المركزي.

❋ ❋ **الملك الصالح:** وقد تواتر حضوره في سيرة الظاهر بيبرس بوصفه مجذوبا من المجاذيب، ولعل هذه الصفة الروحية كانت مدخلا مناسبا لفهم قدرة هذه الشخصية على الكشف، والتنبؤ بالغيب، حيث جعلته السيرة قادرا على الظهور للآخرين في اليقظة وفي المنام، ليوجه السرد ضمن رؤيته الذاتية المتسمة بالشفافية الإيمانية.

سأرصد أهم الأفعال التي قام بها الملك الصالح في المنامات، بغية إدراك مدى انسجامها الفكري، وفاعليتها في تحقيق أهداف السيرة عموما:

◆◆ يظهر للأمير مسعود بك مهددا لكي يبيع المماليك – "وإذا بيد وقعت على صدره مثل جبل أحد، وكادت روحه أن تفرّ من الجسد... : فتّح عينيك، واسمع بأذنيك، أنا الملك الصالح الفقير إلى الله، وعزة الربوبية إن لم تعطِ علي المماليك بالكلية، وإلا نفذت هذه الحربة من ظهرك، وصار بيدي أخذ عمرك...".

◆◆ ويظهر لعلي ابن الوراقة الذي وكّله بشراء – "فما يشعر إلا ويد على صدره كأنها ريش النعام،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المماليك: أو هبوب الرياح العظام...: اعلم أني أنا الرجل الفقير الملك الصالح، يا ولدي! غدا يأتي إليك مسعود بك عثمان، ويعطيك المماليك بالأمان، فاشتر منه بما يخلصك، فوعزة ربي لم يقدر على خلافك لو أعطيته فيهم كيسا من التراب"[١].

◆◆ يظهر للمقادم الذين سخروا من محمود العجمي "الظاهر بيبرس" وآذوه: – "يا أولاد إسماعيل! وحق الملك الجليل إن لم تكرموا علي لأجل خاطري، ولأجل هذا الضعيف، لأشتتكم في جميع البلاد بالتعنيف.." ثم يكشف نبوءة تسلطن الظاهر، وقيادته أمور المملكة، وأنهم يكونون عونا له، وبه يستغنون، ويكون المنام متوافقا بالتكرار، إذ يقول المقادم: "وما منا إلا من شاهد تلك المشاهدة"[٢].

◆◆ ثم يظهر لعلي بن الوراقة عندما أراد الرجوع إلى مصر دون صحبة محمود العجمي: – "... وعزة الربوبية، إن لم تأتِ إليّ بالمملوك متاعي وتعود إلى أرض الشام لأجله، وتنجيه مما هو من وحله لم تدخل بلدي.."[٣].

◆◆ ثم يظهر لعلي ثانية ليترك محمود العجمي عند علي الأقواسي: – "هتف به النوم، فرأى الصالح قدامه يقول: يا علي! دعه هنا على سبيل الرهن، فإن له عيشا يأكله، وأمر يفعله.."[٤].

◆◆ يظهر لفارس البطريق ويدعوه للإسلام: – "أنت من الفرقة الناجية يوم القيامة، فما تقول في دين الإسلام؟ فقال له: يا سيدي أنا أسلم على يديك.."[٥].

◆◆ ويدعو السلطان عيسى للجهاد، وذلك بعد موته: ويبشر بالشهادة: – "تسلطنت يا عيسى!! قوم قاتل على خيرة الله..". "أنت تسلطنت يا خليل، قم فأنت قتيل على بركة

---

١) الظاهر بيبرس، مج١، ص١٢٢-١٢٣.
٢) المصدر السابق ، مج١، ص١٣٤-١٣٥.
٣) المصدر السابق ، مج١، ص١٥٠.
٤) المصدر السابق ، مج١، ص١٥٣.
٥) المصدر السابق ، مج٢، ص٩٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله.."[١].

هذه عينة مختارة من منامات عديدة ظهر فيها الملك الصالح، وهي ترصد مجموعة الأفعال التالية:

- شراء المماليك ومحمود العجمي "الظاهر بيبرس".
- الحفاظ على محمود العجمي.
- نشر الإسلام.
- الجهاد في سبيل الله.
- التبشير بالشهادة.

وعلى ضوء ذلك، نقع بالضرورة على النقاط الهامة التالية:

◆◆ احتضن الملك الصالح الأفعال التي ساهمت في تحقيق شراء المماليك، والظاهر بيبرس إنفاذا للمنام المركزي الذي رآه في بداية السيرة، وأوّله علماء الإسلام بضرورة شرائهم.

◆◆ مجموعة الأفعال تشي بالروح الإيمانية، وإرادة نصر الإسلام، وهذا يتقاطع مع الهدف الكلي للسيرة، وهو إعلان المواجهة بين المسلمين والصليبيين، والانتصار للعقيدة الإسلامية على العقيدة الإشراكية.

◆◆ وتتقاطع هذه الأفعال مع أفعال ذات الهمة، وهذا يفضي لتبني الملك الصالح دور الرسول الكريم في سيرة الأميرة ذات الهمة.

وعلى ضوء ذلك، نستطيع أن نقرّ احتضان المنامات للمشروع الفكري الذي تبنته السيرة ابتداءً، ثم ترسيم شخصيات فاعلة للمساهمة في تحقيق الهدف المركزي.

بآلية أخرى، يمكن القول:

- للسيرة هدف فكري عقدي يحكي الصراع بين المسلمين والصليبيين.
- وجعلت المنامات تقنية من تقنيات السرد، لرسم ذلك الصراع، وبلورة تفاصيله.
- ثم شكلت صورة خاصة للشخصية الفاعلة، تقوم على ترجمة الصراع في أفعال متعددة.

وهذه النتيجة تحيل للنتيجة المدركة في ذات الهمة، بل إن التدقيق في طبيعة الأفعال، وتوجيه شخصيتها المركزية، يدفع للقول برسم السيرتين بذات الريشة الفكرية والفنية:

الرسول الكريم **الملك الصالح**

---

[١] المصدر السابق ، مج٢، ص٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحمي الأميرة ورجالاتها	يحمي الظاهر بيبرس والمماليك
ينشر الإسلام	ينشر الإسلام
يعاون الأبطال	يعاون الأبطال
يأمر بالجهاد	يأمر بالجهاد

وإذا كانت الأميرة ذات الهمة قد أسبغت صفات نورانية مشرقة على شخص الرسول الكريم، تأتلف لتحكي ذات فكرة الفعل والدعوة للإسلام، فقد جعلت سيرة الظاهر صفات روحانية للملك المجذوب، تؤطر بإطار القوة والشدة التي تدفع للعمل، والانصياع لأمره الذي يتغيا منه نصر الإسلام على الروم. هذا ظاهر في أقسامه، والتهديد المنبعث من خطابه، ويرصد الراوي ردود الفعل للحالمين، حيث يصورهم وقد ارتاعوا لظهور الصالح، ثم أجابوا دون توانٍ.

تفرز السيرة شخصية السيدة نفيسة بوصفها شخصية فاعلة، تأتي بعد الملك الصالح في أهمية تأليف المشاهد المنامية، ويُلحظ هنا أن السيدة تحتفل بذات الصفات الإيمانية المشرقة التي كانت للملك الصالح، وإن تناولها الراوي بشيء من التفصيل للسيدة الكريمة! ثم إنها تنهض للقيام بذات الأفعال التي قام بها الملك الصالح من التبشير بالظاهر بيبرس، وتهيئة البيئة الصالحة لسلطنته:

- تظهر "الست أم القناع الطاهرة بنت النبي المختار المبرقعة بالأنوار..." تبشر متنبئة بسلطنة محمود العجمي، وخدمة عثمان إياه.
- وتظهر "المبرقعة" لعثمان وهي توصيه بخدمة الظاهر، وتوصي الظاهر على عثمان[١].
- وتظهر السيدة تتبختر في حلل الجنة للظاهر، تبشره بأنه مسعود، وأن عليه أن يطاوع عثمان[٢].

---

[١]) الظاهر بيبرس، مج١، ص٣٢٣.(

[٢]) المصدر السابق ، مج١، ص٥٧٠-٥٧١. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يعني أننا بصدد شخصيات فاعلة مركزية، وأخرى ثانوية، إلا أن الشخصيات على تمايز فاعليتها وأداءاتها في السرد، تعمل لتصبّ كما أشرت لذلك سابقا في بوتقة المنام المركزي الذي يعنون وجود السيرة، فتنقذه، وتحققه، محققة بذلك أهداف النص العامة. وسأترجم لذلك بفرز مجموعة من الشخصيات الثانوية الفاعلة، مسمية بعض أفعالها، ومنبهة لكونها بفاعليتها تعمل على إنفاذ المنام المركزي.. أو الهدف المركزي للنص.

السيرة	نوع الشخصية	فعلها	ارتباطه مع الهدف الكلي
الملك سيف	عجائبية: "شخص مهول الخلقة، شنيع المنظر، يده حربة من نار"	دعوة برنوخ للإسلام تخليص سيف من الأضرار	إنقاذ سيف لتحقيق نبوءة: تمهيده الأرض للإسلام، وإخدام بني حام لبني سام
	مرجعية بشرية: الخضر "ولي"	دعوة الملكة تكرور للإسلام مساعدة الملك سيف	=
	تخييلية بشرية: الشيخ جياد	دعوة وزير الملك زاهر للإسلام إعطاء سيف سيفَ آصف بن برخيا	=
فيروز شاه	تخييلية	عين الحياة تدعو فيروز شاه لملاقاتها عين الحياة تدعوه لإنقاذها من الملك الأبشع	إنفاذ نبوءة بزرجمهر: ملاقاة فيروز مصاعب كثيرة في سبيل حبه
	حيوانية	طائران يمثلان بهروز وفرخو زاد وهما يبحثان عن فيروز	مساعدة فيروز في الوصول لعين الحياة
حمزة البهلوان	حيوانية	كلب يسرق الأوزة "ملك كسرى" الأسد يسترجع الأوزة	نبوءة النص: ظهور حمزة الذي يرفع نير الفرس عن العرب
	حيوانية	الغربان تسرق سادات مكة والأمير إبراهيم	تكشف صراع الفرس مع العرب، ويفضي ذلك لمساعدة حمزة السادات، ومدّ سيطرته على الفرس
	مرجعية بشرية : الخضر "ولي"	يشفي حمزة من عرج شديد كاد يهلكه	يساعد حمزة للمضي في قتال الفرس وإنفاذ النبوءة
	حيوانية	أربع خنازير تقتل	سيطرة حمزة على قواد الفرس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

		عودة الغزال "مهردكار" الكلب يتحول لجمل وديع	إشارة رمزية لسيطرة حمزة على الفرس بالزواج من أخت كسرى واستسلام كسرى له
ألف ليلة وليلة	حيوانية "الطيور"	الأنثى تنقذ ذكرها والذكر يتخلى عن الأنثى	تأكيد نسقية صورة المرأة
	تخييلية: الحالم البغدادي	أن يكشف سر الكنز	بنية الحكاية
	تخييلية"أبو عجيب"+حيوانية نحلة	يخرج منه قدر النحلة حتى صار كالسبع	تحفيز العمل / انتصار الخير

تقرر الترسيمات السابقة النقاط الرئيسة التالية:

◆◆ يبدو ظهور الشخصيات الفاعلة الثانوية أعمّ وأجلى في سرود متنوعة من الشخصيات الفاعلة المركزية، التي تكاد تنحصر في عدد محدود، لعلّ من أهم أمثلته: الرسول الكريم في سيرة الأميرة ذات الهمة، والملك الصالح، والسيدة نفيسة في سيرة الظاهر بيبرس.

◆◆ لا تنحصر الشخصيات الفاعلة في نوع واحد، بل تتباين في ذات النص لتكون تخييلية، وحيوانية، وعجائبية على سبيل المثال. وتتميز الحكايات العجيبة والخرافية بحضور جليّ للشخصية التخييلية.

◆◆ بالرغم من تباين نوع الشخصية، إلا أنها تعمل مجتمعة في خط أفقي للوصول إلى غاية واحدة تقترحها كل المشاهد المنامية.

◆◆ تتمثل الغاية المذكورة التي تعمل الشخصيات على إنفاذها في نبوءة المنام المركزي وهدف النص المركزي، وهذا يعني أن المنامات لا تقترح بناء فكريا غير منسجم مع فكر النص، بل إن الراوي يرسمها ويوظفها بوصفها تقنية من تقنيات السرد، تعمل على إنفاذ الهدف الكلي من النص، الذي غالبا ما يكون صراعا بين عقيدتين متغايرتين "الإسلام والكفر"، أو جنسين مختلفين "العرب والفرس".

الشخصية في مصنفات الأخبار

المصنف	نوع الشخصية	فعلها	ارتباطه مع الهدف الكلي
الأغاني	مرجعية بشرية أدبية "جرير"	يلقي كبة من الشعر في	الترجمة لأستاذية جرير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

		فم إسحاق بن إبراهيم	
	مرجعية بشرية "النبي الكريم"	يغرس نخل امرئ القيس في أرض كأنها الكافور	الترجمة لشعر السيد الحميري في آل النبي الكريم
	مرجعية "إبليس"	يفتن بشعر أبي نواس الثقلين	الترجمة لشاعرية أبي نواس
النشوار	مرجعية بشرية دينية: السيدة فاطمة والحسين	تبكي ابنها الشهيد	سياق تاريخي يحكي الفتنة بين الشيعة والحنابلة
	مرجعية بشرية: الإمام علي	يخبر بحال عضد الدولة	الترجمة
العقد	مرجعية بشرية "أبو رافع"	يطلب دينا من صراف	الترجمة "لفضل آل رافع مع بله وعيّ شديد فيهم"
	مرجعية تاريخية "حاتم الطائي"	يقري أضيافه ويذبح ناقة الخيبري	الترجمة لكرم حاتم
	مرجعية دينية "الإمام علي"	يضرب أبا الحسن بن غزية لعدم إنكار سب الشيخين	موقف سني
أحمد بن طولون	مرجعية تاريخية	أحمد يحكي عن المغفرة والصدقات	ترجمة خيرية أحمد بن طولون

نستشف من السابق:

◆◆ تركيز مصنفات الأخبار والتراجم على الشخصية المرجعية.

◆◆ لا يمكن القول بوجود شخصية فاعلة مركزية في مصنفات الأخبار، وإن ورد حضور شخص الرسول الكريم، والإمام علي مرات عديدة، فالشخصيات هنا عديدة جدا وتحيل لتفاريق من الأخبار والمواقف. وفي المقابل قد نجد مشاهد منامية تركز على ذات الشخصية في التراجم التي تتناول شخصية واحدة.

◆◆ تنتمي هذه الشخصيات بأفعالها لسياق المؤلَّف الذي ترد فيه، لتكون إخبارية تنهض بالترجمة، والخوض في سياق تاريخي ما مشتركة بذلك مع التوجه العام للشخصيات في المؤلفات الأخرى، حيث تكون أمينة على خدمة أهداف النص الكلية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

➢➢ تكثيف

عرفت المنامات تنوعات عديدة في تشكيل الشخصية، تأطرت ضمن الآتي:

المرجعية: التي تحيل لوجود واقعي متعين في السياق التاريخي والديني، يؤهل لإمكانية العودة إليه بغية التعرف إلى ملامح الشخصية الدقيقة في التوصيف المكتوب. ومثلت هنا للشخصية المرجعية البشرية وعلى رأسها شخص الرسول الكريم، ثم الصحابة، ثم الشخصيات التاريخية كأمثال الخلفاء، وأدبية، ودينية، وأخيرا ملائكية وشيطانية.

التخييلية: وهي التي أبدعها خيال النص الأدبي، وألقى على كاهلها عبء القيام بالمبنى الحكائي. وحضور هذه الشخصية واسع حتى بجوار المرجعية، وذلك لما لها من قدرة على إتمام المشاهد الأدبية، والنهوض بإثارة السرد لا سيما في الأعمال الأدبية التي تنأى عن التراجم والأخبار.

العجائبية: وقد أثبت انتماء المنامات للنص العجائبي، وكانت بعض الشخصيات بما تمتلك من قدرات خارقة، تتفوق على القدرة البشرية الطبيعية إحدى أدواتي لهذا الإثبات. ومما يلحظ في هذا السياق إضفاء بعض المؤلفين صفات العجائبية على بعض الشخصيات المرجعية الدينية، كما في شخص الرسول الكريم والإمام علي رضي الله عنه، والأولياء الصالحين، حيث انكشفت أمامهم ستر الغيب، وأعملوا أيديهم الكريمة عقابا وإحسانا للشخصيات التي واجهوها، حيث انتقلت آثار الفعل متجاوزة زمنية المنام إلى زمنية الواقع، وليست منامات الشفاء، والذبح ببعيدة عن ذاكرتنا!.

الحيوانية: وهي شائعة حملتها المنامات رموزا عديدة، إذ لا يظهر الحيوان إلا بوصفها رمزا، ولذلك كانت المنامات التي توظف هذه الشخصية محتاجة دائما للتأويل والتفسير. وتميزت هنا سيرة الأمير حمزة بهلوان العرب باحتضانات واسعة لهذه الشخصية على صعيد المنام المركزي والفرعي على حد سواء، حتى لم يكد يخلو منام منها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بيّن العرض السابق إمكانية توظيف المنامات على تباين انتماءاتها النصية لكل أنواع الشخصيات المذكورة، فسيرة الأميرة ذات الهمة على سبيل المثال استطاعت توظيف الشخصية المرجعية، والتخييلية، والعجائبية، والحيوانية.. إلا أن السرود مالت غالبا لنوع معين من الشخصيات، يناسب طبيعتها السردية، فمنامات الأخبار والتراجم تميل لتوظيف الشخصية المرجعية، والحكايات للشخصية التخييلية... وهكذا.

على صعيد الشخصيات الفاعلة المركزية، ضاقت دائرة التوظيف ولم تظهر شخصيات مركزية واسعة، نستطيع الإشارة هنا إلى توجيه الرسول الكريم عموم السرد في الأميرة ذات الهمة، والملك الصالح في سيرة الظاهر.. إلا أن الحضور الأبين تمثل للشخصيات الفاعلة دون إقرار مركزيتها. ثم بينا بمزيد أمثلة انصهار فعل الشخصيات على تباين تشكلاتها وأدوارها لتعمل في خدمة المشروع الفكري والجمالي الذي نهض السرد من أجله، فشاركت في الترجمة، والصراعات العقدية، والجنسية، وساهمت في ترسيم حوادث الحكايات الخيالية وغير ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



فِـــي بِنْيَـــةِ

زَمَـــنِ المَشْـــهَدِ المَنَـــامِيِّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إشارات في الزمن

لا تورد المنامات إشارات دالّة على زمنيتها دائما، بل إنها تسوق المنام أحيانا دون ذكر الوقت الذي تم فيه فعل النوم وبالتالي المنامات: لأنني رأيت البشير النذير في المنـــام.. لمـــا فرغ جندبة من شعره صلى ونام، فرأى في منامه.. وأما ما كان من أمر الشيخ يحيـــى فإنـــه مقيم في المكان عند زوجه، فأخذتهما سنة من النوم.. وهكذا. وتغريب الزمان في مثل الأمثلة السابقة يوحي بالتفات الراوي للحدث الذي يريد أن يشكله في تخييلات الرؤية المنامية، ليبني عليه القصّ الآتي.

إلا أن منامات عديدة تتأطر بزمانية خاصة وهي الليل، وتورد من الإشارات مـــا يـــدلّ عليه، وهي متنوعة جدا وتصاغ بآليات متباينة، ولكنها تحيل أخيرا كما أشرت لزمن الليـــل، ولعل هذا ما دعا كيليطو لأن يقارن بين المنامات والخرافة؛ إذ إن موطن كليهما الليل. ودعـــا شاكر عبد الحميد لأن يعتبر زمانية الليل أهم طقوس ولادة الحلم "أول الحلم عادة هـــو وقـــت الغروب عند هجوع الكائنات وانتهاء العمل.. وظهور الأصوات الليلية، وغيـــاب الأصـــوات النهارية.. للعتمة.. صلوات وتراتيل ، وأدعية وطقوس يدخل الإنسان بها ومن خلالهـــا إلـــى عالم النوم والأحلام.."[١]:

- يا سيدي! إني نائمة في بعض الليالي، وإذا بالهاتف يقول: يا تكرور ...
- ففي ذات ليلة خرج فيروز من حضرة أستاذه، فنزع ثيابه وصـــلى، ونـــام فـــي فراشه، وبينما هو نائم حلم ...
- وأما ما كان من كسرى فإنه بعد أن سهر تلك الليلة انصرف إلى فراشه، وما لبث أن نام حتى رأى حلما مريعا ..
- فنامت الرباب ذات ليلة من الليالي فرأت..
- أقامت ليلى ليلتها في أشد ما يكون من الكرب إلى الليلة الثانية نصف الليل... إلى أن كحل الكرى عينها فرأت في منامها
- وصلى الأمير عبد الوهاب صلاة العشاء الأخيرة وغفلت عيناه، فنـــام ورأى فـــي منامه سيد المرسلين...

---

[١]) الحلم والكيمياء والكتابة، شاكر عبدالحميد، ص١٦١-١٦٤. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ثم جعلن يبكين إلى نصف الليل، فغلب النوم على عيني غيداء زوجة هياج، فقامت فرأت في منامها سيد المرسلين[١]..
- إنني البارحة صليت وقرأت وردي، وانضجعت على فراشي، فهتف هاتف: يا ابن يحيى تأهب للنقمة...
- إلى أن أمسى المساء، وصلى العشاء الأخيرة، ووضع رأسه فنام فرأى في منامه ولذيذ أحلامه "الملك الصالح في منام الضباع.."

وتطور بعض السرود اهتماما بصحة الزمن الذي تجوز فيه الرؤيا والتأويل، وإن كان ذلك لا يشكل ظاهرة لافتة للنظر، إلا أنه يشير لاعتبارية أدبيات الرؤيا والتأويل، ومن ذلك:

◆◆ سؤال الملك الصالح عن صلاحية الزمن الذي رأى فيه رؤيا الضباع والسباع: "رأيت في الليلة الماضية منام، فهل يصحّ فيها منام؟" فأشار جواب العلماء بالإيجاب والتبرير: "نعم يا أمير المؤمنين! إن الليلة الماضية رؤياها صادقة؛ لأنها السابعة من الشهر العربي، والقمر في زيادته، وهو غير منحوس..."[٢].

◆◆ ويؤكد المأمون رؤياه التي أمر فيها الرسول الكريم أن يتوجه البطال إلى خرشنة، ويعاقب صاحبها لكونه رآها ليلة الجمعة: "واعلم يا أبو محمد إنني ما رأيت تلك الرؤيا والمنام إلا في ليلة الجمعة..".

يجعل الرواة الأحداث السابقة ليلية الميلاد، سواء وهي تبشر، أم تحذر، أم تتنبأ، أم تدعو وتحفز.. وهذا الزمن الليلي الذي احتضن الرؤى زمن عرفيّ تواضع الناس على ممارسة طقوس الحلم فيه، إلا أنه سرديا يتخلق لدى حاجة النص له، فلا يجد الراوي بأسا أن ينقل متلقيه لأجواء الليل عندما يحتاج شخوص عمله أن ينتقلوا من مرحلة إلى أخرى عبر الحلم، أو عندما يحتاج هو أن يشكل انعطافا في سياق السرد عبر النبوءة المنامية. هذا يعني أننا نقف غالبا عند لحظة ثابتة هي الليل وتجليات اللحظة الليلية، ولكننا في الحقيقة نتوجه إليها في الوقت الذي يشعر الراوي أنه يريد الاقتراب منها بغية تحريك السرد وتفعيل مجرياته!.

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٣٨.

[٢]) الظاهر بيبرس، مج١، ص٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سأنطلق في تحليل البنية الزمنية من نقطة هامة، مفادها أن الزمن في نصوص المنامات يُساق ليكون حاضرا في التنويع الجمالي بشكل رئيس، ثم يجتمع له أن يسهم في البنية الفكرية للنص، بينما يحضر الفضاء المكاني ليسهم ابتداء في البناء الفكري، ثم ليدلي دلوه في البعد الجمالي. وبالرغم من تباين مستوى الأداء في البعدين: الفكري والجمالي بين الزمان والمكان، إلا أننا لا نستطيع إنكار تشكلهما شخصية سردية هامة تحكي، وتتفاعل، وتبني تماما كما شخوص العمل!. على ضوء ذلك.. سأقف عند أهم التنويعات الزمنية التي لحظت تواترها في النصوص محل الدراسة:

❋❋ الاستباق[١]:

تحتفل منامات عديدة بآلية الاستباق، وتطرحها ضمن تجليات تأتلف في بنية الكشف والقدرة على الطرح الموضوعي المبكر، ولكنها تتغاير في البعد الزمني الذي تستبقه وتبشر بأحداثه. وبحسب أهميتها أرتبها كالآتي:

● استباق النبوءة المركزية : فقد بات واضحا قيام عدة من السير الشعبية على فكرة النبوءة التي أوكل للسرد أن يحققها، وانبنت لذلك مشاهد منامية أساسية ولّدت سلاسل حكائية ممتدة عبر مجلدات عديدة، وهذا يعني امتدادا زمنيا طويلا تجسد ما بين النبوءة "الاستباق والتحقق". ومن الأمثلة الدالة التي عُرضت في الفصول السابقة نحكي هنا عن استباق ميلاد الملك سيف بن ذي يزن الذي ستكون على يديه إنفاذ دعوة نوح –عليه السلام–، لا سيما أن الراوي يقرر صراحة أن إنفاذ الدعوة لا يكون على يد ذي يزن، بل رجل من صلبه. ومثل ذلك استباق ميلاد حمزة العرب، فقد رأى كسرى منام الأسد الذي يخلص ملكه من الأعداء، وهو استباق مركب يشير إلى حدثين رئيسين:

- السيطرة على بلاد فارس أولا.
- تخليص ملك كسرى على يد الأمير حمزة.

وإذ يدرك المتلقي أن الأمير حمزة لم يكن قد وُلد لدى زيارة بزرجمهر لمكة المكرمة، يكون قد وقف على مشارف استباق أحداث ستتم حتما بعد سنوات، حيث سيولد البطل، ويكبر

---

[١]) انظر في معنى الاستباق لدى الحديث عن وظائف المنامات السردية في فصل سابق. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكتسبا المؤهلات التي ستمكنه من تحقيق المنام، ثم تكون السيطرة على بلاد فارس، الأمر الذي سيؤول إلى الهرب إلى إيران، ثم أخيرا يكون تخليص الملك على يد الأمير.

إن مثل هذه الاستباقات المتشابهة تمتد لتشمل في الحقيقة زمانين وليس زمانا واحدا: يتمثل الأول في استباق زمن الميلاد، ثم الثاني في استباق تحقيق المهمة التي سينهض البطل من أجلها.

◆◆ ومن الاستباقات التي بشرت بأحداث ستكون بعد زمن طويل زواج فيروز شاه من عين الحياة، فظلال المنام التي غيّبت الإشارات البينة، تلقي الضوء واضحا على نبوءة سابقة حكاها الحكيم طيطلوس للملك ضاراب، فعند إشارته لمستقبل فيروز الحافل بالخير والمجد، يستدرك: إلا أنه سيلاقي صعوبات كثيرة من أجل حبه. الأمر الذي شرع للراوي أن يمدّ في تغريبة فيروز زمانيا ومكانيا، ولا يكون إنفاذ النبوءة إلا في المجلد الثالث.

◆◆ وفي سيرة الأميرة ذات الهمة، تتضافر منامات عديدة تؤسس لاستباقات زمنية طويلة:

- ميلاد الصحصاح الذي سيكون لولده شأن عظيم.
- ثم ميلاد عقبة الذي أودعه إبليس مكره وشره.
- ثم استباق الرسول الكريم لكون الأمير عبد الوهاب ترسَه، وحافظ شريعته.
- ثم التبشير بصلب عقبة بعد أن يقتل ٣٠٠,٠٠٠ إنسان من سائر الأمم.

◆◆ وفي الظاهر بيبرس تحيل السياقات لكون محمود العجمي الملقى في الحمام هو الظاهر بيبرس بطل السيرة، حيث يكلؤه الملك الصالح برعايته، ويبشر صراحةً بكونه سلطان المقادمة الذين احتقروه وأرادوا تركه في الحمام، وقد استبقت المنامات سنوات طويلة حتى استردّ عافيته، وربته الغزية، ثم امتلك مؤهلات القدرة البدنية، واعتلى عرش السلطنة بحفظ الملك الصالح. على ضوء ذلك يتقرر أن هناك استباقات زمنية حكت عن أحداث ستقع في زمن بعيد غير قريب، وإذا كانت المنامات واجبة التحقق دوما فإن المتلقي وقف عبر هذه النبوءات الاستباقية على أحداث فعلية، ولكنه يستمر في التلقي من أجل أن يعرف آلية تحقق هذه الأهداف، وتحولها لواقع معيش بعد أن كانت نبوءة سابقة منذ زمن بعيد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

● استباق قريب المدى: وفيه تعرض المنامات لاستباقات زمنية، ولكن أحداثها قريبة التحقق، وغالبا ما تكون في المنامات الفرعية التي تتبنى أساسا لتحقيق المنام المركزي. ومنه في الغالب ظهور الرسول الكريم، أو أحد الأولياء، أو الهواتف والمجهولين لشخوص العمل، يبشرونهم باقتراب مجيء البطل الذي لا يلبث أن يحضر فعلا ليساعدوه ويتمم المهمة التي كان قائما عليها: يبشر الهاتف برنوخ الساحر بقدوم سيف، ويسأله أن يسلم على يديه، فلا يلبث سيف أن يأتي فيسلم الساحر، وترى عين الحياة طائرين يستخبران عن فيروز، ليبحث السرد مجيء بهروز وفرخوزاد باحثين عنه، ويرى الأمير حمزة الغربان تأخذ سادات مكة ولا يلبث أن يقع على خبرهم، حيث أخذوا عن طريق العجم لبلاد فارس من أجل أن يساهموا في عمرانها.

◆◆ وفي الأميرة استباقات عديدة جدا تحفز السرد، وتبني الأحداث التالية: يهتف هاتف يحكي انقضاء دولة البرامكة التي لا تلبث أن تسقط على يد الرشيد، ويستنهض الرسول الكريم أبا محمد البطال لقتال حاكم خرشنة، فيغلبه البطال ويعاقبه على شتمه صورة الرسول الكريم –تعالى عن ذلك–، وتسأل السعيدة أباها أن يخلصها من أسر الروم، فنرى السياقات ترسم لقاءه معها بعد قليل.

◆◆ وفي الأخبار والتراجم يكثر الاستباق الذي يكشف حوادث تقع في القريب العاجل، بل إن النظر المدقق يكشف وضع المنامات وحكايتها بعد وقوع الحادث: يتنبأ غرسُ الرسول الكريم نخلَ امرئ القيس في أرض كالكافور بقول سيد الشعر، ويكون التعليق الذي يشفّ عن سرعة تحقق النبوءة: "فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر"، وما أن يرى الشمردل سنان رمحه قد سقطت حتى يموت أخوه: "فأتاه نعي أخيه وائل"، وتُرى امرأة من ولد عثمان تبكي عيشا لذيذا مضى، ويعلق الراوي بما يشف عن عجلة التحقق: "فما لبثنا إلا يسيرا حتى خرج الأمر عن أيديهم".

وفي العقد الفريد يسأل أبو الخيبري حاتما إقراء ضيوفه فيصبح وقد عُقرت ناقته إكراما لهم، وفي النشوار يتهدد الرسول الكريم قاتل يحيى العلوي، ويكرر عليهم: "نكثتم، نكثتم،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقتلتم أولادي، والله لا تفلحون بعدها أبدا"، ويكون التعليق: "فما مضت على ذلك إلا مديدة حتى مات محمد "القاتل"، ونُكبنا بأسرنا.

يكشف العرض السابق عن احتفال خاص بالاستباقات على صعيد المنامات جميعا: المركزية والفرعية، وقد وقعت بحضورها لـ:

◆◆ الكشف بشكل رئيس، وهو ما يعنى به الاستباق الزمني، حيث طُرحت النبوءات، وحكى السرد عن أحداث لمّا تقع بعد، فهيأت ذهن المتلقي، وفتحت أمامه أفق انتظار للقادم، لا سيما وأنه يدرك من خلال احترامه لأدبيات المنام والقصّ الذي تعرض فيه تلك المشاهد أنه بصدد حدث واجب التحقق، إذ تأطر بإطار إخبار مقدس منبني على قداسة نبوة المنام.

◆◆ في السير الشعبية، والحكايات الخرافية والعجيبة كان الاستباق الزمني رافدا جليلا من روافد البناء، وتخليق الحوافز التي من شأنها أن تبني سلاسل حكائية هامة، يصل السارد عبرها لنهايات القصّ.

◆◆ وفي المقابل ساهم الاستباق الزمني في كتب التراجم والأخبار في بناء مشروعها الفكري، حيث كانت بذاتها أداة جمالية. وتشكلت تقنية سردية للإفاضة في الأخبار والترجمة.

◆◆ وانطلاقا من أدبيات المنام التي ترسم نبوءته واجبة التحقق، جعلت المنامات المتلقي أكبر دراية من فاعلي السرد، حيث تلقى المنام بوصفه إخبارا بينما كان الفاعل يترقب بحذر ويعمل على إنفاذ النبوءة التي استبقت الأحداث بمدة قريبة أو بعيدة.

❋❋ **التواتر[١]:**

---

[١](التواتر Freguency) : تكرار بعض الأحداث من المتن الحكائي، ويرى تودوروف أنه في "كل عمل يوجد ميل إلى التكرار، سواء أتعلق الأمر بالفعل الروائي، أم بالشخصيات، أم بتفاصيل الوصف..". وتعريف جينيت للتواتر: عدد المرات التي تُروى فيها الحادثة. انظر:

- نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، ص١٦٤، و١٦٦.
- طرائق تحليل السرد الأدبي، مقولات السرد الأدبي، تودوروف، ص٤٢.
- إشكالية الزمن في النص السردي، عبدالعالي بوطيب، فصول، مج١٢، ع٢، صيف ١٩٩٣، ص١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرافق القص المتواتر المشاهد المنامية في مواقف عديدة، ولغايات متباينة حتى كاد يكون لازما لا تنغلق دائرة المنام دون الإحالة إليه ثانية، بل وتشظيته في مرات كثيرة بغية إبقائه في ذاكرة المتلقي، وتطوير الرهان على إنفاذه وتحقيقه لفاعلي السرد والمتلقين على حد سواء.

يشكل التأويل سببا هاما لتوظيف التواتر والعودة للقص، فبالرغم من وجود منامات لم يُطرَح لها تأويل، حيث اتكأ رائيها على ثقافته الذاتية، وساهمت هي بوضوحها وجلاء رموزها إلى عدم الاحتياج للتأويل، إلا أن الرواة في كثير من الأحيان رسموا منامات رمزية لا سيما تلك التي احتفلت بوجود الحيوان أو الأدوات الطبيعية، الأمر الذي أفضى للبحث الجاد عن التأويل العارف، القادر على تحويلها من ترسيمة رمزية خالصة إلى مفردات واقعية يمكن للحالم أن يتبين معناها، ويسقطها على واقعه.

على ضوء ذلك، قد يعلن النص تواترا مفردا لدى طلب التأويل مرة واحدة فحسب، وفي المقابل يعلن تواترات عدة لدى طلب التأويل أكثر من مرة، ومما يحضر هنا من الأمثلة التأويل الذي سألته مريم الزنارية للراهب، فحيث حوَّل مفردات المنام الرمزية بحسب مرجعيته الدينية، ثم بحسب مصلحته الذاتية، وتبينت أن ذلك باطل، عمدت إلى قص المنام ثانية على شيخ الإسلام، الذي طرح تأويلا مغايرا فتبنته إذ تبينت صدقه. وفي حديث الأربعين جارية في الحكايات العجيبة يطرح الملك نص المنام على أولاده الثلاثة بغية الوقوف على كامن النية إذ تتجسد في مفردات التأويل، وفي كلّ مرة يعود الملك لقصّ المنام الذي رآه ليتلقى التأويل ، وهكذا..

وعلى صعيد آخر يعمد الراوي لقص المنام مرات عديدة ليلقي في الروع أهميته وخطورة حضوره، ويشترك في هذا التلقي فاعلو السرد، والقارئون الحقيقيون على حد سواء. وليس أدل على ذلك من المنامات المركزية التي والت السرود طرحها، والإشارة إليها، لما تحمله من قيمة فكرية يجدر بالراوي التركيز عليها والإعلان عنها مرات عديدة. وسأدلل على ذلك بأمثلة ساطعة تكرر الحديث عنها، منها نبوءة ميلاد الأمير حمزة الذي سيرفع نير الفرس عن العرب، فقد قصّه كسرى على بختك وزيره، ثم على بزرجمهر الذي أحسن تأويله، وإن طرحه ناقصا ليضلل به كسرى فلا يتعدى على الأمير حمزة إن عرف أنه سيقضي عليه بعد أن يخلص ملكه، وقد أعاد بزرجمهر رواية المنام للأمير إبراهيم والد الأمير حمزة ليبرر له

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجيئه، واحتضان كسرى لوليده، ثم وسَّع السرد دائرة التواتر ليظل خيطا ذكيا قادرا على شد انتباه المتلقي، وإقامة الحوادث على ضوء المنام المركزي الذي ثبتت صوابيته لكل المتلقين: استدعاه سادات القوم للأمير إبراهيم في حادثة قتل حمزة للأسد وهو صغير، واسترجعه الخضر لحمزة ذاته بغية تأهيله وتعريفه بمهمته وهي تخليص العرب من نير الفرس، واستدعاه سادات مكة ثانية للأمير إبراهيم في حادثة قتل حمزة بعثة كسرى لأخذ الضرائب.. وهكذا.

وفي الأميرة ذات الهمة يستعرض الراوي تواترات طويلة وعديدة للغاية لأهم نبوءة وهي قتل عقبة وصلبه على باب الذهب، حتى باتت هذه القضية أكبر حافز للأحداث من شأنها أن تحقق بدورها نبوءة كون الأمير عبدالوهاب ترس النبي الكريم. يُحكى المنام لأبي محمد البطال والأميرة ذات الهمة، وفي سياقات عديدة يحكي الراوي رواية المنام للناس جميعا، ويبدأ فاعلو السرد إنجازا لنبوءة المنام بسردها على شخوص العمل: تحكيه الأميرة لسيف الحنيفية، ويحكيه البطال للملك شعشعونا، ولؤلؤ للحكيم إقليدس، ويحكيه عقبة للملك الخرطموس والملك كوجار.. وهكذا تظل تواترات المنام قائمة حتى يتحقق ويُصلب عقبة في المجلد الأخير.

جدير بالذكر أن تواتر القص لم يتم بذات الآلية، بل برزت طريقتان واضحتان تمثلتا في:

● **صيغة الإضمار**[١]: التي أحالت للنص دون تفصيل، وردَّت ذاكرة المتلقي للزمن السابق الذي جرت فيه رواية المنام باختزال: يعيد الملك ذو يزن قصّ المنام الآمر بكسوة الكعبة على الوزير، وتحضر هنا عبارة: "فلما حضر قصّ عليه الرؤيا.."[٢]، وفي حكاية بزرجمهر للأمير إبراهيم منام كسرى يقول الراوي: "ثم إنه حكى له ما كان من كسرى أنوشروان صاحب التاج والإيوان.."، وفي منام عبدالوهاب يقرر إرادة الصلب حتى: "يكون ذلك تصديقا لمنامي.." دون إحالة لمفرداته، وفي حكاية الأربعين جارية، يحكي الراوي إعادة الملك الرؤيا بتوظيفه عبارة "كيت كيت": "يا ولدي إني رأيت في منامي "كيت وكيت" وذكر له

---

١) "يضمر الفعل الحكائي ويستعان بالتعبير عنه بجملة تجنبا لروايته بالتفصيل الذي حدث فيه". السردية العربية، عبدالله إبراهيم، ص١٢٦.

٢) الملك سيف، مج١، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما ذكر لأخيه. وتعيد زوجة الطحان رواية منام الكنز، عبر قناة الراوي الذي يحدث: "فلما حدث الطحان امرأته برؤياه أخبرت جارها الذي تهواه..".

● **إعادة القص:** يكثر أن يعيد الرواة وفاعلو السرد نصّ المنام تفصيلا لا اختزالا، ويبرز هذا بشكل جليّ في عرض المنامات المركزية مثل نبوءة لقاء فيروز بعين الحياة، وميلاد حمزة العرب، وصلب عقبة .. إلخ. وفي الحكايات: يعيد البغدادي حكاية حلمه على الوالي المصري ليبرر مجيئه لمصر، وليحفز هذا الاسترجاع على سرد لاحق تنفك فيه عقدة الحكاية، إذ يسرد الوالي حلمه الذي سيعيد البغدادي إلى بيته، ليحفر ويجد الكنز.

من الطريف أن بعض المنامات تشكل قصًّا فيه تواتر يبرر قيام بعض الشخوص بالأحداث التي سبقتها، فإذا كان الترتيب الأصلي للحدث يتمثل بـ الرؤيا ثم الإذعان لها، فإن بعض السرود تعرض الإذعان والاستجابة لأمر الهاتف، ثم تجعل الرائي يقصّ منامه الذي دعاه للفعل، مسترجعا بذلك ما قام به ابتداءً: ترحب سيدة السودان بسيف بن ذي يزن وتخلصه من شرك أخواتها، وتعلمه بائتلاف روحيهما كناية عن إرادة الزواج، ثم تبين سبب ذلك كله بقصّ المنام الذي جاء فيه هاتف وأعلمها بزيارة سيف لها، وأن عليها أن تيسر له مهمته، ثم يتزوجا!.

ذات الأمر يتكرر مع نادرة التي مُسخ ابنها كلبا، وتكشف تساؤلات الملك سيف عن السياق السابق الذي بادأت فيه نادرة بالترحاب والتهلل لرؤيته: "يا هذه! من تكونين؟ ومن أعلمك باسمي؟ ومن أوقفك على حقيقة أمري؟.." لتحكي له حضور الهاتف الذي بشّرها بمجيء الملك سيف حيث سيخلص ابنها من صورته التي مُسخ عليها، ليعود إلى صورته الآدمية[١].

أخيرا.. هل يمكن اعتبار المنامات المتوافقة داعية لتواتر القص؟.

سأستبعد هنا المنامات التي تظهر لرائين متعددين ضمن مشاهد مختلفة، ولكنها تحيل لذات الفكرة لأنها لا تعمد لإعادة قص المشهد بعينه. وسيدور البحث حول النوعين الآخرين وهما:

---

(١) الملك سيف، مج٢، ص٣٢١-٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رؤية ذات الرائي لذات المنام مرات متعددة.
- رؤية رائين متعددين لذات المنام.

تذكّر المنامات في النوع الأول بالمشهد المنامي بالضرورة، ولكننا لا نستطيع اعتبارها قصًّا فيه تواتر بشكل تام، لأن هذه المنامات تعمد إلى البناء والتطوير، ومفارقة الـنص الأول بزيادة إشارات، وأمثل لذلك بعين الحياة التي زارت فيروز لثلاث ليال متواليـات، إن المنـام الثاني يذكّر بالأول، كما يذكّر المنام الثالث بالسابقين، ولكننا بالرغم من ذلـك لا نـستطيع أن نطابق بين المنامات الثلاث مطابقة تامة. إن الإيحاءات والإحالات تفضي للمنام الأول، ولكننا في المقابل سنقف بإزاء زيادات لم تتأت لفيروز سابقا، تماما كما ختم المنام الثالث بذكر اسـم عين الحياة، وهو ما لم يذكر في المنام الأول والثاني.

أما النوع الآخر، فلا يمكن عده تواتريا لأنه تشكل في لحظة خلق تُعتبر حديثة المـيلاد لكل الرائين، فلا ينطبق عليها هنا فكرة التواتر التي تعني أن نعود زمانيا للوراء حيث نقـف أمام قصة سابقة ونعمد إلى سردها ثانية! إننا في الحقيقة بإزاء سرود متشابهة ولكنها جديـدة بالرغم من هذا التشابه:

الرؤيا التي آمن فيها الكندفرون على يد الرسول الكريم –مثلا– تتكرر مـع آل بيتـه، ويحكي الراوي اختزالا العبارة الآتية: "وما فينا إلا من رأى كما رأى صاحبه":

هذا يعني أن رؤيا الدعوة للإسلام قد رآها الكندفرون

ورؤيا مشابهة في الدعوة للإسلام قد رأتها زوجته

ورؤيا مشابهة في الدعوة للإسلام قد رأتها ابنته ..

وكلّ رؤيا على ضوء ذلك تُعتبر خلقا جديدا يُحكى لأول مرة، الأمر الذي يدعو لعـدم اعتبار هذا النوع من القص متواترا، وإن كانت إيحاءات المشاهد متشابهة.

تعريف التواتر يوحي بمفارقة زمانية يعود فيها السرد للوراء، إلا أن المـدقق لغايـات التواتر في هذه السرود يدرك تماما أن اللحظة القصصية السابقة هي التي تُـستدعى لتكـون حاضرة في ذهن المتلقين وشخوص العمل، وعند ذاك تنبني الأحداث على المنام الذي يظـل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاضرا في الذاكرة، ولعلّ أشهر الأمثلة على ذلك مناما كسرى بميلاد الأمير حمزة وصلب عقبة، حيث ظلّ حضورهما مع امتداد السرد يشحذ ذهن المتلقي، ويبرر أحداث العمل التي تقع اللحظة، فيُعذر حمزة لقتل الأسد، ثم قتل بعثة كسرى، ويترقب بزرجمهر حضوره لدى انكسار الفرس.. وفي الصلب لا يُقتل عقبة، بل ويستنهض الأمير كل الناس والأبطال لئلا يمسوا عقبة بسوء بالغ حتى لا يموت مخالفا ميتة الصلب التي أرادها الرسول الكريم.

إن المنامين سابقان منذ البدايات الأولى للسيرتين، ولكنهما يظلان يبنيان الأحداث اللاحقة على ضوئهما، الأمر الذي يدفعني للقول: بأن السابق استُدعي ليكون حاضرا في السرد الحالي، وليس العكس.

❊❊ **التـــزامـــن[1]:**

تفعّل بعض المنامات المتوافقة حيلة التزامن، حيث يجعل السرد رائين متعددين يرون منامات متشابهة في ذات المدة الزمنية.

لم أقف على التزامن أثناء سرد المنامات المركزية، ولعلّ ذلك يشير إلى فرادتها، وتوليدها في أفق سام يحتضن نبوءتها:

فيروز شاه الأمير : هو الذي رأى عين الحياة

كسرى أنو شروان: هو الذي احتضن نبوءة ميلاد الأمير حمزة.

الملك الصالح : هو الذي احتضن/ أنتج نبوءة تسلطن الظاهر... وهكذا

في المقابل، نجد المنامات الفرعية هي التي اتكأت على هذه المفارقة الزمنية، حيث تمّ إنتاج منامات متزامنة تستهدف التأكيد على صوابية المرئي الذي سيحفز لاحقا لإنتاج فعل يدفع السرد وصولا للغاية المرجوة.

---

[1]) "حادثان أو فعلان وقعا في وقت واحد لا يمكن أن يعرضا إلا واحدا بعد الآخر، على أن يُشار لتزامنهما في الوقوع بعبارة متواضع عليها "في الوقت نفسه" مثلا..". وعرفه تودوروف: "ازدواج فضائي داخل زمن الحكاية، إنه الازدواج الذي يعكسه زمن الكتابة في تتابعه". انظر:

- مفاهيم سردية، تودوروف، ص١١٤.
- إشكالية الزمن في النص السردي، عبد العالي بوطيب، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمثلة ذلك عديدة، منها:

◆◆ يسلم الأسقف على يد النبي الكريم، فيعلن بقية الرهبان: "والله ما منا أحد إلا وقد رأى في منامه الليلة ما قد أهاله من الخوف والحساب..".

◆◆ ويسلم الكندفرون كذلك على يد النبي الكريم، فيعلن أهله: "وما فينا إلا من رأى كما رأى صاحبه..".

◆◆ ويرى بشر الرسول الكريم يدعوه لإنقاذ الحجاف، فيعلن أهله: "أبشر، فما فينا إلا من رأى مثل ما رأيت...".

يشظي الزمن هنا الفعلَ إلى أفعال متعددة بينما تظهر لنا بوصفها فعلا واحدا يختزل أزمانا عديدة، ومما يلحظ في هذا السياق أن التزامن غالبا ما يتأتى للرائين في الأمور الاتفاقية الخيرية التي لا يجد الشخوص بدا من الإجماع عليها، وبالتالي يتلقاها المتلقي المنسجم فكريا مع النص بذات الآلية. حكت الأمثلة عن الإيمان، والانتصار للإسلام وأهله وهي قضية مركزية في سيرة كسيرة الأميرة ذات الهمة التي تُعنى ابتداء في مسألة الصراع العقدي بين الإسلام والشرك، ولذلك اختار الراوي أن يوقّع للإجماع والتسليم عبر توحيد الأفعال في بؤرة زمنية تظهر للقارئ بوصفها واحدة وإن كانت في الحقيقة متعددة!.

❋❋ المشـــهـــد[١]

يثير المشهد كما اتضح من التعريف الدقائق والتفصيلات التي تفضح فكرة المنام، أو مجموعة الأفكار التي يطرحها ويؤسس لها. إلا أن حضور "المشهد المنامي" في السرود محلّ الدراسة متباين من حيث انفساح مساحة بنائه زمنيا وترسيم دقائقه ومنمنماته الداخلية الخاصة. إن هذا يضعنا بإزاء:

● **المشهد المنامي القصير:**

تكتمل فيه الرؤية، وتحكي العناصر كلّ ما يريده السارد ويحتاجه المتلقي لإدراك فكرة النص ونبوءته إن وجدت، ولكنه في المقابل يغيِّب التفصيلات الدقيقة، والحيثيات التي بمكنتها أن تضيف بعدا موضوعيا، أو ملمسا جماليا على اللوحة التي تحتضن المشهد.

---

[١]) تركيز وتفصيل للأحداث بكل دقائقها، حيث يتمحور حول الأحداث المهمة المشكلة للعمود الفقري للنص الحكائي، وتظهر فيه الأبعاد الحوارية ، وهو عكس التلخيص تماما الذي يعمل على تقديم المواقف العامة بشكل عرضي. إشكالية الزمن في النص السردي، عبدالعالي بو طيب، ص١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتكئ كتب الأخبار، والتراجم، والحكايات القصيرة في الغالب على هذه الترسيمة للمشهد المنامي انسجاما مع بنية المصنف الذي يقوم أساسا على الطرح العاجل، وإيراد الإشارات الدالة المختصرة. وتنهض كذلك السرود الطويلة التي تمثلها السير الشعبية بإيراد مشاهد منامية قصيرة، ولكنها تغنيها وتطورها، وتزيد في بنائها وهي تعمد إلى تكرار روايتها ضمن ما أثرناه لدى الحديث عن التواتر وإعادة القص.

في الأغاني يرد المشهد المنامي الآتي، وهو على لسان رائيه إسحاق بن إبراهيم: "رأيت في منامي كأن جريرا جالس ينشد شعره، وأنا أسمع منه، فلما فرغ أخذ بيده كبّة شعر، فألقاها في فمي فابتلعتها، فأوّل ذلك بعض من ذكرته له أنه ورثني الشعر. قال يزيد بن محمد: وكذلك كان. لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه".

وهو ممثل لمشاهد عديدة احتضنتها كتب الأخبار والتراجم، مما يعني انسحاب التفسير العامّ عليها من حيث تناول البنية الشكلية.

المشهد أعلاه متكامل، بمعنى أنه يتوفر على العناصر التي تؤلفه، وتجعل قصَّه وتأويله ممكنا غير مستعصٍ ولا متكلف، كما أنه يوحي بالاكتمال لا النقص، وإن لم يعتن بالتفصيلات والإشارات النصية التي بمكنتها أن تفيض في هيئة جلسة جرير، أو آلية استماع إسحاق، أو الطريقة التي أمسك فيها جرير كبة الشعر ثم رماها في فم إسحاق.. وهكذا

يحتوي المشهد المذكور على الفاعل السردي: جرير، ثم الفاعل الآخر: إسحاق، والعلاقة بينهما واضحة إذ ينهض الأول بفعل الإنشاد الذي يتحلق الناس للاستماع إليه، لأن الإنشاد يكون في المجالس، الأمر الذي يشير إلى نبوغه وأستاذيته، هذه الأستاذية الشعرية يمدها الراوي حيث يحلها في بعد زماني آخر ممتد، وفي فضاء آخر ممتد كذلك يكون فاعله المركزي إسحاق، وذلك مفهوم من خلال فعل إلقاء كبة الشعر في فم إسحاق.

ويحتفل المشهد بعرض النص على المؤول الذي بدا عارفا إذ طابق تأويله الواقع، وهو ما نصّ عليه التعليق الختامي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا يعني أن تكامل المشهد متأت من خلال: تكامل الترسيمة الداخلية للوحة المنام، ثم تأويلها، ثم تحققها، وإن عُرضت عبر سياقات نصية عاجلة لم تعتن بالتفصيلات والدقائق الخاصة التي بمكنتها أن تعرض أبعادا أجلّ وأبين.

في سياق آخر، قد يعرض الراوي مشهدا مناميا متكاملا مختصرا، ثم يبدأ بتطويره والإضافة عليه في مشاهد أخرى، بحيث يشكل الكلّ مشهدا مناميا طويلا، ومثالي على هذا منام الصلب في الأميرة ذات الهمة:

◆◆ ففي المشهد الرئيسي الأول يظهر الرسول الكريم آمرا بالصلب ضمن أبعاد واضحة تشي بـ: حتمية الصلب، ومكانه على باب الذهب، ومبرره وهو إفساد عقبة وقتله لـ ٣٠٠,٠٠٠ إنسان.

◆◆ في المشهد الثاني يظهر الرسول الكريم للراهب مفسرا له مبرر الصلب، ومفيضا فيه حيث يعرض شخص عقبة وهو يكذب بالرسالة، ولا يصدق النبوة، ويستبيح دماء الأمة، ويخرب ديار الأحبة...

◆◆ وفي المشهد الثالث يقرب الرسول الكريم للأمير زمانية الصلب، وفضاءه المكاني، ليكون إذا وصل المسلمون الروم، وفتحت عمورية..

◆◆ وفي المشهد الأخير، يحكي الرسول الكريم للمعتصم زمانا أكثر دقة وقربا، ليكون "في الغد عصرا.." زمان الصلب، ويتأكد قتل ٣٠٠,٠٠٠ إنسان من أجل عقبة.

رسم الراوي أربعة مشاهد قصيرة، لكنها تصلح أن تكون مشهدا مناميا واحدا طويلا، أما لماذا تشظى المنام لأربعة مشاهد فهذا يعود لفنية السرد التي أرادت إبقاء المنام المركزي حاضرا في ذاكرة المتلقي، ومخلقا لسلاسل حكائية من شأنها أن تدفع السرد، وأن تثير شوق المتلقي والفاعل على حد سواء، وهما يترقبان إنفاذ النبوءة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد دلّ الاستقراء على أن حضور المشهد المنامي القصير أكثر اتساعا من حضور المشهد الطويل، ولعل ذلك يعود لكون المنامات سردا غير مستقل، بل إنه يتشكل دائما ضمن سرد آخر أشمل، حتى في المنام الكبير للوهراني الذي يُعتبر أطول نص منامي، فقد عرضه الوهراني ضمن الرسالة التي أنشأها.

كما أن الاعتماد على المشاهد القصيرة التي يعتني السرد بالعودة إليها ضمن تواتر القص، تحقق أهدافا قد لا يحققها المشهد الطويل، حيث تحتفظ بحضور دائم، وبتحفيز متجدد، وذكر يشوق المتلقي، وإثارة دافعة لإتمام قراءة النص.

● **المشهد المنامي الطويل:**

وفيه تكتمل عناصر القص بالضرورة، إلا أنه يحتفل كذلك بالدقائق والتفصيلات التي تجعل للمشهد منمنماته الموضوعية والفنية الخاصة، وحضوره كما أشرت لذلك أقلّ من حضور المشهد المنامي القصير.

يتكئ الراوي على مثل هذه المشاهد التي تستغرق في إنشائها زمنا أطول، وسياقات نصية أعرض لاستثمار قيمة جمالية أوسع، إذ إنه هنا يمدّ في ترسيمة الفضاء المكاني، وتجلية أبعاد الشخوص، والسياقات النصية التي يوكل إليها مهمة تنويع الخطاب، والإفادة من جماليات اللغة... إلخ.

على صعيد آخر فإن مثل هذه المشاهد تحمل في طياتها عددا من النبوءات تستعلن بتأكدها وجلاء وقوعها جراء التأكيد عليها في سياقات متباينة ذات نبرات جادة تتراوح في علوها وانخفاضها، وتصب أخيرا في ذات البوتقة التي تعلن فكرة النص، وتعد بضرورة تحققه.

في سيرة حمزة البهلوان يرى الأمير في المجلد الأخير رؤيا منامية طويلة، ويعي الأمير ذاته طول الرؤيا مفارقا بينها وبين الرؤى العديدة التي طرحها في ثنايا السيرة، وعملت على بنائها ولذلك فإنه يستهل حكي المنام الذي سأل بزرجمهر تأويله بقوله: "إني رأيت وأنا غارق في لجج الغفلة حلما طويلا، سأورده لك باختصار خوف الملل"..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد نبه الأمير المتلقي لكون الحلم "طويلا"، لذلك سيعرض "باختصار"، مراعاة لحسن تلقي المؤول وعدم إصابته بـ "الملل". ويصدق الاستهلال، إذ يُعرض المنام الزاخر بالرمز والنبوءة، ورسم فضاءات مكانية وزمانية متعددة، حتى لكأن المتلقي أمام قصة متكاملة، أحداثها متنوعة، وتحتوي مفاجآت سردية عديدة.

فكرة المنام قائمة على الرموز التالية:

- قضاء الأمير على خنازير أربعة = أعدائه
- امتلاك الغزال = رجعة زوجته
- كلب ينفر منه الغزال = أخو مهردكار المتنكر بالسواد
- ثم يتحول لجمل وديع = أخو مهردكار حين بانت صورته

وهو من المنامات القليلة التي عُرضت بفنية تستثمر جماليات اللغة وتُطيل في سياقاتها: "إني كنت صبيحة نهار جميل بين إحدى الصحارى، وكلنا مرتد ثياب الصيد والقنص، وبيد كلّ منا قوسه وكنانته..

ويقترب منه منام غالية أم عقبة، وإبليس يطوّل في خطاب أدبي عريق منجزات عقبة الإفسادية! تحضر عبارة: "أودعتك شري ومكري وغدري" عندما وضع إبليس يده على بطن غالية الإضاءة المركزية التي تشكل بنية المنام، وموضوعة المشهد، ولكن الراوي آثر أن يطرح معنى الجملة في سياقات طويلة تثير المعاني الإبليسية، والفتن الشيطانية، والفساد المطلق الذي سيكون إبليس أباه الشرعي، ومولده الحقيقي.

وفي المنام الكبير للوهراني، تحضر عندنا مشاهد عديدة جدا:

- المنادي وهو ينادي للعرض على الله –سبحانه–.
- طلوع عبدالواحد بن بدر، واستدعاء فعل الحافظ العليمي الذي لا يقتني إلا الغلمان الذكور.
- ظهور مالك خازن جهنم ليبحث عن عصاة أمة محمد
- ظهور جبريل الروح الأمين وهو يحاسب الناس ويدافع عن كمال الدين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا أن الوهراني ألّف بين كل هذه المشاهد في فضاء مكاني واحد "القيامة" وبعد زماني واحد وهو "الآخرة بعد الحياة الدنيا"! ثم لم يعمد لتشظية المشاهد في منامات متعددة، بل جعل المنام الكبير الإطار الواسع لها، الأمر الذي أعطى شعورا للمتلقي بأنه أمام مشهد واحد ولكنه طويل جدا، استغرق فيه صاحبه وهو يرسِّم أبعاد الشخصيات بدقة توصلا لهدفه الكبير وهو نقد السلطة عبر نقد رجالاتها الذين عرضهم بصورة متردية أخلاقية، ودينية، وأدبية... إلخ. ولا يداني المنام الكبير بسعة العرض، وتنوع المشاهد، والوقوف على الدقائق منام آخر، ولعله لذلك تعنون بـ "المنام الكبير".

يشف العرض إذن عن وجود:

- مشاهد منامية قصيرة، وهي الأغلب في السرود محلّ الدراسة، وقيمتها الموضوعية والفنية بارزة تحرص على إثارة التلقي وتحفيزه، وإبقاء المنام حاضرا في الذاكرة.
- مشاهد منامية طويلة، تتشظى لمنامات قصيرة، ومثالها منام الصلب.
- مشاهد منامية طويلة، يتربع فيها المنام الكبير على ذروة القائمة، وترتسم أخرى أقل طولا وعناية بالتفاصيل من مثل منام الأمير حمزة، وإبليس الذي يبشر بميلاد عقبة.

إن هذا التنوع في عرض المشاهد يحيل لتنوع جمالي آسر، يباين في آلية الطرح، ويعدد في قيمة المشهد ودرجته، وكل ذلك يعتمد بالضرورة على حاجة السرد، وإمكانيته في ترسيم هذه المشاهد والعناية بها طولا وقصرا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فِـــــــــــي
الفَـــــضـــــــاءِ
المكـــــــانِـــــــيِّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــــي المكـــــان

للفضاء المكاني حضور بارز في المشاهد المنامية محل الدراسة، يتراوح بـين مجـرد الإشارة إليه، والتفصيل في ملامحه و دقائقه، وذلك استجابة لحاجة السرد، وفنيـة المقـام[١]، وقد أفضت دراسة المكان لملاحظة ترسيم فضاءات كلية، اشتركت فيها عدة سرود، في مقابل ترسيم أماكن أخرى مغلقة وضيقة تتعلق بنصوص خاصة بعينها. وفي كـلٍّ تـشكل المكـان انصياعا واضحا لأهداف فكرية رمى السارد لطرحها والتأصيل لها، إن المكان هنـا يـصاغ ليكون بنية قادرة على الحكي، والمشاركة الفعلية في المشروع الفكري والجمالي التي تؤسس له بنيات العمل عموما من فعل وشخصيات. لذلك يرفض لحميداني دراسة المكان بمنأى عـن المضمون: "هناك من يعتقد أن الفضاء الجغرافي في الرواية يمكن أن يُدرس فـي اسـتقلال كامل عن المضمون تماما، مثلما يفعل الاختصاصيون في دراسة الفضاء الحضري، فهـؤلاء لا يهمهم من سيسكن هذه البنايات، ومن سيسير في هذه الطرق، ولا ما سيحدث فيها، ولكـن يهمهم فقط أن يدرسوا بنية الفضاء الخالص!"[٢]. وقد تحيل هذه الفكرة للمقولة التي تـرى أن النص يتشكل كتابة بعد أن يكون قد انبنى كاملا على الصعيد الذهني، الأمـر الـذي يـسمح للمؤلف أن يقيم كل بنيات العمل لتخدم ما استقر في ذهنه من رؤية عامـة شـاملة! "لا يبـدأ السرد إلا بعد انتهاء الحكاية، أي بعد ما يكون القائم بالسرد على علم تـام بتفاصـيل متنـه الحكائي كله، مما يمنحه فرصة التلاعب به.."[٣].

ولغايات الإيضاح، سأفصل في حضور المكان، بحسب تواتر الإشارة إليه، وأهميته في القص:

❋❋ <u>الفضاء الكلي:</u>

أقصد به المكان العام الكبير الذي احتضن أفعال الشخوص، وكان على صعيد آخر محل العقاب والجزاء، ويتمثل بـ"**الدنيا والآخرة**".

---

(١) أشار لحميداني لضرورة الإشارة للمكان مهما كانت ضئيلة، إذ تشكل نقطة انطلاق لتحريك خيال القارئ، أو من أجل استكشافات منهجية للأماكن. بنية النص السردي، ص٥٣. بينما يرى برنس أن النص قد يتم دون الإشارة إلى مكان القصة space، ومكان اللحظة السردي أو العلاقة بينهم، وفي كلّ حال سيظل المكان يلعب دورا مهما في السرد. المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص٢١٤.

(٢) بنية النص السردي، حميد لحميداني، ص٥٤.

(٣) إشكالية الزمن في النص السردي، عبدالعالي بوطيب، فصول، مج ١٢، ع٢، صيف١٩٩٣، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تظهر الدنيا مقابلا واضحا للآخرة، وتفرز النصوص صحبة الكفار للدنيا، بينما تكون الآخرة على خيريتها صحبة المسلم، وتؤطر السياقات كلا منهما بتمثيلات تنسجم مع هذه المميزة: في الاميرة ذات الهمة، يظهر الرسول الكريم للملك عبد الله ويدعو له بدعوات صالحات، تجعله كما تقول السيرة: من أكثر "الأنام زهدا في **الدنيا**، وأكثرهم رغبة في **الآخرة**"[١].

وهو منطق ينسجم مع الفكر الإسلامي الزاهد في الفاني، والمقبل على الخالد الباقي, لذا, وضمن تصور آخر تجعل السيرة اختلال النظرة للدنيا والآخرة , ومفارقة هذا المنطق غُبنَا يُوبَّخ عليه مالط : "فنمت وإذا بقائل يقول لي في منامي : ويلك يا مغبون بعت الآخرة بالدنيا الساخرة!"[٢]... وتؤسس سيرة الظاهر ذات الرؤية للدنيا والآخرة, وهذا متوقع إذ تشترك السيرتان في فكرة صراع الإسلام مع الكفر, الذي يفرز الصراع بين الدنيا والآخرة وبالرغم من أنه لا تعارض بينهما في الاعتبار الشرعي, إلا أن النصوص تجعل الدنيا لغير المؤمن, والآخرة على رحابة جنتها للمسلم الذي يُسأل أن يعرض عن الدنيا الغرور، وهو معنى أفاض فيه الملك الصالح, حيث اختزل الدنيا في معاني الحزن والخسران. في حديثه المنامي لغرطال, أنشا يقول: "ولا تركن إلى **الدنيا** ففيها من الأحزان ما ينفي المسرة, فكم يطلب من **الدنيا** ويسعى ليجمعها ويحويها بكثرة, ويقضي عمره شوقا إليها, ويتركها ولم يحظ بذرة! وناس في رضا **الدنيا** تراهم لها يبغون وهي لهم مضرة، وناس يزهدوها عن يقين وسلوتهم حقيقة مستمرة..."[٣]. على هذا الاعتبار تتوحد الرؤيا للدنيا, وتكون معادلا للخسران فحسب, بينما تتشظى الآخرة لفضاءين مكانين كبيرين, يبقى منهما الفضاء الأول مكانا خاصا للمسلم كما وُعد في الدنيا, والحديث هنا عن **الجنة**, ويكون الآخر للكافر عقابا على اقترافه صحبة الدنيا وبالتالي الدين غير الإسلامي والحديث هنا عن **النار** .

تجليات **الجنة** جميلة تتتساوق مع إشراق الفعل المؤمن الذي استوجبها : فيها كما طمأن الله الراهب بحرون الأثمار، و**الأنهار** , وفيها الرب الغفور الرحيم[٤], وأما جميل فيعيش في **قبة جوهر**, وعلى **بابها نهر الكوثر**, يتيه في **الجنة** وعلى رأسه تاج وإكليل, قد عامله الله

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج٣، ص٤٣٢.

[٢]) المصدر السابق ، مج٦، ص٤٦٧، والصواب أن يقول انسجاما مع الفكرة: بعت الدنيا بالآخرة؛ ذلك أن الباء تدخل على المتروك.

[٣]) الظاهر بيبرس، مج٤، ص٢٤٣٣.

[٤]) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٣٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالحسنى فأسكنه جنته, وسمح له بالنظر إلى وجهه الكريم[١]. وتكشف السيرة لصاحبتها أفق الجنة وساكناتُها من الحور ينادينها منتظرات, يُظهر المشهد " الجواري الأبكار كأنهن الأقمار"... و"الفرش والاستبرق والسندس الأخضر", و"الحشر مع الزهراء بنت الرسول الكريم"[٢].

هذه الصورة التي يثيرها السرد لفضاء الجنة, ومنمنماتها الشفيفة تُستغل في الدنيا كذلك, حيث تتشكل في المنامات داعية المجاهد في سبيل الله لأن يقايض الآخرة بالدنيا فيبيع روحه لله سبحانه, وتعرض المنامات ما يحتضنه فضاء الجنة بصورة آسرة قصد السارد أن تحكي روعتها انسجاما مع الصورة الحقيقية للجنة من جانب, ويكون المشهد دافعا حقيقيا للجهاد, وبذل الروح في سبيل الله, وهو الموضوع الرئيس الذي قامت عليه سيرتا الأميرة ذات الهمة والظاهر بيبرس, حيث صارعت الأولى الروم, والثانية الصليبيين, ودعتا في مواقف عديدة للجهاد انتصارا للإسلام, وكسرا لشوكة الكفر: يمثل ذلك ما رواه بحرون للأمير عبد الوهاب, حيث راى كأنه ارتفع **للسماء**, حتى وصل السابعة: "فإذا **بقبة من الزمرد** الأخضر لها أربعة **أبواب** من الياقوت الأحمر, مرصعة بأنواع الدر والجوهر, وفي تلك القبة من الحور العين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت, ولما أشرفت عليهم نادوني: أنت غدا **عندنا** في ضيافتنا..."[٣]. ويتعالق منام المقدم حرب مع النص السابق, حيث يُدعى للجنة مرورا بالجهاد, ويتكرر هنا كذلك حضور "بنات كأمثال البدور الطالعات... بأيديهم كاسات من الجوهر ويقولون لي: أهلا بك وسهلا بك يا مقدم حرب! أنت المطلوب وبرؤيتك ترتاح القلوب"! وإذ يندفع لهن كما أراد بحرون, يستعلن بخطاب يدعو للجهاد وترك الدنيا ليكون جوازه إليهن ممكنا: "لا تبلغ حظك منا إلا إذا دفعت مقدمنا, وإن أردت أن تواصلنا فواصلنا إليك قريب حتى تترك من **الدنيا** كل حبيب, ولم يبق منها نصيب..."[٤]. ويتقاطع معه كذلك منام عرنوس حيث الحور العين ومعهن الكاسات، والطاسات، وأطباق البلور، يتمايلن بحسنهن وجمالهن، ويطلبن منه ألا يتأخر عنهن.."[٥].

---

١) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٤٤٧.
٢) المصدر السابق ، مج٢، ص٩٢٣-٩٢٤.
٣) المصدر السابق ، مج٥، ص٥٠٩.
٤) الظاهر بيبرس، مج٥، ص٢٧٣٣.
٥) المصدر السابق ، مج٥، ص٢٧٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي فضاء الجنة تتجسد المغفرة, وتسوق المنامات تنعُّم الناس المغفور لهم في هيئة كريمة تشابه الحور العين, وتنسجم حتى الألوان التي يرتدونها مع فضاء الجنة الذي احتضن الزمرد الأخضر, والياقوت الأحمر...الخ ومشهد عمر بن عبد العزيز وهو يرتدي الحلة الخضراء من حلل الجنة تماما كما الأولياء الصالحون، والسيدة زينب في سيرة الظاهر يشير لذلك, ويمد من ناحية أخرى في الفكر الذي يرسم خيرية الجزاء لخيرية العمل, وهو يعادل هنا الإسلام, وهذا يعني أن الفضاء المكاني يحكي ما ترمي إليه السير من تأكيد على الأيدلوجية الإسلامية التي تسعى لإثبات الذات, وإقصاء الآخر الإشراكي الذي ناصبها العداء وأراد بدوره أن يمارس قَمْعًا غير مشروع في حق المسلمين!.

في مقابل الجنة تبرز **النار**, وتجعل السرود لهذا الفضاء تمثيلات سوداوية تحيل بالضرورة لسوداوية الفعل المقترف في الدنيا, وبالتالي سوداوية العقاب المستحق! إنها تمثيلات ضدية تفارق ما ارتسم في رحاب الجنة, وهذا يحكي موقفا خاصّا من الفكر الإسلامي كما أسس له القرآن الكريم والحديث الشريف! ستظهر الآن مقابل الحور العين وملائكة السلام ملائكة العذاب: يرى الكندفرون قبل إسلامه أسودَ لم يرَ "أشنع من خلقته, وهو مثل الطود العظيم, وبيده حربة عظيمة, وفي رأسها سنان من نار", وهذا يُولد كذلك أثرا ضديا مفارقا لأهل الجنة, ستحصل هنا" الزلزلة, والارتعاد مثل السعفة في يوم ريح عاصف..."[١].

وينذر الرسول الكريم عقبة/ رمز الكافر المرتد بكلاليب النار, والحشر مع الطغاة لا الأنبياء والأولياء, والدرك الأسفل من النار, ويحضر كذلك الزقوم والمهل بما يثير من معاني المرارة والألم المحتزنة في ذاكرة المسلم, وكلما نضح جلده جدد بآخر!! إحقاقا لقوله سبحانه: "**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها...**"[٢]. وترى بدور بنت الكاهنة دواهي أمها وهي "مجرورة من شعرها إلى أبواب النيران, ولابسة ثوبا من قطران, والنار تلهبها وتحرق أعضاءها..."[٣].

أشارت بعض السياقات لعدالة خلق الله سبحانه للفضاءين: الجنة والنار, وجعلت دخول المسلمين الجنة, والكافرين النار بحسابٍ سوي لا ظلم فيه, وذلك حين رسمت وجود الميزان

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج٢، ص٧١٠.
[٢]) المصدر السابق ، مج٧، ص٧٥٦.
[٣]) الظاهر بيبرس، مج٤، ص٢٢٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي ينتصب يوم القيامة, لوزن الأعمال, وبالتالي إقرار الاستحقاق لأي من الفضاءين, وقد ورد ذكر الميزان في الأحاديث الصحيحة, وله صفات بينة تُثبت حقيقته, وماديته,لا مجرد الوجود المجازي: في منام صفا المسيح, تقرن انتصاب الميزان بقيامة القيامة, وهو ترتيب ذكي يؤكد العدالة الإلهية المطلقة –وهي حقيقة لا مجرد سرد– فلا يُعدل بالمرء للجنة أو النار إلا بعد الحساب ووزن العمل: "إني رأيت في المنام أن القيامة قامت, وانتصب الميزان, فرأيت النصارى يساقون إلى النار..."[١]!

وإذ تأكد دخول المسلمين الجنة عدلا وصدقا لا ظُلما, ودخول الكافرين النار بكل ما تحتفل به من صفات بائسة مدَّ الرواة أفق الدعوة للإسلام حتى القيامة, إن فضاء العرض الأخروي يصير صالحا للدعوة إلى الله سبحانه, ويستغل السارد ذلك ثانية, فيقرن الدعوة في الغالب الأعم بطلب من المدعو, يستنهضه فيه لمساعدة أبطال العمل, وقد أشرت لذلك مرات عديدة في فصول سابقة, ومن ذلك دعوة الرسول الكريم للملاح في الأميرة ذات الهمة, فحيث يرى أمة النبي محمد الفرقة الناجية, يرجو أن يكون منها, ويلحظ ذلك الرسول الكريم فيدعوه للإسلام, ويدعوه كذلك لمساعدة الأمير عبد الوهاب في مهمته![٢]. تنطلق المشاهد السابقة التي وصفت أفقي الدنيا والاخرة من الترتيب التالي:

الدنيا ← الآخرة.

ثم تحيل الأخرة ثانية إلى فضاء الدنيا: الدنيا ← الاخرة.

فالرائون ينامون, ثم يحلمون, ثم يعودون ثانية للقص ورواية المنام, بل إن المنام يتشكل حافزا خالقا لسلاسل حكائية عديدة في الفضاء الدنيوي, حيث يعمل على تحريك السرد, ودفع الأحداث, وترسيم أبعاد لم تتأت للسارد إلا عبر المنام.

على ضوء ذلك يكون المنام بما يشكله من فضاء أخروي طارئا على الفضاء الدنيوي, أي إن المساحة التي تنفسح في المشاهد السابقة, كانت للدنيا لا الآخرة على العكس من المنام الكبير للوهراني, الذي مدَّ في فضاء الآخرة, حتى كاد المتلقي يَنْسى تشكله الابتدائي من الدنيا, حيث الرسالة التي بعثها.

---

[١]) الظاهر بيبرس، مج٥، ص٣٠٠٧.

[٢]) الأميرة ذات الهمة، مج٣، ص٢٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفضاء الآخروي[١] بما يتضمن من تجليات موضعية هو الفضاء المركزي في المنام الكبير, وإن تضمن إشارات محلية, وبنى بعض السياقات على أماكن دنيوية ارتادتها الشخصيات, وأثرت فيها. منذ البدايات تظهر "**أرض المحشر**" التي يهرع إليها الوهراني, ثم يرى "الميزان" منتصبا كالمحموم, و"**الصراط**" يرقص بمن عليه "رقص القلوص براكب مستعجل"!! كما يرى مالكا خازن **جهنم** يخرج من "**النار**" ليبحث عن عصاة أمة محمد, ويوقف كمال الدين الشهرزوري بين "**الجنة والنار**", أي في "**الأعراف**" الذي أراد الوهراني أن يصعد إليه ليطّلع من خلاله على الموقف! وتكون "**الجنة** " بـ "**أشجارها وأنهارها**", الفضاء الأجلّ الذي يأمل الجميع ولوجه, ويرجون المغفرة التي تجوّز لهم دخوله! ويصف الوهراني حضور الرسول الكريم الذي تقدمت إليه الصوفية في " **شاطئ المشرعة**"!, ثم يحكي عن –مقامه صلى الله عليه وسلم– المحمود!.. وعن "**عين التسنيم**" التي دأبت أم حبيبة زوج النبي الكريم ببعث خمس ثلجيات منها كل واحدة بقدر جبل الثلج إلى أخيها معاوية. كل هذا الأماكن تشكل منمنمات الصورة, ودقائقها التفصيلية التي كانت محلاً كبيرا لكل أحداث المنام, والرؤية الناقدة التي تناولت شخصيات المنام بالتشريح والتساؤل!

هذا التوسع في الحكي عن الفضاء الأخروي استطاع ان يهمّش الدنيوي, الذي حضر ليكون شاهدا على أحداث فحسب من شأنها أن تودي للجنة أوالنار, إن المتلقي مضطر لأن يعاود التنقل بين أماكن الآخرة, ويرتد إليها لأن المنام يحيل إليها بشكل أساسي, ويجعلها الإطار الشرعي الكبير لأداته الناقدة ! بينما أحالت المنامات السابقة للدنيا كون العمل يقوم فيها بشكل أساسي! والتغاير بين الفضاءين واضح, وإن قدر كل منهما على خدمة أهداف السارد والتوجه الذي من أجله انطلق في رسم المشهد المنامي!.

❋❋ فضاء الصراع:

يغاير العنوانُ أعلاه السابقَ من حيث تمدد بنية الفضاء, فإذا كان الأول عاما شاملا يتعلق بالدنيا والآخرة, هكذا باتساع دون تقييد أو ضبط, فإننا هنا بصدد فضاءات معنونة, وأماكن موسومة بمسميات أو وصوفات, كما أنها تضيق لتتخذ بعدا خاصا وإن كان على صعيد "البلد" أو "المدينة" !.. وقد أشرت لكونه فضاء صراع لأنه يحتضنه , ويجلّي كثيرا من جوانبه.

---

[١]) المنامات، الوهراني، المنام الكبير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تميز المنامات بين "**بلاد الإسلام** " "**وبلاد الكفر**" , وتكون هذه المميزة هي الإطار الكبير الذي يُظلّ أماكن عديدة تُظهرها النصوص, وتُنبي عن طبيعة العلاقة بين المسلمين والكافرين, وهي علاقة تتجلى كما بان سابقا عَبْر الحكي كله: في الفعل، وتشكيل الشخصيات , والزمان, والمكان....إلخ[١].

يسأل الرسول الكريم الملك الكندفرون أن يساعد الأمير عبد الوهاب بعد خطابٍ إيماني رقيق يدعو للإيمان, ثم يأمره أن يمضي إلى " بلاد الإسلام ", ويكون ذلك كما يعبر الرسول أيضا "سبب النجاة من النار"، وفي المقابل يكون ميلاد الظاهر مباركا لأنه" هو الذي تفتح عليه بلاد الكفار" كما أظهرت النبوءة للشيخ يحيى وزوجته.

وفي سياق آخر يشعر المقدم معروف بالقلق لغياب عرنوس في "بلاد الكفر" وحيدا غريبا, فيسأل المقدم إسماعيل في مشهد منامي أن يسارع للبحث عنه حيث " ماله نصير ولا معين"!. والعبارات على إيجازها تستبطن الكثير, وتغدو بلاد الكفر من منظور المسلم بلاد الوحدة التي تولد شعورا غامرا بالاغتراب الأمر الذي يفرز الضعف والضعة لا سيما والمقدم يؤكد على مفارقة إنسانية تتجاوز المفارقة العقدية, إذ في تلك البلاد يغيب النصير والمعين!.

الفكر الذي يحكم النصوص محل الدراسة, فيتقرر على ضوئه" بلد الكفر" "وبلد الإسلام" يتمظهر في أماكن بعينها. ويشفّ السياق الذي أوردها عن الصراع العقدي, والحرب الدائرة بين المسلمين والكافرين:

على صعيد المدن: تتميز "**القسطنطينية**" في الأميرة ذات الهمة, حاكية عن علاقة الصراع الأيدولوجية, ففيها كانت ردة عقبة عن الإسلام, وهو اختيارٌ خطير شرعا تبنت السيرة رفضه بوضوح على الصعيدين الفكري والعسكري, وجعلت شخص الرسول الكريم أداة الرفض الأكثر وضوحا, وقد تمثل ذلك بإقراره الصارم الذي اعتزم صلب عقبة عقابا

---

[١]) "إن ذات الهمة رواية تستهدف الكشف عن صراع المجتمع العربي لتثبيت انتصاراته أمام الدولة الرومانية الكبيرة التي تتاخم حدوده.. نستطيع أن نقول إن سيرة ذات الهمة تعكس صراع الأمة العربية بكاملها تجاه الغزو الأجنبي..". أضواء على السيرة الشعبية، فاروق خورشيد، ص٤٦-٤٧. وانظر في الانتقال من دار الإسلام للكفر بغية الجهاد لدى أبطال السير: السردية العربية الحديثة، عبدالله إبراهيم، ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ردته اللاشرعية, وتخيَّر فضاء مكانيا دالا يرمز بذكاء إلى ضرورة إجهاض الردة حيث تولدت, لذا ستظهر القسطنطينية مكانا هاما يكون فيه العقاب والصلب, وهو ما تبنـــاه أبطـــال السيرة, وعملوا جاهدين لتحقيق إرادة الرسول الكريم المقدسة التي أعلن عنها صراحة للأمير عبد الوهاب!. إن القسطنطينية التي تواتر ذكرها مقترنة بفعل الصلب تشكّل البؤرة المكانيـــة المركزية في النص، ومن خلالها نستطيع أن نتفهم أبعاد الأمكنة والعلاقات التي ترتبط به في هذه السيرة وسيرة الظاهر كذلك.

بذات المنطق, تحكي السعيدة عن "بلاد الروم", لتكون معادلا للمصيبة" التـــي امتُحنـــت فيها بإسلامها , فحبست واضطهدت, وعوملت " بجفوة القلـــب", واضـــطرت عقـــديا لمحنـــة التنصير التي حكت عنها صراحة, لتكون اختيارها الوحيد دينيا, وإلا كان البديل المـــوت, إن فكرة "الإرهاب الديني", تتجلى واضحة في قولها:

قد أوعدوني أنّهم في عيدِهم يسعون في قتلي وفي إتلافي
وينصِّروني أو أقطّع عامدا بسيوفِهم قطعًا بغير خـــلافِ (١)

وتؤكد قضية التنصير التي تعرضت لها في بلاد الروم, في مقطع شعري آخر تعـــرض فيها الفكرين الإسلامي والإشراكي, وثباتها على الإسلام الذي أفضى للتعذيب والمحنة:

قالوا تقولين ابن مريم خالقا فأجبتهم بجواب صادق شافي
ما كان إلا مرسلا من ربه وبذاك أخبر ابن عبد منـــــاف

وفي مقطع طريف تجعل السيرة الملك ميلاص بن منفلوص الذي" لَمْ يـــنهض بفعـــل السفر قط"! يمارسه ليحقق انتصاراً عقديا كذلك على المسلمين, وتكون "**بلاد الروم**" ساحته, إذ يأتيه هاتف يأمره بالخروج إليها وتحديدا إلى فمامة "ليخلص بلاد المسلمين منهم", ويجلس هو على سرير القسطنطنية, " ليظهر الدين الصحيح"! إن العبارة الأخيرة تجعـــل كـــل الأحـــداث السابقة مبررة تبريرا مقدساً , وهو ما شكّل دافعا حقيقا للملك فخرج عاملا على تحقيق المنام! وفي قرية "**دير المسيح**" يمارس رجل جبار أفانين التعذيب على أسير مسلم – وتقاطع المشهد مع السعيدة واضح – ترسم السيرة صورته بشكل عجائبي, تقصَّدت منه إبراز المبالغة فـــي

---

(١) الأميرة ذات الهمة، مج٦، ص٤٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيثيات الصراع, وتَفَارُق العقيدتين الذي لا يقبله المشرك, فيعمد إلى التذويب والصهر في ديانته قمعاً وقهرا! وظهور الرسول الكريم في هذا المشهد ليوجه الأمير عبد الوهاب فينقذ الأسير له دلالته كذلك التي ترفض بوضوح تلك السياسة الإشراكية, وتدعو المسلمين للتحرر منها, بغية ممارسة شعائرهم دون قيدٍ أو اضطهاد!.

يتفرد مشهد صاحب" خرشنة" بالتعبير رمزيا عن إرادةٍ مناهضةٍ للمسلمين, عندما اتخذ صورة تمثلهم ومارس فعل شتمها كل صباح!! ومرة أخرى تظهر صورة الرسول الكريم وهي تدعو هنا البطال لرفض هذا التعبير الجارح، والقضاء عليه حفاظا على اعتبارية الإسلام وكل ما يمثله!

ظلال "بلاد الروم" قاتمة من المنظور الإسلامي في السيرة, ذلك لأنها تمثل الكفر والارتداد وإرادة التنصير, وهي التي تسببت في قتل المسلمين المجاهدين بمن فيهم أبطال السيرة, ويكفي الحديث عن عقبة الذي قُتل بسببه الآف المسلمين, ولذا أرادت السيرة أن تغلق دائرة الصراع بمحاولة إحكام السيطرة على تلك البلاد, ونشر الإسلام فيها, فيقف المتلقي أخيرا عند الواثق وهو يرى الأميرة وابنها عبد الوهاب بعد موتهما يدلانه على أيسر طريق لدخول "بلاد الروم", ويكون السبب واضحا وهو الأخذ بثأر المجاهدين الذين قضوا على ترابها:. " إني رأيت الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة, وهي تقول لي: يا أمير المؤمنين إذا أردت الدخول إلى بلاد الروم فادخل من طريف أنكورية, وخذ بتار المجاهدين...."![1].

ذات الحضور المكاني بما يعتمله من الصراع العقدي يظهر في سيرة الظاهر... وإذ كانت النبوءة الإسلامية قد أعلنت أنه هو الذي يفتح "بلاد الكفار"، "ويُكتب اسمه على السواحل والأقطار..." فهذا يعني أن إرادة قتله تمثل إرادة قتل الإسلام الذي ينتمي إليه ويعمل على نشره ومدّه مما سيشكل مبررا دينيا نصرانيا للمناهضة, ولذا يدّعي جوان ظهور المسيح وتخطيطه لقتل بيبرس في "قم الزمانة" بين حلب والشام, حيث ينبغي أن " يُقطع رأسه, وتخمد أنفاسه"!.

إزاء المدينة أو القرية/ المكان المفتوح هناك المكان الأقل اتساعا. وقد أوكلت إليه ذات المهمة التي نهض بها المكان الرحب الشامل, حيث إقرار الصراع, والإشارة إلى فريقيه

---

[1]) الأميرة ذات الهمة، مج٧، ص٩٥٧. (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللذين يتزعمانه, وحيث إن سيرتا الأميرة ذات الهمة والظاهر تُعنيان بمحاولة التأكيد على القيم الإسلامية والانتصار لها, فإنهما يسبغان على الأماكن المسحة الإيمانية التي تحكي توجهها أو توجيهها إسلاميا فحسب.

في الأميرة ذات الهمة تضج "**الأسوار, والأبراج** "مجيبة "أذان المسلمين", ويُدعى أهل تلك "**الديار**" كي ينتبهوا من الغفلة قبل النقلة في منام البطريق الذي أقبل لمساعدة الاميرة[١], ويكتشف الراهب المنفرد بعبادة الله سبحانه في "الجزيرة" بأنه على باطل وستهب "رياح الشقاوة على شجرة أعماله" إذ تعبَّد الله سبحانه دون الإذعان للدين الإسلامي الذي خُتمت به الديانات السماوية!

وفي "**الوادي الأقفر**" الذي رآه الملك الصالح تهجم الضباع لتقضي عليه, فتسارع السباع لإنقاذه, قد أدركنا سابقا كون الضباع أهل الكفر , والسباع المماليك الذين سينافحون عن الدولة الإسلامية, وعلى رأسهم الظاهر بيبرس!. وعبر هذه القناة ستتوالى الإشارات المكانية التي تشهد للظاهر والمقادمة بفعل الجهاد، والدفاع عن الإسلام وأهله ضد أي مناوئ يتغيا أذاهم: توجه السيدة زينب امرأة قتل زوجها وابنتها ظلما وعدوانا من قبل صاحب "**كفر الجاموس**" للظاهر بيبرس، حيث سيأخذ لها حقها وينصفها مخلّصا المسلمين من الشيخ تمران شيخ عرب كفر الجاموس. ولا يخفى ما في هذا التوجيه من شهادة لخيرية الظاهر وحسن بلائه الذي سيؤهله للانتصار الفعلي لها. إذن، ينبغي أن "تطلع" من "كفر الجاموس"، حتى تصل "**لمصر**"، فإذا وصلت "**الخليج** وقابلها **صور مصر**"، عليها أن "تطلع من الخليج" حيث ستجد "**باب البوابة**" حيث يقطن الظاهر وعثمان ابن الحبلة اللذان سينصرانها، ويأخذان بحقها.

وفي منام الزنارية والتأويلين: الإسلامي والإشراكي إحالات للمكان وشهادته على الصراع، "**فالوادي الأحفر الأقفر**" دين الكفر، بينما "**الوادي الأخضر**" هو دين الإسلام، وفي رمزية قريبة من المشهد السابق يرى الملك العادل "واديا امتلأ خنازير، ثم ظهرت سباع.. من الجهة المصرية" فقاتلتهم، ولكنها فشلت في السيطرة عليها، ويكون التأويل فقد أربعة أنفار من أعيان الدولة الظاهرية في مناوئتهم للأعداء[٢]. ويرى الملك كأنه قاعد في "**بستان**"، فيه

---

[١]) الأميرة ذات الهمة، مج١، ص٦٥١.

[٢]) الظاهر بيبرس، مج٢، ص١٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشجار وأثمار وأطيار.. فينقضّ عليه طير أسود فيأخذ التاج عن رأسه!.. وقد أوّل العزّ بن عبدالسلام ذلك، فالبستان "**ديوانك**"، والطير "رجل نصراني يأخذ مملكتك"، وإذ يصعد ذلك الطير سبع درجات، يتأول العزّ حكم النصراني لسبع ساعات، أو سبعة أيام، أو أشهر، أو أعوام !!.

وفي توصيف مكاني دقيق، يرى السلطان "مدينة في "بلاد الروم" نظر في "**شوارعها**"، ورآها "**عامرة كاملة البنيان عامرة السكان**"، وكان "**البحر**" يحيط بها، ولها على البحر "**مينتان**"، إحداهما "**خراب**" وثانيتهما "**عامرة**" وقد التقى في "**مكان من جملة الأماكن**" مسجونا يستغيث ويطلب العون، ليكون المقدم معروف، وعند البحث الدقيق نستوضح كون المكان هو مدينة "**القيطلان**"[١].

ويشكل المكان في مثل هذه المشاهد تحفيزا للبحث الواقعي بغية إجابة الدعوة التي توجهت في المنام، وفي إطار الحبس تسجن فاطمة بنت القبطان في قلعة "كوتيه" عند عبدالصليب، ويظهر ذلك في منام متوافق رآه "جميع الأمراء"، مما سيدفع السرد لإنقاذها وتفريج كربة السجن والاغتراب.

تخضع الأماكن في مشاهد متعددة لعلاقات التحول التي تصب كذلك في بعد الصراع، وتحكي عن إرادة الأطراف المختلفة في صهر الآخر فيها، واندماجه معها.

في الأميرة ذات الهمة يتوجه جبار الروم فقطونس بن جرجيس لـ"مكة المكرمة" بغية تحويل "**المكان المقدس**" "**الكعبة المشرفة**" من رمز إسلامي لآخر نصراني: "أريد أجعل "كعبة" العرب "**بيعة للروم**" "!. وتنتصر السيرة للإسلام عندما تعاقب الجبار ببعث شخص عجائبي رجلاه في الثرى ورأسه في الثريا، فيضربه ليصير "وجهه من وراء ظهره، وركبتيه في صدره...".

وفي موضع آخر يرى الراهب وكأن "الدير" قد صار "جامعا"، وكلا المشهدين يحكيان رغبة التحول، وإن تغايرا قصْدا، فقد عرضت السيرة في المشهد الأول إرادة جائرة من جبار

---

[١]) الظاهر بيبرس، مج٣، ص١٤٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتقصد التعدي على مكة المكرمة، لتحويل أقدس رموزها لبيعة!!. إن ذلك يحيل لفكرة التنصير التي طرحتها السعيدة، بينما يحكي المشهد الثاني فكرة التحول رمزا لا واقعا، بمعنى أن الرائي بصدد التحول من الكفر للإسلام. ولم يحمل المنام ما من شأنه أن يشير لتعدي أحد المسلمين على رموز النصارى، وهذا ينسجم مع الإسلام الذي كفل لأصحاب الديانات ممارسة شعائرهم الدينية دون إكراههم على دخول الإسلام أو التعدي على أماكن عبادتهم.

للمكان كذلك شهادة في الصراع الجنسي كما أظهرت لذلك سيرة حمزة البهلوان التي قامت أساسا على فكرة العداء بين الفرس والعرب. وفكرة الجنسية واضحة في النصّ من مجريات الأحداث، والسياقات النصية الصريحة: قال كسرى أنو شروان في إحدى رسائله التي توخى منها بختيار القضاء على حمزة: "غضبت علينا النار.. فسلطت علينا رجل من الجنس الأبيض! وهو يتأثرنا نظرا للعداوة الجنسية"[١]. ولا شك أن ظلال هذه الفكرة ستنسحب على العمل برمته، وتنهض السياقات لتجليتها، بما في ذلك الفضاء المكاني، ولعلّ المنام الذي رآه الأمير حيث الغربان التي اختطفت سادات مكة يدلل على ذلك.

إذن، تظهر "**مكة**" هنا ساحة للصراع الجنسي بعد أن كانت ميدانا للصراع الديني في الأميرة ذات الهمة، والمنام الذي صدق واقعيا يصدّق ذلك: فالعجم أرادوا تفريغ "مكة المكرمة" من ساداتها ورجالاتها بغية إعمار قلاع "النهروان"، وهذا يعني إرادة إثبات الذات مقابل تهميش الآخر وإلغاء وجوده، إن هذا يردنا لفكرة الجنسية التي أباها بختيار من حمزة، معتبرا أن رفع ظلم الفرس عن العرب جنسية محضة!! بينما يكون فرض السيطرة على العرب حقا مكتسبا من حقوقهم السلطوية!.

❋❋ فضاء القص:

وأقصد به المكان الذي يرسمه السارد لإتمام بنية الحكاية التخييلية التي يرويها في المنام. وكما فضاء الصراع يتراوح المكان هنا ما بين واسع مركزي وآخر جزئي، حيث يستدعي السرد مواصفات مكانية معينة بحسب حاجة الحكاية، وفنية القصّ.

---

(١) حمزة البهلوان، مج٤، ص٢٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمدينة حضورها، وتبين للمتلقي باسمها "**بغداد**" و"**مصر**" كما في الحالم البغدادي، وبوصوفاتها الدقيقة التي تُحيل إليها ولو غيَّب القصّ اسمها: في حكاية الملك أحمد الذي يبحث عن مدينة المحبوبة التي عشقها في المنام في سيرة الظاهر، يرى المدينة ويعيد حكاية وصفها دون الوقوف على علميتها التي لم تظهر، ولم يشر المشهد المنامي إليها، الأمر الذي يستدعي رحلة كشفية للوقوف على المدينة المطلوبة، وهو ما يشكل هنا عقدة المنام: تمهد الأشجار، والأنهار، والأزهار في بستان كبير لا حائط له ولا جدار لدخول "**المدينة**"، التي يظهر على باباها "**برج**" من "حجر الرخام"، وفيها "**خان**"، بجانبه "**حمام**"، و "**دكان خياط**"**!**. وبرغم أن هذه الوصوفات لا تكفي للوصول إلى المدينة المرادة لعدم كفايتها وإمكانية تكرارها في مدن عديدة، إلا أن راوي السيرة يحمّلها القدرة على ذلك، ويطرحها بكونها وصوفات فريدة قادرة على أن تقود الرائي العاشق لمحبوبته، وهو ما كان**!**.

ويلحظ الدارس أن تجليات "**المدينة**" أكثر ظهورا في هذا الفضاء وأشد تنوعا من مجرد الإحالة للمدينة، وإذا كانت المساجد، والأسوار، والأبراج، والوديان.. قد قامت بمهمتها الوظيفية الأيدلوجية في فضاء الصراع، فإنها هنا تنهض بوظيفية فنية من شأنها أن تتمم مشاهد الحكاية، وتحمّل في أحيان كثيرة أبعادا رمزية مقصودة تساهم في إنجاح رؤية السارد للمكان المؤتلفة بالضرورة مع نسيج الحكاية: يظهر ذو يزن في منام تدّعيه قمرية سائلا إياها أن تسلّم سيفا "**القلعة**" و "**المدينة**"، وذلك كي تقنعه للخروج خارج المدينة وتقضي عليه.. وفي جزء تالٍ يأمر الخضر الملكة تكرور أن تذهب لـ"قصرها" لتساعد الملك سيف وتعطيه سيف آصف، ويتكرر ظهور "**الصحراء**"، و"**البستان**" في السرود، فالرباب ترى أنها وحيدة في "**صحرة في الصحرات**" وحولها "**فسيح البراري المقفرات**" وذلك في المشهد الذي يؤوّل بأنها تلد جندبة، وقد يكون في إيراد "**الصحراء**" إحالة لشدة الولادة. ويرى الملك الصالح أنه في "بر أقفر واسع" تهاجمه فيه الضباع، وقد يحيل ذلك للشدة التي يعانيها المسلمون من الأعداء لا سيما أن الضباع تأولت بالعدو**!!**. كما يرى الملك في حديث الأربعين جارية نفسه يسير في "برية مقفرة" ما فيها ماء ولا مرعى. وفي المقابل يظهر "البستان" فالسلطان يرى عرنوس في "بستان"، والأميرة حياة النفوس ترى "بستانا" ينصب فيه الصياد شركا للطيور في إحالة للدنيا التي يكون بطلاها جنس الرجال ممثلا بالطير الذكر، وجنس الأنثى ممثلا بالطير الأنثى. وهناك "**القبر**" الذي يزوره حسن بدر الدين في حكاية أبيه مع شمس الدين، حيث تخلق هذه الزيارة أبعاد الحكاية العجائبية اللاحقة، وتكون "**الطاحونة**" في حكاية الطحان وزوجته مكان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكنز الذي فضح دونية المرأة، إذ فشت السر لجارها المحبوب فجنت على نفسها وعلى زوجها بالقتل!. وفي الأغاني يرى إبراهيم بن المهدي الإمام علي –كرم الله وجهه– يحاوره في شؤون الخلافة، وقد وقفا عند "**قنطرة**"، أما عمر بن عبدالعزيز فيرى امرأة من وراء "**شباك حديد**" تنذره باقتراب أجله، بينما تُرى امرأة من آل عثمان تقف على "**دار**" **عثمان** المقبلة على "**المسجد**".

وهكذا يكون المكان في مثل هذه القصص بنية هامة من شأنها أن تبني القص، وتوهم المتلقي بواقعية الحكاية المتخيّلة، إلا أن المكان في سياقات أخرى يحمل على عاتقه عبء هذا الإيهام الذي يحمَّل كذلك برمزية زائدة موظَّفة لخدمة أهداف أخرى في النص، فالأرض التي يراها السيد الحميري كالكافور، ويغرس فيها الرسول الكريم النخل تشير إشارة دالة للخير الجميل، ولذا سيقول الشعر إلا أنه كما قال ابن سيرين في قوم بررة أطهار، وقد سبق المنام ليكون شهادة على جميل شعر السيد في آل النبي الكريم كما ترجم لذلك الأصفهاني.

وفي النشوار ترى العجوز الكرخية السيدة فاطمة وهي تجلس في "**حجرة لطيفة في غاية الحسن**"، وهو توصيف ينسجم مع هيئة السيدة فاطمة ذاتها التي بدت وعليها ثياب حسنة بياض، والإيحاء بالنقاء وصفاء الطوية ظاهر يُستدخل في وعي المتلقي من خلال حشد الصفات اللطيفة الحسنة، وقد أراد التنوخي بذلك استدرار إشفاق المتلقي للتعاطف مع السيدة فاطمة وابنها الذبيح، وقبول فكرة التشيع التي انتصر لها في منامات عديدة جدا.

وقد كشف المكان الذي تناولته في فضاء الصراع عن هذه الرمزية التي تتبنى فكرة أيدلوجية على صعيد المدينة وما دونها من قرية، أو واد، أو مئذنة، أو مسجد، أو دير إلخ..

على صعيد آخر يظهر **المكان المجهول**، ويكون في الغالب سببا لتوليد الرحلة، من ذلك المنام المركزي الذي تصدّر سيرة فيروز شاه، يبدأ السرد بتوصيف جميل "**الروض**" هكذا بالتنكير، حيث تعمره "الأشجار، وحوله الأنهار.. "، ثم في الليلة التالية يحكي السرد عن "**الروضة الفسيحة**"، وفي الليلة الأخيرة تكون مجرد إشارة لـ "**تلك الروضة**" التي رآها سابقا. هذا المكان الذي رأى فيه عين الحياة يخلو من أدنى إشارة واضحة من الممكن أن ينبني عليها كشف المدينة، ففي كل مكان رياض مزهرة، ولذا سيكون الاتكاء في رحلة البحث على الصفات الشكلية التي بدت لعين الحياة، ثم الهوية الاسمية التي تجلت في الليلة الأخيرة! ولذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء تعليق فيروز ذاته: "أين يا ترى أقدر أن أجد هذه الفتاة؟ وفي أي مكان؟ هل هي في عالم الأرض أم في عالم السموات؟". وفي منام الملك أحمد الذي يتعالق مع منـــام فيـــروز يكـــون المكان مجهولا كذلك، وإن توسع في الحديث عن بنية الموصوفات، هناك مرتكزات بنى عليها الملك بحثه، في حين ارتكز فيروز على الاسم فحسب!. دلالات المكان أوســـع عنـــد الملـــك أحمد، ففيها تظهر مدينة، وإن غيّب السرد علميَّتها، ويظهر حمام، وخان، ودكان خياط!.. إن ذلك لا يكفي بالضرورة للبحث الحقيقي الواقعي عن المحبوبة التي تقطن ذلك المكان، ولكـــن السرد جعله كذلك، وجعل لقاء الملك بمحبوبته أسرع بكثير من لقاء فيروز بعين الحياة. وهذا يعود بالطبع لكون منام فيروز مركزيا، وهو الذي اعتنت السيرة فيه فحسب. بينما يتشكل منام الملك أحمد فرعيا لا يشكل ذات أهمية منام فيروز ومركزيته.

وفي الحالم البغدادي يشير الوالي المصري لمكان مجهول لم يره، وإن بـــدت صـــفاته أجلى من المنامين السابقين، بحيث لو انتوى الارتحال إليه لقدر على الوصـــول دون عنـــاء، ولكنه أبقاه في دائرة المجهول حيث لم يره، ولم يهب ذاته فرصة التعرف إليه بالرغم من أنه يحيل لكنز آخر المطاف.. يظهر البيت الذي يشكل بداية الخيط منكَّرا: "**إن بيتا فـــي بغـــداد**"، وتتوالى المواصفات التي تعرض للمتلقي باختصار تغيب فيه الصفة، وتظهر الكناية فحـــسب: "**بخطّ كذا، ووصفُه كذا، بحوشه جنينة، تحتها فسقية..**". ومن الطريف أن هذه الحكاية جعلت المكان مجهولا معلوما بذات الوقت؛ لقد كان الوالي يرسم بيت البغدادي بدقة، ويؤكـــد علـــى وجود الكنز في بيته بذات الآن الذي كان يؤكد على نفسه مجهولية المكان وخياليته المتولـــدة من ظهوره في منام لم يؤمن بصوابيته، بالرغم من تكرره لليال ثلاث!. ولذا يعود البغـــدادي واثقا ليحتفر حيث أشار الوالي، ويستخرج كنزه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

➢➢ تكثيف

لم ينأ الزمن ولا الفضاء المكاني عن المشاركة الفاعلة في بناء الـنص المنـامي، بـل والنص السردي العام الذي تنتمي إليه فكريا وجماليا. لقد حضرا بوصـفهما بنيـات فاعلـة ساهمت بشكل جاد في تجلية أبعاد العمل، تماما كما قامت الشخصية بذلك، والأفعال المركزية منها والفرعية الثانوية.

في الإشارة لتنوعات الزمن: الاستباق، والتواتر، والتزامن، والمشهد تأسيس لجماليـات واسعة تنهض على أساس المفارقة الزمنية، وحضور غير اعتيادي للزمن: في الاستباق نبوءة وحضور للحظة المابعد الراهنة، وفي التواتر تكرارات نصية ترد المتلقي للخلف حيث النص الأول، والحضور الزمني الأول الذي احتضن تولد الفعل، وفي التزامن تتابع زمني يعـرض أفعالا تمت فعليا بلحظة زمنية واحدة، أما المشهد فيحتمل تفصيلات دقيقة تطوِّل البعد الزمني، وتنحى به منحى الاتساع!.

وفي كل تلك الأجواء التي عرفت اللعبة الزمنية يحضر الفعل الذي تؤكد عليه السرود، وتحضر أهدافه التي بُني السرد من أجلها!.

على صعيد الفضاء تتمدد أمكنة واسعة مفتوحة، وأخرى مغايرة ضيقة، لتحكي بـشكل رئيس عن الأبعاد الفكرية التي يحملها النص، وقد انصاعت فضاءات الدنيا والآخرة الكليـة، والأماكن المغلقة الجزئية لتخوض في أفكار النص، وتسهم في بناء منمنماته الدقيقة. وفي هذا الإطار حضرت لدينا الأماكن التي تمايز عقديا بين المسلم والكافر، فالـدنيا تحـضر مقابـل الآخرة، والجنة مقابل النار، ودار الكفر مقابل الإسلام، والمسجد مقابل الدير وهكذا...

وحيث إن الأعمال المدروسة تنتمي للثقافة العربية الإسـلامية ، فقـد طوَّعـت تلـك الفضاءات لتكون شاهدة على خيرية الإسلام مقابل الآخر، وانتصار الفكر الـديني الإسـلامي مقابل الإشراكي ومن هنا تخلقت التحولات المكانية التي تشهد بانصياع الآخر للإسلامي!.

وبجوار هذا الإسهام كانت هناك فضاءات قصصية تخييلية، شاركت فـي دور القـصة الفكري كذلك، وخلقت شعورا بإيهام يحكي واقعية القص، وحضوره الحقيقي!.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

ستحمل هذه الخاتمة عبء الوقوف على أبرز النقاط التي توصل إليها البحث اختزالا لا تفصيلا، إذ نهضت التكثيفات السابقة بمهمة ترتيب النتائج وتجلية أبعادها، لتكون هذه السطور إضاءةً أخيرة تكثف أهم ما أنشئت الرسالة لنقاشه، ولتبقى في ذهن المتلقي بكل ما تعتوره من إقرار وتساؤل.. ودعوة لمتابعة البحث في موضوع المنامات:

◆◆ في اجتراح المصطلح: تبين أن للمنام مرجعية لغوية عند ابن منظور في لسانه، والزمخشري في أساس البلاغة تؤسس لمعنى المشهد المنامي المرئي أثناء النوم، وقد تواتر توظيف المصطلح بهذا المعنى في المؤلفات الدينية والأدبية، ووقفنا منها على تفسير الأحلام لابن سيرين، والحافظ ابن أبي الدنيا في مناماته. أما أدبيا فقد تميزت منامات الوهراني في القرن السادس الهجري، وهي تستلهم بنية رسالة الغفران للمعري، وتدخلنا من جانب آخر في فن المنامات ضمن سرديته الخاصة، وفضاءاته الدلالية المتقاطعة مع منامات النصوص محل الدراسة.

◆◆ والمنامات نصّ عجائبي محتفِل كما عرض تودوروف في شرح المصطلح للأسرار الخفية الممتزجة بالواقع، والامتزاج بالخارق، واقتحام اللامقبول عرفا.. وقد جلّت النصوص مشاهد عديدة تشهد لهذه العجائبية في طقوس الشفاء، والعقاب، والجزاء التي تمتد لتكون واقعا تحياه الشخوص لدى لحظة اليقظة. كما ترسمت بعض شخصيات المنامات بصور مهولة عجائبية، الأمر الذي جعل أبطال الأعمال ذاتهم يعترفون بكون الأحداث التي يمرون بها في مناماتهم عجائبية التوجه. اعترف بذلك "بزرجمهر" في حمزة البهلوان، و"يانس المتعرب" في حضرة الأميرة ذات الهمة، ولؤلؤة جارية آل منقذ.

◆◆ والمنامات إرث تاريخي عريق ضارب في القدم, وحاضر بحضور الإنسان على مر السياق التاريخي, ولذا تبنت المصنفات ذكر تلك المنامات, وعرضها على التأويل والتفسير, ودعا الإيمان المطلق بقدسيتها لحضانتها واستدعائها, برز ذلك منذ الحضارة اليونانية, والبابلية, حتى العصر الإسلامي. ونجد لها حضورا بارزا في الفكر العربي الإسلامي والصوفي, ثم الحديث, وقد وقفنا بشيء من التفصيل على عناية فرويد ويونغ بها, وارتباطها بالطاقات النفسية والفكرية الكامنة في الذات الإنسانية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ وفي عرضها على مقولة "النص واللانص", تجلّى كون المنامات نصاً معترفا بـــه, لاعتراف الثقافة الإسلامية به, إلا ما ورد ادَّعاءً على رسول الله في المؤلفات الشعبية,إذ تلقته الثقافة الرسمية بوصفه كذبا وافتراء على النبوة!. وحيث إن المنام نصّ, فهو حامل دلالة, وإذ ذاك تتبهنا للأنساق الثقافية التي حاول أن يؤسس لها, منتميا في ذلك التأسيس لإطـــار الثقافـــة الإسلامية الذي ينضوي تحته, وظهرت بجلاء الأنساق التالية:

النسق الديني: وفيه اجتمعت النصوص على إثبات الفكر الإسلامي, وإقـــصاء الآخـــر الماثل في: المجوسية, واليهودية, والنصرانية بشكل خاص, إذ حكت نصوص عدة لا سيما في السير الشعبية عن صراع دينية بين المسلمين والنصارى الروم، والصليبين كما في الأميـــرة ذات الهمة والظاهر بيبرس. ورفضت بعض المنامات كذلك الفكـــر الـــديني المنـــشق عـــن الإسلامي, وعند ذلك ستلعب التوجهات الإسلامية التي يحملها الرواة والمؤلفون دورا هاما في هذا الإقصاء, الذي مورس بشكل كبير على الآخر, وأذكر هنا إقصاء الصوفية علـــى ســـبيل المثال, وتمثيلها برؤية سالبة في منامات عدة.

النسق السياسي: سيكون كذلك رفض الآخر المغاير فكريا, فالسنة في صـــراعها مـــع الشيعة تستحضر وتولد منامات تعمد للإقصاء, كما يمارسه الفكر الشيعي تماما, وقد اتكأ كـــلّ منهما على أدوات متقاربة تحاول عبرها إثبات الذات وتهميش الآخر, فظهرت منامات يـــدعو فيها الله سبحانه بذاته للانتصار للفريقين, وكذا شخص النبي الكريم, وشخص الإمام علي كرم الله وجهه.

على صعيد آخر عمدت نصوص عدة ولا سيما نص المنـــام الكبيـــر للـــوهراني لنقـــد السلطة, وترهل رجالاتها سياسيا, وأدبيا, ودينيا, الأمر الذي وقّع لتساؤلات خطيرة حول دولةٍ اتخذت من هكذا رجال أربابا وأعمدة؟!.

النسق الأدبي تم التركيز على تحول الدور الشعري من إطاره الجمعي للفـــرديّ, وقـــد اتخذت المنامات موقفا رافضا لهذا التحول الذي يتغيا تأكيد أسطورة الشاعر الذاتية، ودعـــت بشكل كبير لاعتبار شاعرية الشاعر حين ينتصر للفكر والأيدلوجية، ومن هنا تم إقصاء جرير والمؤمل، في حين قُبل الفرزدق لموقفه الديني العقدي، وكذا الكميت لتشيعه على سبيل المثال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النسق الاجتماعي انسجمت المرأة بحضورها الجنسي الشبقي, ووعيها الأحمق, وفاعليتها الشريرة مع الرؤية الغالبة للمؤلفات الأدبية التي مارست دورا تعسفيا تجاه المرأة!. ولا أريد هنا نفي التأليف الإيجابي بحق المرأة إذ لدينا شواهد عليه, من مثل الأميرة ذات الهمة نفسها التي صُوِّرت من أجلّ المدافعين عن العقيدة والخلافة الإسلامية, إلا أنني أؤكد بما جمعت لذلك من أقوال عارفة وأدلة بينة على تشكل صورة سوداوية عامة للمرأة تسمها بالعبثية والدونية, وهي نظرة مؤتلفة عرفا, ولكنها بالتأكيد مرفوضة شرْعاً!.

◆◆ نصّ المنامات نصّ ثقافي منفتح على خطابات معرفية, وأشكال سردية وشعرية متعددة , وهو أمر بدهي إذ لا وجود لنص مغلق. وتجلّي المنامات انفتاحا واسعاً يكشف امتلاء التجربة الثقافية لمنتجيها, الأمر الذي يفضي لاكتنازها الحقيقي بتنوع فكري وجمالي واسع. انفتحت المنامات على النص المقدس: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة, وعلى الإسناد والخبر, وفن الترجمة, والرحلة، والشعر. الأمر الذي أسس لتلقٍ عالي المستوى لمتلقيها عموما!.

◆◆ **سرديا:** تميزت ثلاث بُنَى رئيسة للمبنى الحكائي المؤلف للمنامات, وقد تشكلت تلك البنيات على ضوء ملاحظتي لاشتراك منامات السرود بقواسم سردية مشتركة، وذلك بحسب الجنس الذي يتضمنها, ولذا ميزت في المبنى بين منامات:

الأخبار: تبتدئ باستهلال سندي يقدم للحكاية, ثم تبدأ بالترجمة عموما, فالنبوءة, فالتأويل, فالتعليق, وهي سمة غالبا, وإن تمت بعض الاختراقات لها.

السير الشعبية: حيث تبتدئ بالمنام المركزي الذي يشكل نبوءة النص المركزية, ليولد المنامات الفرعية العاملة بالضرورة على إنفاذه وتحقيقه.

الحكايات: تبتدئ الحكايات بقصة المنام سواء أكان الاستهلال تلقائيا أم بطريقة استرجاعية, ثم تتولد سلاسل حكائية تتبنى نص الحكاية, ليعود النص مرتدا على المنام بذكره أو تأويله آخر الحكاية!.

◆◆ وفي المبنى ميزت بين أنواع المنامات لتكون: مركزية, ومدعاة, ومتوافقة. وأنواع التأويلات لتكون: صائبة, ومضللة, ومفردة, ومتعددة. وقد وقفت كذلك على وظائفها المعرفية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسردية, مما يعني حقا أنها تؤكد على مضامين فكرية هامة، وتتولد لتكون تقنيـــة ســـردية تضفي إبداعا جماليا على النصوص التي توظفها.

◆◆ شكلت المنامات نمطا خاصا في روايتها، واستطعنا تمييز الآتي غالبا:

= يكون الراوي مفردا إذا كان المنام ثانويا أي غير مركزي, ولذا ســتكون ترســيمته أفقيــة أحادية.

= ويكون الراوي جماعة إذا كان مركزيا , ولذا ستكون ترسيمته أفقية متشبعة.

= أفرزت الرواية المتعددة وجهات نظر متعددة بالضرورة, فلم تكن رؤية الأحداث متوحــدة فقيرة الأبعاد, بل اتسمت بالتباين, والافتراق لا سيما أن رواتها ينتمون في الغالب لتوجهــات عقدية وسياسية متغايرة!.

= المروي له/ المؤول العارف هو الأكثر حضورا والأجلى دورا, وهذا يعكس تفهما مجتمعيا عاما، مؤمنا بأهمية المنامات، وضرورة تأويلها، مرورا بأدوات معرفية جادة لا يمتلكهــا إلا المؤول العارف.

= ظهر المروي له بوصفه متلقيا وفاعلا في ذات الوقت؛ إذ تحول إلــى شخــصية حكائيــة كانت قادرة على تحريك السرد وتخليق سلاسله, الأمر الذي أفضى للنهايات الفكرية والفنيــة التي أراد الرواة الوصول إليها.

◆◆ تشكلات الشخصية المنامية متنوعة متباينــة: مرجعيــة, وتخييليــة، وعجائبيــة، وحيوانية. وعلى صعيد الفاعلة تبيَّنا وجود بعض الشخصيات من مثــل: الرســول الكــريم، والملك الصالح, إلا أن حضور الشخصيات الثانوية كان أبين من حضور المركزيــة الممتــدة على مساحات واسعة من السرد.

وقد أفرزت طبيعة السرود أنواعا خاصا من الشخصيات، فاحتفلت منامــات الأخبــار بالمرجعية مثلا, بينما احتفلت الحكايات بالتخييلية، والعجائبية، واشتركت السرود في تنويعات الحيوانية والفاعلة!.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

◆◆ ساهمت الشخصية الزمنية والفضاءات المكانية على حد سواء بالبناء الفكري والجمالي للنصوص, وأميز هنا بين الدورين إذ غلب على الزمن بتشكلاته: الاستباق، والتواتر، والتزامن، والمشهد لعبَ الدور الجمالي المؤثر, بينما لعب الفضاء بتشكلاته الكلية والموقفية "الصراع"، والقصصية التخييلية دورا فكريا واضحا.

وأختم هنا بما أبدأت من كون هذا الجهد جهد المقلّ الذي ما يزال ينهل من منابع العلم متدربا.. راجيا الإحسان..

فإن أحسنت فمن الله وبه سبحانه التوفيق, وإن قصرت فعذري لذلك عذر المسيء الذي يرجو الإحسان.. ويكبو جواده أملا لبلوغه وإدراكه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت بمصادر البحث

أولا: نصوص الدراسة

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، **الأغاني**، (تحقيق: عباس، إحسان و السعافين، إبراهيم، و عباس، بكر)، دار صادر، بيروت.
- **ألف ليلة وليلة**، (١٩٩٩م). (ط١). بيروت: دار صادر.
- **الأمير حمزة البهلوان المعروف بحمزة العرب**. المكتبة العلمية الحديثة.
- البلوي، أبو محمد عبدالله بن محمد المديني. **سيرة أحمد بن طولون**، (حققه وعلق عليه: كرد علي، محمد) عنيت بنشر السيرة المكتبة العربية، في دمشق، لأصحابها عبيد أخوان.
- التنوخي، القاضي أبو علي المحسن بن علي ، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، (ط٢)، (تحقيق المحامي عبود الشالجي)، دار صادر، بيروت، (١٩٩٥م).
- ابن الجوزي، الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن (ت٥٩٧هـ). **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، (حققه عمر، علي محمد)، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الحريري، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان (ت٥١٠هـ)، **مقامات الحريري المسماة بالمقامات الأدبية**. دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الحكايات العجيبة، والأخبار الغريبة**،. ، (ط١)، (تحقيق فير، هانز)، منشورات الجمل، كولونيا– ألمانيا (١٩٩٧م).
- السرقسطي، **المقامات اللزومية**، (حققه ضيف، بدر أحمد)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، (١٩٨٢م).
- **سيرة الأميرة ذات الهمة، وولدها عبدالوهاب، والأمير أبو محمد البطال، وعقبة شيخ الضلال، وشومدرس المحتال**. المكتبة الثقافية، بيروت، (١٩٨١م).
- **سيرة الظاهر بيبرس**. الهيئة المصرية العامة للكتاب. أشرف على الطبع خيري على الجواد، (١٩٩٦م).
- **سيرة الملك سيف بن ذي يزن فارس اليمن**، (١٩٨٦م). (ط٢). بيروت: المكتبة الثقافية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن عبدربه، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، (تحقيق شاهين، محمد عبدالقادر)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- **قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب**. المكتبة الشعبية، بيروت.
- **مئة ليلة وليلة** ، (دراسة وتحقيق طرشونة، محمود)، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس ، (١٩٧٩م).
- ابن منقذ، أسامة، **الاعتبار**، (حرره حتي، فيليب)، مطبعة جامعة برنستون، الولايات المتحدة، (١٩٣٠).
- الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن سعيد بديع الزمان. **المقامات**، دار التراث، بيروت، (١٩٦٨م).
- الوهراني، ركن الدين محمد بن محمد بن محرز، (ت١٥٧٥م). **منامات الوهراني ومقاماته ورسائله**، (ط١) (تحقيق شعلان، إبراهيم، و نغش، محمد. مراجعة الأهواني، عبدالعزيز)، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، (١٩٩٨م).

ثانيا: المصادر

- الأسدي، الكميت بن زيد. **الديوان**، (ط١)، (جمعه وشرحه وحققه طريفي، محمد نبيل)، دار صادر، بيروت.
- الأندلسي، ابن حزم الظاهري. **طوق الحمامة في الإلفة والألاف**، دار المعرفة، بيروت، (٢٠٠٤م).
- البخاري، **صحيح البخاري**. دار الجيل، بيروت.
- التوحيدي، أبو حيان. **المقابسات**، (تحقيق وتقديم حسين، محمد توفيق)، مطبعة الإرشاد، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد (١٩٧٠م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. (ط١)، (تحقيق: عطار، أحمد عبدالغفور)، دار العلم للملايين، (١٩٨٤م).
- الحميري، السيد (١٠٥-١٧٣هـ). **الديوان**. (جمعه وحققه وشرحه: شاكر، شاكر هادي) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ابن خلدون. **المقدمة**. (ط٤)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الحافظ ابن أبي الدنيا، (تحقيق وتعليق إبراهيم، مجدي السيد). **المنامات**. مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- زكريا، أحمد بن فارس. **مقاييس اللغة**. حققه وضبطه: هارون عبدالسلام محمد. طبع بإذن خاص من رئيس المجمع العلمي العربي الإسلامي محمد الداية. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن سيرين، محمد. **تفسير الأحلام الكبير**، (راجعه ونقحه محمد، يوسف الشيخ) الدار النموذجية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، (٢٠٠٥م).
- ـــــــــــ **تفسير الأحلام الكبير "منتخب الكلام في تفسير الأحلام"**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر بمصر، (١٩٨٢م).
- ـــــــــــ والنابلسي. **تفسير الأحلام وتعطير الأنام في تعبير المنام**، (ط١)، (خرج أحاديثه واعتنى به شعبان، أيمن صالح) دار ابن الهيثم، القاهرة، (٢٠٠٢م).
- ابن عربي، محيي الدين. **الفتوحات المكية**. تحقيق يحيى، عثمان، مراجعة مدكور، إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٤م).
- ـــــــــــ **فصوص الحكم**. تعليق عفيفي، أبو العلا. ملتزمو الطبع والنشر أصحاب دار إحياء الكتب العربية عيسى بابي الحلبي وشركاه، (١٩٤٦م).
- الغزالي، محمد بن محمد. **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الفارابي، أبو نصر. **كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة**، (ط٥)، (تقديم وتعليق نادر، البير نصري)، دار المشرق، بيروت، (١٩٨٥).
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، **الأمالي مع كتابيّ ذيل الأمالي والنوادر**، (تحقيق هلل، صلاح بن فتحي والجليمي، الشيخ سيد بن عباس)، المكتبة العصرية، صيدا، (٢٠٠٣م).
- ابن كثير، **مختصر تفسير ابن كثير**، (ط٧)، (حققه واختصره الصابوني، محمد علي)، دار القرآن الكريم، بيروت، (١٩٨١م).
- المتنبي، أحمد بن الحسين. **الديوان**. (شرحه البرقوقي، عبدالرحمن)، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مسلم. **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨١م)
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب**. دار صادر، بيروت.
- النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ). **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**. (تحقيق سيد، محمد)، دار الفجر للتراث.

- الافسسي، أرتميدورس. **كتاب تعبير الرؤيا**. طبع بمساعدة المركز الوطني للبحث العلمي في باريس، (حققه فهد، توفيق)، دمشق، (١٩٦٤م).
- هوميروس، **الإلياذة**. ترجمة: الخالدي، عنبرة سلام.دار العلم للملايين، بيروت.

ثالثا: المراجع الحديثة

- إبراهيم، عبد الله. (٢٠٠٠م). **السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي**. (ط٢). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ـــــــــــــ (٢٠٠٣م). **السردية العربية الحديثة: تفكيك الخطاب الاستعماري، وإعادة تفسير النشأة**. (ط١). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- ـــــــــــــ (١٩٩٠م). **المتخيل السردي: مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة**. (ط١). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- إبراهيم، نبيلة. **سيرة الأميرة ذات الهمة: دراسة مقارنة**. القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- إسماعيل، عزت سيد. **سيكولوجية النوم والأحلام**. الكويت. الناشر: وكالة المطبوعات.
- الألفي، محسن علي، (٢٠٠٠م). **الأحلام في الدين والفلسفة وعلم النفس**. (ط١). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الألوسي عادل، (٢٠٠٣م). **ينابيع العبقرية**. (ط١). ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- إيزابرجر، آرثر. (٢٠٠٣م). **النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية**. (ط١). ترجمة إبراهيم، وفاء، وبسطاويسي، رمضان.القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- ايكو، امبرتو. (١٩٩٦م). **القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية**. (ط١). ترجمة أبو زيد، أنطوان.الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- باشا، حسان شمسي. **النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن**. جدة، المملكة العربية السعودية: دار المنارة للنشر والتوزيع.
- بختين، ميخائيل. (١٩٨٨م). **الكلمة في الرواية**. (ط١). ترجمة حلاق، يوسف. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- بوحسن، أحمد، (٢٠٠٣م). **العرب وتاريخ الأدب: نموذج كتاب الأغاني**. (ط١)، الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر، بدعم من وزارة الثقافة.
- تودوروف، تزفيتان. ، **الشعرية**، (١٩٨٧م). (ط١). ترجمة المبخوت، شكري، وبن سلامة، رجاء الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- ـــــــــــ (١٩٩٤م). **مدخل إلى الأدب العجائبي**. (ط١)، ترجمة بوعلام، الصديق، مراجعة برادة، محمد.القاهرة: دار شرقيات للنشر والتوزيع، بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون، قسم الترجمة.
- ـــــــــــ (٢٠٠٥م). **مفاهيم سردية**. (ط١). سلسلة اللغة الأخرى، منشورات الاختلاف.
- ـــــــــــ **نقد النقد: رواية تعلم**. ترجمة سويدان، سامي، و سويدان، ليليان. بيروت: منشورات مركز الإنماء القومي.
- الجابري، محمد عابد، (١٩٩٣م). **نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي**. (ط٦). بيروت، الحمراء: المركز الثقافي العربي.
- جرار، صلاح. (٢٠٠٣م). **المنامات الأيوبية المسمى: إخبار الأنام بأخبار المنام**. (ط١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- حرب، طلال، (١٩٩٩م). **بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك**. (ط١). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- خليل، خليل أحمد، (١٩٩٢م). **نقد العقل السحري: قراءة في تراث الثقافة الشعبية العربية**. (ط١). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- خمري، حسين، (٢٠٠٢م). **فضاء المتخيل: مقاربات في الرواية**. (ط١). الجزائر: منشورات الاختلاف. طبع على نفقة الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها، التابع لوزارة الاتصال والثقافة.
- خورشيد، فاروق، (١٩٩٠م). **أديب الأسطورة عند العرب: جذور التفكير وأصالة الإبداع، سلسلة عالم المعرفة**، رقم ٢٨٤. الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- ـــــــــــــ **أضواء على السيرة الشعبية**. بيروت: منشورات اقرأ.
- داكو، بيير. (١٩٨٥م). **تفسير الأحلام**. ترجمة: أسعد، وجيه، الجمهورية العربية السورية: منشورات وزارة الثقافة.
- دوجلاس، فدوى مالطي، (١٩٨٥م). **بناء النص التراثي: دراسات في الأدب والتراجم**. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- دي، نيريس، **الأحلام: تفسيرها ودلالاتها**. تعريب وتعليق وإضافة مرسي، محمد منير.القاهرة: عالم الكتب.
- زيعور، علي. (٢٠٠٢م). **الأحلام والرموز: أداة كشف وعلاج نفسي في مجالات الشخصية، والاضطرابات النفسية والفكر**. (ط١). بيروت: دار المنهل.
- سعد، فاروق. (١٩٨٢م). **مع الفارابي والمدن الفاضلة**. (ط١). بيروت، دار الشروق.
- سعيد، محمد مظهر، والحكيم، نظلة. **جمهورية أفلاطون**. (ط٣). الجمهورية العربية المصرية: دار المعارف.
- سقا، سلامة. **النوم والرؤى والأحلام**. دار النهضة الإسلامية.
- سليمان، نبيل، (١٩٩٤م). **فتنة السرد والنقد**. (ط١). اللاذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- السواح، فراس، (١٩٨٧م). **كنوز الأعماق : قراءة في ملحمة جلجامش**. (ط١). نيقوسيا، قبرص: سومر للدراسات والنشر والتوزيع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- صالح، صلاح، (٢٠٠٣م). **سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السردية**. (ط١). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- الطويل، توفيق، (١٩٤٥م). **الأحلام**. (ط١)، القاهرة: مكتبة الآداب.
- عبدالجليل، أبلاغ محمد، (٢٠٠٢م). **شعرية النص النثري: مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري**. (ط١). الدار البيضاء، المغرب: شركة النشر والتوزيع.
- عبدالواحد، عمر، (٢٠٠٣م). **التعلق النصي: مقامات الحريري نموذجا**. (ط١). جمهورية مصر العربية: دار الهدى للنشر والتوزيع.
- العفيفي، عبدالحكيم، (١٩٩٣م). **الأحلام والكوابيس تفسير علمي وديني**. (ط١). الدار المصرية اللبنانية.
- عوض الله، أحمد الصباحي. **تفسير الأحلام**. بيروت: دار الرقي، ومكتبة مدبولي بالقاهرة.
- العيد، يمنى، (١٩٩٩م). **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**. (ط٢). بيروت. دار الفارابي.
- الغانمي، سعيد، (١٩٩٤م). **الكنز والتأويل: قراءات في الحكاية العربية**. (ط١). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الغذامي، عبدالله، (١٩٩٨م). **ثقافة الوهم: مقاربات حول المرأة والجسد واللغة**. (ط١). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- ـــــــــــ (٢٠٠١م). **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية**. (ط). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- فروم، إريك، (١٩٩٥م). **اللغة المنسية**. (ط١). ترجمة: قبيسي، حسن. دار البيضاء، المملكة المغربية: المركز الثقافي العربي.
- فرويد، سيغموند. **تفسير الأحلام**. ترجمة: صفوان، مصطفى، مراجعة: زيور، مصطفى.إشراف المركز العربي للأبحاث النفسية والتحليلية.
- ـــــــــــ (١٩٩٨م)، **نظرية الأحلام**. (ط٣). ترجمة: طرابيشي، جورج، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- كاظم، نادر، (٢٠٠٤م). **تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط**. (ط١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- كيليطو، عبدالفتاح، (١٩٩٧م). **الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي**. (ط٣). بيروت: دار الطليعة.
- ـــــــــــ (٢٠٠٠م). **أبو العلاء المعري أو متاهات القول**. (ط١). الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- ـــــــــــ (١٩٨٨م). **الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي**. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- ـــــــــــ (١٩٩٧م). **الغائب: دراسة في مقامة للحريري**. (ط٢). الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- ـــــــــــ (٢٠٠١م). **لسان آدم**. (ط٢)، ترجمة: الشرقاوي، عبدالكبير. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- ـــــــــــ (٢٠٠١م). **المقامات: السرد والأنساق الثقافية**. (ط٢). ترجمة الشرقاوي، عبدالكبير، الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- لحميداني، حميد، (٢٠٠٠م). **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**. (ط٣). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- ـــــــــــ (٢٠٠٣م). **القراءة وتوليد الدلالة: تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي**. (ط١). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- ـــــــــــ (١٩٩٩م). **النقد التاريخي في الأدب، رؤية جديدة**. (ط١). المجلس الأعلى للثقافة.
- ماجدولين، شرف الدين، (٢٠٠١م). **بيان شهرزاد: التشكلات النوعية لصور الليالي**. (ط١). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- مارتن والاس، (١٩٩٨م). **نظريات السرد الحديثة**. (ط١). ترجمة محمد، حياة جاسم.المجلس الأعلى للثقافة.
- ماضي، شكري عزيز، (١٩٩٧م). **من إشكاليات النقد العربي الجديد**. (ط١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- مفتاح، محمد. (١٩٩٩م). **المفاهيم معالم: نحو تأويل واقعي**. (ط١). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الموسوي، محسن جاسم. (١٩٩٧م). **سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط.** (ط١). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- هولرويد، ستيوارت، (١٩٩٢م). **عوالم الحلم.** (ط١). ترجمة العيسى، ريما.بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- وورد، ديفيد. (١٩٩٩م). **الوجود والزمان والسرد: فلسفة بول ريكور.** (ط١). ترجمة وتقديم الغانمي، سعيد،الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- ويليك، رينيه، و آرن، اوستن، (١٩٩٢م). **نظرية الأدب.** الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المريخ للنشر.
- ياقوت، محمود سليمان، (١٩٩٢م). **اللغة والرؤيا والحلم.** دار المعرفة الجامعية.
- يقطين، سعيد. (١٩٩٢م). **الرواية والتراث السردي: من أجل وعي جديد بالتراث.** (ط١). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- ـــــــــ (١٩٩٧م). **قال الراوي. البنيات الحكائية في السيرة الشعبية.** (ط١). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- ـــــــــ (١٩٩٧م). **الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي.** (ط١). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- يونغ، كارل غوستاف، (١٩٩٢م). **دور اللاشعور ومعنى علم النفس للإنسان الحديث،** (ط١). ترجمة خياطة، نهاد.بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (٢٠٠٣م)، **عبدالله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية،** بيروت.
- منشورات اتحاد كتاب المغرب، (١٩٩٢م)، **طرائق تحليل السرد الأدبي،** الرباط، المملكة المغربية.
- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (١٩٩٥م)، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٣٦، **من قضايا التلقي والتأويل "تلقي الأحلام وتأويلها في الثقافة العربية"،** الرباط، المملكة المغربية.

رابعا: المعاجم والموسوعات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الألباني، محمد ناصر الدين. **الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والآثار السلفية**، (صنعه الهلالي، أبو أسامة سليم بن عيد)، دار ابن الجوزي.
- برنس، جيرالد. (٢٠٠٣م) **المصطلح السردي**. (ط١). ترجمة خزندار، عابد، مراجعة وتقديم بريري، محمد،القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- حاتم، عماد. **أساطير اليونان**. الدار العربية للكتاب.
- الحفني، عبدالمنعم، (٢٠٠٣م). **الموسوعة الصوفية**. (ط١). مكتبة مدبولي.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تحقيق عباس، إحسان)، دار صادر، بيروت.
- الدميري، الشيخ كمال الدين. **حياة الحيوان الكبرى**. المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.
- زغلول، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، (١٩٨٩م). **موسوعة أطراف الحديث النبوي**. (ط١). بيروت: عالم التراث.
- الزمخشري، محمود بن عمر. **أساس البلاغة**. (ط٣)، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٥م).
- ـــــــــ **أساس البلاغة**. (حققه عيون السود، محمد باسل)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- عبد الباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- العجم، رفيق، (١٩٩٩م). **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**. (ط١). مكتبة لبنان ناشرون.
- عجينة، محمد، (١٩٩٤م). **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**. (ط١). بيروت: دار الفارابي.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن. **كتاب العين**. طبعة جديدة مصححة ومرتبة وفقا للترتيب الألفبائي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- القادري، أبو سعد نصر بن يعقوب بن إبراهيم الدينوري. **التعبير في الرؤيا، أو القادري في التعبير**. (ط١)، (تحقيق سعد، فهمي)، عالم الكتب، بيروت، (١٩٩٧م).
- الحافظ ابن كثير، (١٩٧٧م). **البداية والنهاية**. (ط٢). بيروت، مكتبة المعارف.
- كورتل، آرثر. (١٩٩٣م). **قاموس أساطير العالم**. (ط١)، ترجمة: الطريحي، سهى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- النابلسي، عبد الغني. **تعطير الأنام في تعبير المنام**. (ط٣)، (تحقيق زريق، معروف)، دار الراية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، (١٩٩٠م).
- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٤٥٠هـ). **رجال النجاشي، أحد الأصول الرجالية**. (ط١)، (تحقيق النائيني، محمد جواد)، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق. **الفهرست**. تحقيق رضا تجدد.

خامسا: الرسائل الجامعية

- خليفة، فادية عبدالوهاب، (١٩٩٦م). **منامات الوهراني ومقاماته ورسائله**. رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

سادسا: الدوريات

- إبراهيم، عبدالله، (شتاء وربيع ٢٠٠٤م). النقد الثقافي: مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق. **فصول**. (ع٦٣): ص ١٨٨-٢٠٧.
- أبو زيد، نصر حامد، (خريف ١٩٩٤م). الرؤيا في النص السردي العربي: حافز سردي أم وحدة دلالية؟. **فصول**. مج١٣، (ع٣): ص ١٠٥-١٢٨.
- بوطيب، عبدالعالي، (صيف ١٩٩٣م). إشكالية الزمن في النص السردي. **فصول**، مج١٢، (ع٢): ص١٢٩-١٤٥.
- السمطي، عبدالله، (خريف ١٩٩٣م). جماليات الصورة السردية في أخبار الأغاني وحكاياته، أبو الفرج الأصفهاني قاصا. **فصول**، مج١٢، (ع٣): ص١٠٨-١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد الحميد، شاكر، (١٩٨٦-١٩٨٧). الحلم والكيمياء والكتابة، قراءة في ديوان: أنت واحدها وهي أعضاؤك انتثرت. **فصول**. (ع١-٢): ص١٦٠-١٩٠.
- الغذامي، عبدالله، (شتاء ٢٠٠٢م). الزواج السردي: الجنوسة النسقية. **فصول**. (ع٦١): ص ٦٩-٧٩.
- غزول، فريال جبوري، (شتاء ١٩٩٤م). البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة. **فصول**. مج١٢، (ع٤): ص٧٦-٩٧.
- المنصوري، جريدي، (٢٠٠٢م). الأحلام والتفكير الرمزي. **علامات في النقد**. مج١١، (ع٨): ص٦٥٨-٦٧٣.
- الموسوي، محسن جاسم، (شتاء ١٩٩٤م). ليس بالحكي وحده تشتغل شهرزاد. **فصول**. مج١٢، (ع٤): ص١٤٥-١٦٥.
- النعمي، حسن، (٢٠٠٢م). قراءة في هيمنة الخطاب السردي. **علامات في النقد**. مج١٢: ص١٣٥-١٦٧.
- يوسف، مي أحمد، (كانون الأول، ١٩٩٩م). الحكائية ودلالة السرد في كتاب سلوان

  المطاع في عدوان الاتباع لابن الظفر الصقلي: حكاية سابور بن هرمز وقيصر الرومي. **دراسات**. مج٢٦، ص٨٧٦-٨٩٤.

سابعا: مقالات النت

- الزهراني، معجب، (ديسمبر ٢٠٠٤م). مفهوم النسق الثقافي من منظور المعرفة. صحيفة الرياض، (ع١٣٣٣١) على موقع: www.alriyadh.com
- العباس، محمد. مثاقفة النقد الثقافي. أسرة أدباء وكتاب البحرين، موقع: www.bahrain_writers.com

ثامنا : باللغة الانجليزية

- Farady, Ann (١٩٧٢), **Dream Power**, Hodder and Stoughton. London Sydney Auckland Toronto.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- J.A. Hadfield, (١٩٦٢), **Dreams and Nightmares**, Penguin books, Ltd, Harmondsworth, Middlesex.Australia
- Herman, David, (٢٠٠٣), **Narrative Theory and the Cognitive Sciences**, G S L I Publication, Center for the Study of language and Information. Standford, California.
- Riessman, Catherine, ١٩٩٣, **Narrative Analysis**, International Educatinal and Professional Publisher, Newbury Park, London.
- Vansina, Jan (١٩٨٥). **Oral tradition as history**, The university of Wisconsin Press, ٢٥٣٧ Daniesls Street , Madison,Wisconsin ٥٣٧١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit